

# بلقيس ملكة اليمن ٢





روايات تاريخ العرب والاسلام

أُمِّلْ هَبْسِي الْأَمِيرَ

# بَلْقِيسُ مَلِكَةُ الْيَمَنِ

رواية تاريخية أدبية غرامية

الحجز الثاني

دار الأندلس  
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الثانية  
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م

جميع الحقوق محفوظة  
دار الأندلس - بيروت، لبنان  
هاتف : ٣١٧١٦٢ - ٣١٦٤٠١ - ص.ب : ٤٥٥٣ - تلخس ٢٣٦٨٣

ارخى الليل سدوله على مأرب ، وآوي بعض رجال البلاط الى غرفهم  
حستسلمين الى النوم

فخرج ولي العهد مع الاميرين ، عتيك وذئب تبع ، وجعلوا يطوفون في السوق  
ثم في الاحياء التي يكتنفها الظلام ، ثم داروا من وراء حي مهجور متجهين الى  
قصر شرحبيل .

ولكن عباداً ، غلام الملك ، كان وراءهم ، يمشي كلما مشوا ، ويقف كلما  
وقفوا ، حتى انتهوا الى فناء القصر !  
أجل ، ان غلام الملك ، انما وجد في البلاط لغاية واحدة ، هي قراءة الاسرار ،  
واقضاء الآثار .

على ان دهاء وتار ذمر وذئب القرنين لم يحجبا دهاء امير ظفار ، ان عينه كانت  
هين ذئب لا تنام ، وعزيمته عزيمة ثابتة جبارة يغذيها حب الانتقام .  
واللؤم والمكر من طبع ناشر ، والحيلة سلاح له فلا يستطيع غلام الملك مهما يكن  
داهية ان يهزأ به .

لقد رآه يترك البلاط بعد خروج ولي العهد منه وكان قد بدأ مهمته التي هي  
معالجة الملك والسهر على راحته . ففعل كما فعل ، اي انه ترك البلاط مثله ومشى  
وراءه بلباس الغلمان عندما كان يمشي هو وراء الآخرين .

ولما تغفل الامراء الثلاثة في فناء قصر شرحبيل ، رجع قبل ان يرجع ، وخلع  
الثوب الذي تنكر به ، وسبقه الى غرفة الملك ، لينقل اليه حكاية تلك الزيارة قبل  
ان ينقلها ذلك الغلام ، فيحفظ بهذا تلك الثقة الغالية التي وضعها به مولاه .  
وهي فكرة غريبة وجريئة ، لا تخطر الا لامثال امير ظفار .

فقال له الملك : ماذا فعل ولي العهد عندما بلغه امر ابيه بشأن الحرب ؟  
— وماذا يفعل يا مولاي ؟ امر بالرسالة فكتبت لسامور ، ثم اقبل يحادث  
قواده وينظر معهم في شؤون الجيش .

— ولكني لم اره بعد ذلك ، فاين هو الآن ؟  
— جئت يا مولاي لاقول لك اين هو . لقد غادر البلاط منذ ساعة الى احياء  
مأرب ثم الى قصر شرحبيل بن عمرو .  
فكاد صدر الملك يتمزق من سعاله وغيظه ! ان ولي عهدده لا يذهب الى  
قصر شرحبيل الا ليرى بلقيس ! ! وهي المرة الاولى التي يزور فيها هذا  
القصر .

ثم قال: وهل ذهب وحده ؟  
— لا يا مولاي بل رافقه عتيك وذو تبع .  
فجعل يمز رأسه ويقول : ولي العهد يزور عدو العرش بدون اذن الملك !؟  
ان بلقيس اذن ستصبح ملكة ... هذا .. اذا بقيت ! .

— مع اني عرفت يا مولاي انه سيجعلها من حظاياها ولز قتل شرحبيل ،  
— اما انا فلا اصدق كلمة واحدة مما تقول، لقد تعلم عمرو الدهاء وهو يجرب-  
دهاءه بابيه وبك انت امين سره .. واقسم بترية حير انه كاذب .. لا لا .. ان  
الملك لا يرضى بهذا وسأحطم العرش بيدي اذا انا عجزت عن تحطيم عز شرحبيل-  
ايه يا عمرو لقد خدعت الامراء جميعهم ولكنك لست قادراً على ان تخدع اباك-  
الذي يعرف الرجال اكثر مما تعرفهم انت .. لك ان تزور بلقيس عندما تشاء-  
ولك ان تضع يدك بيد شرحبيل وتعهده على الوفاء . ولكن لا تنس انك  
تعاهد فتاة ورجلا يفاجئهما الموت بعد حين .

واستوى جالساً وهو يهيم بالنهوض من فراشه والذهاب الى قاعة العرش ليعود  
ملكاً كما كان . ولكن السل القاهر كان يقيد رجايه بقيود من الحديد لا تستطيع  
ان تجرها قواه .

اما ناسر فقد استلذ مظهر الملك وبدأ يهضم فريسته ولم يشأ الا ان يستغل  
الموقف من جميع نواحيه ، فقال وهو يتظاهر بالاكتئاب : لا تغضب يا مولاي  
خولي العهد لا يتزوج بلقيس وانا حي!  
فتنهذ قائلاً : لقد اقسم شرحبيل في هذا النهار انه لا يزوجه ومع ذلك فقلبي

يحدثني بان هنالك شراً وباني لا اغض عيني حتى يستولي ابن عمي على عرش آبائي  
ويعلمس الزمان ملك ذي القرنين وذكره الى الابد .

قال : الا يجوز ان تكون حرب الحبشة هي التي دعت ولي العهد والاميرين  
الى زيارة ابن عمك ؟

واي رأي لشرحبيل في هذه الحرب وهو باق في مأرب لا ينقل اليها قدما .  
الي واثق بك يا ناشر فلا تغفل عن عمرو وانتقل غداً امر الملك الى قواد الجيش  
وان بعدوا عدتهم ويتهأأوا للرحيل .  
— سأفعل يا مولاي .

— ولا تنس ان تقول لولي العهد ان الجيش اليمني يجب ان يكون على ذلك  
الضابط . قبل ان يصل اليه الحبشان .  
— نعم يا مولاي .

واستأذن في تلك اللحظة غلام الملك ودخل .

ففاجأه مولاه قائلاً : اين كنت يا غلام ؟

فرأى المسكين الغضب في عيني الملك فتردد قليلاً ثم اجاب بصوت ضعيف  
قائلاً : لم اترك البلاط يا مولاي .

فنهض امير ظفار عندئذ وطلب ان ينصرف ، فقال له الملك : أتعرف من  
هذا ؟

— اعرف انه من غلمان الكاهن الاعظم .

— اما اليوم فقد اصبح من غلمان البلاط .. اذهب يا ناشر واحذر ان تنسى

ما اوصيتك به ..

فانصرف وهو يهزأ في سره بالملك وغلामه .

ثم قام عباد فقال : بل كنت خارج البلاط ولم ارد ان ذكر لك شيئاً امام  
ناشر ! .

— آمرك بان تثق به كما تثق بي فهو يحب الملك ويفديه بروحه .. قل اين

كنت في هذا الليل ؟

- لقد خرج ولي العهد من القصر فلحقت به ...  
 - ثم رأيته يدخل قصر شرحبيل بن عمرو ، أليس كذلك ؟  
 - نعم يا مولاي .. ولكن من ذكر لك هذا ؟  
 - الامير الذي اردت ان تكتمه سر  
 - وهل قص عليك حديث ولي العهد مع رفيقه ؟  
 - وما هو حديثه ؟  
 - كان يظهر للاميرين رغبته في رؤية بلقيس ويذكر لها غرامه ..  
 - وانت تسمع ايها اللعين ؟  
 - كنت اسمع كل شيء يا مولاي .  
 قال : احذر يا عباد فالملك لا يطيق ان تكذب .  
 - وانا اقسم لك اني لا اعرف ما هو الكذب .  
 - حسناً ، فانصرف الآن على ان تعود الي عندما يرجع الامراء الذين ذكرت  
 - ولكن امرني يا مولاي بان اثق بامير ظفار فهل افعل ؟  
 - احل ، ولا تكتمه كلمة مما تسمع .. ثم وضع يده على جبينه قائلاً : لا يتقل  
 له شيئاً الا اذا امرتك .  
 فانحنى الغلام وخرج ، اما الملك فاستلقت على فراشه لا ليغمض جفنيه ،  
 بل ليفكر في ولي عهده وفي هذا الداء الذي قيد يديه ورجليه .

\*\*\*

## ٢١

كانت بلقيس قد تهيأت للقاء الحبيب ..  
 وقد سألت اباه ان يستقبل ولي العهد كما يستقبل الملك اذا خطر له ان يزوره .  
 فلما اقبل القوم على الفناء جثا العبيد والغلمان على ركبهم بامر شرحبيل ،



وصافحه الامير وولده المدهاد بالاحترام والاحلال .

اما بلقيس فلم تظهر في الدهليز كما كان يظن ذو تبع بل وقفت في قاعة القبة كالملكة تنتظر ملكاً .

ونور وجهها يشبه تلك الانوار المتألثة في كل رواق من اروقة القصر .  
وكانت تنظر الى الباب لتبين ولي العهد الذي يخدم اباه ويذل ملكه كله في  
سبيل الفتة الحسنة التي لم ير لها وجهاً .  
والقلب يحقق غراماً وبكاد يذوب حباً .

ان حبيها المحدثي مع ولي العهد فليس عجباً ان يضطرب ذلك القلب العاشق  
الفياض بالمطافة

وكان عمرو يتلفت عن جانبيه وهو في الدهليز غله يبصر بلقيس في زاوية من  
زواياه وامير همدان يرسل اليه سهاماً من عينيه ويحس بالنار ، نار الغيرة القائلة  
تضطرم في داخله وتتحرق احشائه .

حتى باغ القوم القاعة فرأوا فتاة هيفاء تغمر ثغرها الابتسامة العذبة ، وتنشر  
عينها شعاعاً من الهيبة والوقار والجمال تمد يدها الى ولي العهد ، وتنحنى له بعظمة  
الملكات .

ثم تصافح الاميرين الآخرين وتدعو الجميع الى الجلوس كأنها ربة القصر العظيم  
الذي يشبه قصر ذي القرنين ، وكان أباه ابن عم الملك واخاها وارث امجاده ،  
لا وجود لها

ثم رأوا ولي العهد الراحل بثوب المجد والعز ، المتبرغ في احضان النعمة والجاه ،  
رأوه وهو اعظم الامراء شرفاً وابعدهم نفوذاً ، يقف امام بلقيس الفتاة كما يقف  
اليمني في هيكل آلمته وقد بهر جمالها عينيه ..

وقد نسي مقامه ، بل نسي نفسه . . فجعل ينظر اليها نظرة العاشق المفتون  
الذي يملأ الحب قلبه والاعجاب نفسه .

ولكن بلقيس لم تشأ ان تستسلم الى احساسها الكاذب ، اكثر من لحظة ،  
فحولت نظرها عنه لتحجي بعينيها الصافيتين ذلك الحبيب النبيل تحية الاخلاص .

الصادق والوفاء الدائم .

ثم جلست بالقرب من امير نخلة وقالت لعمرو :

كيف هو مولانا الملك في هذا الليل ؟

فقال وهو لا يعلم ماذا يقول : لقد نهكه الداء واستولى عليه الهزال والضعف !

قالت ان اليمن كلها تدعو له بالشفاء .

— ولكنه لم يربلقيس .. وهو لو رآها لرجعت اليه العافية .

فامست لهجتها لهجة عتب ولوم وهي تقول :

يخيل الي انه يؤثر الموت على ان يرى هذا الوجه .

فصبح دم الخجل خديه ثم قال : انقل اليك شرحبيل بن عمنا حديث الملك ؟

— اجل ولم يكتمني كلمة منه يا ابن العم .

— ولكنه حديث املاه عليه ضيق صدره ..

— بل هو حديث املاه بغضه وايثاره نفسه على ولي عهده !

قال : وما الذي تعلمه الاميرة عن هذا البغض ؟

— اهل انه يرغب في ان اكون من حظاياه !

— وانا اعلم انك ستصيرين زوجة لولي عهده الذي سيجلس على عرش حمير !

— غير ان الملك لا يرضى وليس على ولي العهد الا ان يختار له فتاة من بنات

الملوك ترضى أباه .

فاسودت الدنيا في عينيه وتمتم قائلا :

يختار الملك لنفسه من يشاء ويختار ولي العهد من يشاء .

قالت : لو كان لك يا ابن الغم هذا الحق لما مد الملك اصبعه في امر زواجك ؛

ولما اهان ابن عمه اليوم تلك الاهانة التي لا يزال اثرها في صدر العربي الشريف .

اي ذنب جنته بلقيس حتى استحققت غضب الملك ؟ بل ، انها ارادت ان تصون

عرضها وتحفظ شرفها وشرف قومها فلم يطق الملك ان يرى ابنة عمه عالية الجبين

شريفة النفس ولم يستطع الا ان يجاهر اباه بالعداوة بقوله : اقسم لي ان بلقيس

لا تزف الى ولي العهد .. اتعرف ما معنى هذا يا ابن العم ؟ معناه ان ابالك يخشى

ان يموت وتصبح بلقيس سيدة بلاطه .. ألا فلتطلب نفس الملك ولتقر عينه فانا لا انتهك له حرمة ولا اخالف له امرأ وهذا ولده سيد اليمن والنساء جميعهن بين يديه فليفعل ما يطيب له وليجعل زوجته اخت سابور الفارسي او بنت ملك الروم ...

ثم خفضت صوتها قائلة :

لقد بحث الآن بما كنت عولت على ان لا ابوح به لاحد ، ولكنني اردت ان تحسن ظنك بي وتقول في نفسك يوم ينتهي اليك امر الملك : لقد كانت لبلقيس كرامة احسنت للدفاع عنها ، وعز عرفت كيف ترفعه عن مواقف الذل .. نعم ، اقول هذا امام هذين الاميرين اللذين لا اعرفهما وأنا ارجو ان يكون لي عذر في دفاعي عن نفسي فبنت شرحبيل اذا كانت ادنى مقاماً من الملك فهي تساويه بالنسب ، وحمير جدي كما هو جده .

قال : ان الملك لم يقل شيئاً مما تذكرين .

قالت : لنفترض انه قال لك كل هذا فانت لا تذكره .. ومع ذلك فاي

شأن لي مع الملك اذا اراد ان يبعدني عن بلاطه ؟

— ولكنه لا يستطيع ان يفعل ما تقولين .

— بل يفعل كل شيء فليس في اليمن ملك سواه .

كما انه ليس في اليمن ولي عهد آخر يفعل ما يشاء ولا يبالي .. قلت هذه الكلمة منذ لحظة واعيدها الآن .

قالت : انها كلمة يقولها الملك وحده ..

— ويقولها ولده الذي يخاطب بلقيس وسترين اني لا ارجع عما قلت ولو

استعان الملك علي بجنوده :

فابتسمت ابتسامة فيها شيء من الاستهزاء وسكتت ، وهي تنظر الى الاميرين

نظرة حلر وخجل .

قال . الا تصدقين ما اقول ؟

— بلى ولكنني لا اريد ان ينتهي بك الامر الى هذا الحد . انتظن انه ليس في

العرب فتاة تشبه بلقيس حتى تشهر السيف من اجلها في وجه ابيك ويحرمك  
حقك بالعرش ؟

فبرقت عيناه قائلاً :

اما اني لا اجد مثلها فلا . . . واما ان الملك يحرمني حقني فهذا لن يكون والا  
فترية حبر لأملأن مأرب جيوشا وأخذ هذا الحق على رؤوس الحراب !  
واطل غرامه من عينيه ، وراح ذلك المستهتر يشرح هواه كأن بلقيس وحدها  
في تلك القاعة وليس للقوم وجود .  
وكان يقول :

مري ولي العهد بما تشائين فالعالم كله لا يستطيع ان يبعده عنك بعد الآن ،  
وان يغير كلمة مما سيقوله .

«عجي ما اقول ، هذا ابوك حاضر وهؤلاء الامراء يسمعون . اني اسأل ابن  
عمنا شرحبيل ان يعدني وعد شريف بان يزفك الي بعد رجوعي من مهرا ، وانا  
اعد بشرف آل حبر اني اتخلي عن كل شيء لي اذا قضت الحاجة بذلك ولا  
انكث لك عهداً

فارسلت عينها شعاعا غريبا وهي تقول :

ولكني اسمع الناس يقولون ان الملوك ليس لهم عهد فهم يعدون عندما تطيب  
لهم الوعود ثم ينسون وعودهم عندما يبلغون الغاية وتقضى الحاجة .  
قال : ليس لولي العهد غاية الا ان تسمي ربة القصر كما قلت .

فعرفت الاميرة مقامها . فابتسمت ثم جعلت تنظر الى القوم وهي تتردد في  
الجواب وفي ذلك التردد شيء من الدلال .

وكان هنالك قلبان تضطرم فيهما نار الحب ، قلب ولي للعهد العاشق الوهان  
وقلب ذي تبع الذي تنهشه الغيرة القاتلة .

وقد زعر عمرو لذلك التردد الذي رآه ، فالتفت الى شرحبيل قائلاً : كلك  
ايها الامير !

قال : اما انا فقد وعدت وانتهى الامر !

— ولكن الاميرة لم تعد كما رأيت !  
فخافت بلقيس ان تجود بذلك الوعد الغالي فيخرج امير همدان عن حده  
فيفضحها ويفضح نفسه ، فقالت :  
لا تتعجل في امرك يا ابن العم بلقيس باقية في مأرب وانت قادر على  
استعطاف الملك حتى يرضى !  
فحملته اجنحة الحب الى سماء العظمة والعز وجعل يقول : ان لم يرض الملك  
اليوم رضى غداً فالزواج لا بد منه وهو اعجز عن ان يحول بيني وبينه .  
فقالت في نفسها : لقد اتت الساعة ...

وتفرست في ذي تبع قائلة : من هو هذا الفتى ؟  
فاجابها قائلاً : امير من اعظم امراء اليمن يا بلقيس انه صاحب همدان وهو  
من اصدق الناس في خدمة ولي العهد . اليس كذلك يا ذا تبع ؟؟  
— بلى يا مولاي فانت مليكى ودمي ودماء قومي تبذلها عندما تشاء ...  
فاهتم ابتسامة الرضى واوماً الى عتيك قائلاً :  
وهذا عتيك بن روضه امير نخله الذي يجود في كل ما يملك في سبيل مولاه !  
— أبذهبان مع ولي العهد الى الحرب ؟  
— أبذهب ذوتبع ويبقى عتيك الذي يطيب له ان يقص على الملك الحكايات  
قالت : اخشي ان يقل حولك الانصار في مهرا فتظفر الحبشة .  
وتظاهرت بالخوف .

فقال : اطبق شفتي في الحرب على اسم بلقيس ثم اخوض المجال وحدي واحود  
ظافراً ...

— ولكن هذا لا يكفي يا ابن العم .  
— بل يكفي ، فعدي بانك ستكونين لي وانا اعبر البحر واغزو الحبشة ولا  
ابالي ...

فاطرقت قليلاً ثم قالت : اخاف ان يدفعني هذا الوعد الى ما اكره .  
— ماذا ؟

– بل اخاف ان ينتهي بي وعدي الى الموت .

– وكيف ذلك يا بلقيس ؟

فاجابته بهدوء : ستسأل اباك غدا ان يأذن في الزواج فيأبى فتصبح بين امرين اھونھما ان تترك بلقيس الى الابد .

قال : اھون علي الخروج عن طاعة الملك !

قالت : لا تهزأ بي .

قال : اقسم لك اني سأفعل اذا قضت الحاجة .

قالت : لا تنس ان الملك يستعين على اموره بالسيف ولا يعبأ بولي عهده اذا

ھو لم يسمع له !

– انه لم يعد قادراً على الالتجاء الى ما تقولين .

ثم بالغ في زھوه وقال : وولي العهد الذي تربته الآن ھو الملك !

فانحنت قائلة : اذن اسألك يا مولاي الملك ان تفكر فيما تقول قبل ان

تعد به ...

– لقد فكرت في ذلك قبل ان اجيء ولسك تراجع الى البلاط الا اذا

وعدت ...

فقالت لابيھا : الاتخاف ان يغضب الملك يا مولاي ؟

– بلى ، ولكني لا استطيع الا ان اطيع ولي العهد .

فخرجت عندئذ من فھما تلك الكلمة العذبة التي ينتظرانھا الفتى المغرور

قائلة له :

انا لك ...

واحس امير ھمدان ان سھما يحترق قلبه .

اما عتيك فقد بدت ابتسامة الظفر على شفثيه .

• • •

كان الملك يسعى الى تحطيم آمال شرحبيل بالعرش ، والداء الذي لا يلين  
يمشي بخطى واسعة هوجاء ويدفعه يديه الحديديتين الى الموت .

أجل ، لقد كانت تلك الليلة ليلة ألم تغلغل فيها اليأس الى صدر الملك  
واستولت عليه ثورة الخلية التي هي ثورة الجنون .

ايكون ملك حير ، وهو عاجز عن انقاذ عرشه واضعف من ان يرد ولي العهد  
الى هدهاء ؟ وهل يقضي الفاتح الجبار لياليه بين جواريه يستند اليهن في قعوده  
ونومه يستعين بهن على رفع رأسه ؟

نعم ، تلك هي جبال ذي القرنين .. وقد اشتد الداء في ذلك الليل وجار ،  
وخرجت دماؤه من صدره فيها قطع روحه ، حتى تلاشت قواه ونسي بلقيس  
وشرحبيل وولده وعرشه .

لقد عاد غلامه عباد ينقل اليه خبر رجوع ولي العهد ومن معه الى البلاط .  
فلم يشأ ان يفتح عينيه ، بل لم يستطع ان يعالج ألمه بشيء من الصبر .  
كان يري شبح الموت وعيناه مغمضتان ، ويضع يديه على صدره ليسكت  
ثورة النار المضطربة في داخله .

فرجع عباد الى الحجرة التي اعدت له ، على امل ان يخبره في الصباح ، ما لم  
يخبزه اباه ، في ذلك الليل !

وكان ناشر قد قص على ولي العهد كل شيء فهم بان يدعو عبادا ويضرب  
عنقه في تلك الساعة ثم يأمر عبيده بان يحملوا جثته الى وتار دمر !  
ولكنهم منعه ، واستطاع عتيك ان يقنعه بان الحكمة تقضي عليه  
بالاستسلام الى الصبر والهدوء ، والظهور بمظهر الجاهل الذي لا يعلم شيئا مما  
يحدث في البلاط .

كما انه وعده بانه سيحبط مساعي عباد ويضيع دهائه ودهاء سيده الكاهن  
الاعظم .

ثم جعل الجميع يتهامسون ، وانتهى ذلك التهامس ، الى ان يزور عمرو اباه في  
تلك الساعة ويقص عليه خبر ذهابه الى قصر شرحبيل ، ثم يصف له تلك الغاية

التي دفعته الى الزهَاب .

ومشى ولي العهد متردداً ، وهو يرى غضب الملك ماثلاً امام عينيه .  
وكان الصمت الرهيب يسود حجرة المسلول ، حتى خيل الى الفتى ان الملك  
وجواريه يغطون في النوم .

فدخل وهو يجس انفاسه ، فرأى الجواري حول الفراش ، ورأى اصفرار  
الموت يغمر وجه المريض الضعيف ، الذي انهكته الآلام .

فقال وهو لا يخفص صوته : لقد نام الملك وسأراه عند الصباح .

ففتح ذو القرنين عينيه لصوت وحيدته وتم قائلًا :

لقد جفاني النوم يا بني ولم يطبق الملك جفنيه الا على ألمه .

ومد يديه الى الجواري يستعين بهن على الجلوس .

فقال : صبراً يا مولاي فسيزول هذا الألم بعد حين .

— بل قل ان ساعة الملك قد دنت وان الموت يزحف اليه وسينشب مخالبه .

اين كنت الآن يا عمرو ؟

— كنت في قصر شرحبيل يا مولاي !

فظهرت تلك الابتسامة الصفراء وجعل يقول :

نعم ، خير لولي العهد ان يسامر شرحبيل بن عمرو من ان يسامر اياه ! وماذا

رأيت في قصره ؟

— رأيت فتاة ساحرة العينين فتاة المحاسن .

— اذن رأيتها كما وصفت لك ؟

— بل كان الوصف اضعف من ان يبلغ الغاية .

— وقد هولت على الزواج يا بني ، أليس كذلك ؟

— لا يا مولاي بل عولت على قهر شرحبيل بجعل بلقيس حظية للملك ولولي

عهده من بعده .

فتنهدهم الداهية قائلًا : ولكن شرحبيل سيقهر الملك وولي عهده بجعل بلقيس

ملكة .



فقهه الفتى ضاحكاً كأن أباه في مجلس شرابه وقال : سترى يا مولائي اي رجل هو ولي عهدك !

قال : ألا تحذني يا عمرو بكل ما جرى لك ؟

— بلى ، لقد سألت ابن عمنا ان يفي بوعدہ ويأذن في الزواج .

— وكان ذلك الوفاء ، وانتهى الامر !

— ولكنه تردد كثيراً في جوابه وكان خائفاً !

— لماذا ؟

— لانه غير واثق بان ولي العهد سيتزوج بلقيس .

فبرقت عيناه قائلاً : لا تكتم اباك ما فعلت يا عمرو فالامر اعظم مما تظن .

قال : لو اردت الكتمان لما أتيت في مثل هذه الساعة انقل اليك خبر ذهابي

وما حدث لي .

— وبعد ذلك ؟

— اقسمت لشرحبيل اني سأجعل ابنته زوجة لي فاستسلم اخيراً ورضي بما

طلبت .

ولكن جاء عندئذ دور بلقيس فترددت ما طاب لها التردد ثم رأيت اخيراً

ان ترددها كان دلالة !

— ومتى تصبح حظية لك ؟

— عندما تنتهي الحرب بيننا وبين الحبشان .

فقال في نفسه : اخذع اباك يا عمرو ما شئت ولكن لا تنس انك اضعف منه

في ميادين الخداع .

ثم قال له : لقد احسنت يا بني فاذا مات ابوك مات قرير العين بولده الذي

يصلح لعرش حمير .

فقام ولي العهد يستأذن في الخروج .

فاستوقفه قائلاً : ألم تنظر بعد في امر الجيش ؟

— سافعل غداً كلما تشاء وسيكون الجيش اليمني عند حسن ظن الملك به .

قال : أرى ان ترسل الرسل الى الاقاليم في هذا الليل وليكن عددا لجيش اكثر من عشرين ألفاً .

— سنجعله ثلاثين ألفاً يا مولاي .

— وليدع صاحب همدان قومه جميعهم ليحملوا السيف ولا تنس هذا ..

— نعم يا مولاي !

— واذا رأيت ان تضم الى جيشك جيش ذي مغار والغوث بن راهط وجبار ابن دوير فافعل ..

— ولكنهم اعداء الملك يا مولاي !

— والملك يريد ان يرسل اعداءه الى الميادين .

قال : اخشى ان تستيقظ العداوة في صدورهم ونحن في ساحة الحرب .

فسكت الملك لحظة ثم قال : اي اذك تخاف ان يخونوا اليمن وينضموا الى جيش العلي اسكندي ؟

— اجل ومن يعلم فقد يخطر لهم ان يفعلوا ذلك فنخسر الشرف ونهزأ بنا العرب .

فقال : اذن دعهم في مخاليفهم فلا حاجة لك الى احد منهم الآن !

ومد يديه من جديد الى الجوارى فساعدته في الاستلقاء وكان ذلك امراً لولي العهد بالانصراف الى حيث يشاء كأنه لا يطبق النظر الى ذلك الولد الخائن الذي يماشي اعداءه ! ..

وعندما أغضض عينيه ، اغمضهما على فكرة هائلة كانت تجول في صدره المختنق ...

\* \* \*

في مساء اليوم الثاني أقبل الغوث بن راهط على قصر شرجيل ومعه عبدان له يقودان فرسيه .

وقد مر بذي مغار - وهو في خلافه - قبل قدومه ، وتعاهد الاثنان على  
المجيء الى مأرب ، الواحد وراء الآخر ، كي لا يلتقا اليها العيون .  
وكان شرحبيل يعرف مقام الغوث في بلاد قومه ، كما كان يعرف منزلته واباء  
نفسه ، وعظمة امارته .

فلما خبروه بوصوله ، عجب لهذه المفاجأة . ثم ايقن بانه ناثر ، وان قتل جرول  
واخيه أخرجه عن حده وهيج عشيرة بني سعد .  
ومتى ثارت برقش ثارت بينون ، وامتدت النار الى المخاليف التي تجاور  
الامارتين ، وهذا ما يرغب فيه شرحبيل ورجال المؤامرة الذين عرف .  
ولم يكن بين الاميرين عهد ولاء ووفاء ، بل كان هنالك تعارف ، يضم  
كلاهما معه للآخر ، شيئاً من الاعجاب والاحترام !  
وشرحبيل ، في نظر الغوث ، اعظم امراء اليمن وابعدهم نفوذاً ، لانه من  
سلالة حمير ، وهو ابن عم ذي القرنين .

دخل امير براقش ، ففحص له شرحبيل وابتسم وتقدمه الى قاعة الجلوس .  
ودلائل البشر تبدو على جبينه الواضح .  
ثم اقبلت بلقيس والهدهاد وتم التعارف بين الثلاثة .

ولكنهم لم يبدأوا حديثهم حتى دخل ذو مغار ، فقال له شرحبيل : يخيل الي  
ان بينك وبين الغوث عهداً على المجيء في هذا الليل .  
- نعم وهنالك امر لم نستطع الا ان نشاورك فيه .  
فنظر الى الغوث كأنه يسأله عن ذلك الامر فقال :  
الا تعلم ايها الامير كيف استخف الملك بي وبقومي ؟

فأجابه قائلاً : بلى ولكنها ساعة جنون ، وللملك ساعات يستخف فيها بجميع  
الناس .. أتعني قتل جرول ؟

- أجل ، وهؤلاء قومه بنو سعد لا يريدون الا ان يلجأوا الى السيف ليغسلوا  
عارهم !

قال : لا تتعجل ايها الامير فالملك لا يعبأ بالسيف عندما يشفى ...

— ونحن لا نطبق ان نسكت على ذل ..  
— خير لك ان تصبر من ان تغوص براقش في لجة القناء !  
وكان ذو مغار ساكتاً والابتسامة لا تفارق ثغره ؟  
فقال الغوث : ولكن انصار براقش لا يسكتون وهم الامراء اصحاب المفاخر  
والجاءه .

قال : اذكر هؤلاء الامراء يا ابن راهط .  
قال : جبار بن دوير ..  
قال : اراه بضن يدماء قومه فلا يبرز الى الساحة .  
— لقد وعدني بذلك وهو ينسى ما وعد .  
— وانا اقول انه لا يخوض المجال الا اذا رأى جوله نصف اليمن .  
قال : كنت اظن ان الامير الاكبر سيغضب معي لكرامة بني سعد .  
— وكيف اغضب لها وهي ليست لي ؟؟ أفلم يعلم الغوث بن راهط ان الملك  
استخف بي ، وانا ابن عمه قبل ان يستخف به ؟ فلماذا لم يغضب الغوث ويغضب  
بنو سعد معه لكرامة شرحبيل التي هي كرامة الامراء ؟؟ قل يا ابن راهط .. ماذا  
فعلت عندما اراد الملك ان يذلني ويعيث بشرفي ؟ احملت سيفك وتقدمت قومك  
الى مأرب لتدافع عن الكرامات ؟؟ ارفعت صوتك في براقش وملأت اليمن وعيداً  
وتهديداً ؟؟ ماذا فعلت ؟ لقد ضحكك في شرك وهزأت بشرحبيل الذي تسأله  
الآن ان يكون عوناً لك ؟

وكان الفرح يملأ قلب شرحبيل في تلك الساعة لظهور هذا الصبر الجديد الذي  
يساعده في امره .

وجعل يحرق الى الغوث ويحاول ان يقرأ ما في نفسه . فقال : لا اصدق ان  
ذا القرنين يحاول ان يذل ابن عمه ..  
قال : اسأل ذا مغار ..

— بل اسألك انت ايها الامير وارجو ان تثق باني لا اعلم شيئاً مما ذكرت .  
فقال ذو مغار : صدق الغوث فهو لا يعلم شيئاً كما قال .

فاوماً شرحبيل الى بلقيس قائلاً : ترى هذه الفتاة ؟ ان الملك ارادها  
حظية له !

— ألم يكتف بمن في قصره من نساء ؟

— لا بل كان يطمع في بلقيس لينذل اباهـا ويخفض رأسه !

فنهض قائلاً : اقسم للامير ان براقص ومن فيها من عشائر ملك له ؟

— واذا ندبت هذه العشائر الى حل السيف الآن ؟

— لا يمر شهر حتى ترى سيوفها تلعب في مأرب .

— ويفعل مثلك جبار بن دوير ؟

— نعم فقد تهبأ للامر وسيقود جنوده عندما تصل اليه كلمة الامير .

— اذن فانتم تلجون في طلب الحرب .

— اجل ولا نرضى بالخروج عن طاعة الملك . بل نرغب في قتله وقتل ولي

عهده وجعل العرش لامير حميري نحترمه اليمن هو انت !

قال : ان الساعة التي تفكر فيها لم تأت بعد .

فقالت بلقيس : ولكنها آتية فليكن الامير على حذر وليتهيأ لها .

ثم قالت : ستشب الحرب بين اليمن والحبشة بعد شهر على الاكثر فهل

تعرف هذا ؟

— عرفت ذلك في هذه الليلة وأنا في مأرب .

— وقد يخطر للملك ان يدعوك ويدعو جباراً الى اخاد نارها فاذا تصنع

اذا فعل ؟

— اترك اليمن الى نجد او الحجاز ولا اعود الا بعد ان يرحل الجيش الى مهرا

وتتلاحم السيوف .. ولكن الملك لا يفعلها ولا يخطر له ان يندبني الى حرب .

— وهل تعد الآن بان تطيع ابني في كل امر يأمر بك به ؟

— لقد اقسمت ان براقص له ولست براجع .

— ويطيب لك ان يتربع ابني في العرش اليس كذلك ؟

— نعم ولا يصفو لي عيش حتى يغطي التاج رأسه .  
— اذن فاعلم ان ملك ذي القرنين سيزول ، وان التاج الذي ذكرت سيستقل  
من رأسه الى رأس شرحبيل .  
وجعلوا يتحدثون ويستعرضون القوى ، فأواكيا قالت بلقيس ان ملك  
ذي القرنين سيزول .  
ولم يخطر لاحدهم ان الاقدار ستغير ذلك المهناج الذي وضعوه .

• • •

## ٤٢

كانت صفوف الجيش تزدحم في مأرب ، وولي العهد يزور كل ليلة قصر  
شرحبيل فلا يرى غير مظاهر الحب ولا يسمع غير كلمات التكريم والاهجاب .  
اما ذو تبع فقد استطاع ان يختلس في احدى الليالي بضع ساعات ،  
ويشكو الى حبيبته غيرته وهواه ، ويصفى من جديد الى تلك التصائح التي تعلله  
بالآمال والمنى .  
وبعد بضعة ايام غادر الجيش مأرب ولم يبق في البلاط من الامراء غير ناشر  
وعتيك ومن انصار الملك غير ذلك الغلام عباد ، يستنده ويغذيه من وراء الستار ،  
مولاه وتار ذمر الكاهن الاعظم .  
وكان الملك في ذلك الحين مشلول الاعضاء غير ان روحه الخبيثة لا تعرف  
المهدوء ، وحققه الغريب على شرحبيل لا يقف عند حد .  
اجل ، كان يحاول وهو على فراش الموت ان يرسل هذا الموت الى الآخرين  
محمولا على رؤوس الخناجر الحادة .  
كان همه ان ينجو من شرحبيل وبلقيس قبل ان يعود ولي عهده من  
ساحة القتال .  
وكيف ينجو من الاثنين اذا لم يعمد الى الخنجر ؟ بل كيف ينقذ تاجه من

يد عدوه وعدوه حي ؟

ان ابن عمه طامع في العرش فيجب ان يموت !  
وذو القرنين لا يثق باحد كما علمت ، وثوقه بناسر ، فدعاه اليه بعد سفر  
الجهيش وباح له بتلك الفكرة الهائلة التي يستطيع ان يبلغ بها غايته وهي فكرة  
القتل !

فلم يعجب امير ظفار لتلك الفكرة ، ولم يبد على وجهه شيء من الاستغراب .  
ان القتل آخر ما يلجأ اليه ذو القرنين في جميع القضايا الصعبة التي تعرض له .  
وليس اهون عليه من ارسال بضعة رجال يكمنون لعدوه ، ويخطفون روحه .  
وقد يرسل هؤلاء الرجال الى منزل ذاك العدو نفسه .. او يعمد الى قتله في ظلام  
الليل وهو في احد اروقة البلاط !

وكان الدهاء يملئ على ناسر ان يجاريه فقال :

وفي اي موضع يريد الملك ان يقتل ابن عمه ؟

فقال وصوته الضعيف يتردد في صدره : ادعوه بعد بنضع ليالى الى البلاط  
لاباحثه بشأن الحرب ، ثم ارسل عبادا ومعه بعض الغلمان فيقضون على بلقيس  
وهي مستسلمة الى الكرى ويبقى شرحبيل في احد سراديب البلاط الى الابد ...  
ولكن كيف يقتحم غلمانه قصر شرحبيل يا مولاي ؟

يدخلونه باسم شرحبيل نفسه بحيلة يملئها الملك ، وتفتح لهم نعى الابواب  
التي تؤدي الى حجرة الفتاة !

— ومن تختار من الغلمان ؟

— يختارهم كاهن مأرب ثم تختفي آثارهم بعد ما ينتهي الامر .

— وعباد معهم ؟

— اجل ، فلم يبق من عمر عباد غير بضعة ايام .

— اي ان مولاي يستعين على اخفاء القتل بالقتل .

— نعم وستعلم كل شيء في الليلة القادمة بعد ان يجيء وتار ذمر واستشير

في ذلك .

— بقي علي ان اقول لمولاي كلمة .  
 .. قل .  
 — من يقتل شرجيل وهو في بلاطك ؟  
 — انت وعتيك ويتولى الغلمان امر دفنه في احد السرايب .  
 فضحك قائلاً : لقد دنت ساعة هذا الامير المتآمر على العرش .  
 ركان يقول في نفسه : مسكين انت يا مولاي تحفر القبور للآخرين وقبرك  
 غانح لك ذراعيه ..  
 وظهرت علام الفرح على وجهه ..  
 فقابل الملك فرحه بابتسامة اشترك فيها الالم ثم جعل يقول :  
 اما الملك فسيموت ولكن بعد ان يموت جميع اعدائه .  
 وأمره بالذهاب قائلاً : اكتم الناس ما سمعت وسأدعوك عند الحاجة اليك .  
 وقال للجارية التي تقوم عند رأسه : لا تفتحي الباب لاحد الا بأذن الملك .  
 واخذت شفتاه تهمسان في اذن المضاء الفاظ اللعنة والحقد ، ولو ظهرت تلك  
 الالفاظ ، لظهرت عليها دماء كبده .  
 وبعد لحظة كان رجلان يتحدثان .. ويتآمران .. هما امير نخلة وامير ظفار .  
 وقد تهيئا لطوارئ الزمان ...

\*\*\*

## ٤٣

الجيش الحبشي بقيادة افرونيم وعلي جناحيه سامور ووهز . والجيش اليمني  
 بقيادة ولي العهد وعلي جناحيه معدي كرب وعبد شمس .  
 اما ذو تبع فن اركان الحرب ، ولكنه لم يتول قيادة الصفوف بل كان رقيقاً



ومستشاراً لقائد الاكبر .

وكانت حرباً راقية بين الجيشين .. لا حيلة فيها ولا خداع .. الصفوف تبارز الصفوف في وضوح النهار، والسيوف تتبين على نور الشمس ، طريقها الى الرؤوس والاجسام .

وكل قائد يستعين بايمانه وقوته وصبره ، على ان يقهر الآخر ويغلبه في الصراع .

وليس في القضية لين ومزاح .. فاما ان يفنى جيش الحبشة وترقد رجاله في جوف البحر وعلى الرمال، واما ان يسقط الجيش اليمني في الميدان ، جثثاً مهشمة مهبوغة بالدماء .

وكثيراً ما تكون الحرب في اول عهد هاشجالا ، يوم لك ويوم عليك . ولكنها عندما تمر الايام وتخور القوى ، ترجح كفة أحدهما على كفة الآخر ويهيي الضعيف وتدوسه الاقدام .

هكذا كانت حال الجيشين في الايام الاولى ، يدم الحظ للعرب فتحترق رماحها صدور الاعداء ، وتفصل سيوفها الرقاب عن الاجساد ، ثم يكفهر لها الجرح ويسود الافق فتراجع الى الوراء متضعضة مذعورة من سيوف الحبشان . وافرونيم وعمره ، قائدان لا يهيي لهما عزم ولا يخونهما الصبر ، ولولا تلك الخفة وذلك الغرور للذان هما صفتا ولي العهد ، لكان في جرأته وشجاعته واستخفافه بالموت اعظم قواد اليمن .

اجل ، كان ذلك الفتى المستهتر الطائش ، فارساً تنحني له رؤوس الفرسان، وتصغر عند قوته رؤوس الابطال المجريين ، كان بطلاً في هجومه ، وبطلاً في دفاعه وعزيمته ، في تقدمه وتأخره ، عزيمه جبار لا يلوى له عود .

وكان ذوتبع يحاربه في المجال ، ولا تراه الا في مقدمة الصفوف يطعن الرجال حتى مرت تسعة ايام وضاعت الصلور .

وكانت الليالي كلها هدنة بين الفريقين تحمل فيها الجثث وتطرح بين الصخور • ففي مساء اليوم التاسع قال ولي العهد لقواده :

لقد ثبتت الحبشة وانا اخشى ان تضيق للعرب رجاءها اذا طال الزمان .  
فجعل كل واحد من القواد يدي رأيه ، ولكنه لم يعبأ بكل ما سمع بل كان  
رأيه العدول عن تلك الهدنة والبقاء في الميدان في اليوم العاشر ، حتى يظفر جيشه  
او يستسلم الى القوة .

وذو تبع اول من وافقه في ذلك الرأي .  
ثم اقبل مع قواده الى خيام الجنود ينفخ القوى في صدور الرجال ويدعوهم  
الى الاستبسال في اليوم الثاني .

الى ان طلع الصبح وهو يطوف بين الصفوف  
وكان ذلك اليوم يوم رهبة ورعب ، لا تذكر معه الايام التسعة ، فقد دهم  
جناحاً الجيش العربي صفوف الحبشة ، واقتحمت رجالها تلك الرماح الطويلة  
تفرق اصحابها بحد السيف وتبعث الذعر الى القلوب ..

هجوم عنيف غريب زعزع الاركان المتلاحمة واضطرب له الحبشان ..  
انه صواعق تنقض على الرؤوس وتيار لا يرد ..  
وقد ارتفعت اصوات افرونيهم واركان حربه تستنهض الهمم وتعيد الآمال ..  
وقلب الجيش اليمني الذي يقوده ولي العهد لا يتحرك ولا ينقل قدماً الى  
الساحة .

كان تلك الحرب لا يد له فيها ولا تعنيه .  
حتى تغير النظام واشتركت صفوف الحبشة في رد التيار الصخاب ، وضاعت  
أصوات القواد في الفضاء .

والساعات تمر .. وجناح العرب كالجيل الراسخ لا يرجعان الى الوراء ولا  
تفرقهما الرماح . وكلما حصدت السيوف صفاً تقدم الصف الذي يليه يطالب  
بدمه .

فلما رأى ولي العهد وذو تبع ذلك الاضطراب ، وذلك التغير والانقلاب ،  
تحرك القلب الذي يضم نخبة اليمنيين ، ووثبت الخيل وثبة واحدة من الجانب  
الشمال فغاصت مع فرسانها في تلك اللجة الرهيبة المتلاطمة الامواج ، وحجب

الغبار الفضاء من الجهات الأربع ، وملأت اصوات الاستغاثة والالام ذلك السهل  
الاحمر الذي تغطيه جث المتحاربين .

وكانت ساعة تعب فيها ملاك الموت من خطف الارواح ..

ثم رفع ذلك الحجاب عن فلول الجيش الحبشي تمن في الهرب ، وعن جثتي  
سامور وافرونيم تحت حوافر الخيل ، وعن ولي العهد الباسل ، مصاباً بجرح في  
كتفه اليسرى ومحولاً على ايدي رجاله

وقد جعلت السيوف والخيل جث العرب والحبشان ، اشلاء تقشعر لها  
الابدان !

ولم تغرب الشمس حتى لجأ الجيش العربي الى خيامه وقد خسر بضعة آلاف .  
وفي ذلك الرواق الفخم الذي ضرب لعمر بن ذي القرنين ، اجتمع قواد  
العرب ورؤساء الفرق ينظرون بشيء من القلق والخوف ، الى ذلك الجرح الكبير  
الذي احده في كتف ولي العهد ، سيف سامور الحبشي قبل ان يسقط ميتاً بضربة  
من سيف صاحب همدان .

أجل ! كان افرونيم وولي العهد قد تلاقيا في الميدان ، وكان النائد العربي  
اطول سيفاً من ذلك القائد الاسود الشجاع ، فهو ي بطل الحبشة عند قدمي بطل  
اليمن ..

ولكن الظافر لم يتسم لظفره ، حتى فاجأه سامور من وراء بضربة اصابت  
كتفه ثم هم بأن يرسل اليه ضربة اخرى تصيب رأسه ، ركادت حياة ولي العهد  
تلهب كما ذهبت حياة افرونيم ، لو لم يعرض الهمداني لسامور ويبري عنقه .  
اذن لعمر بن ذي القرنين مدين بحياته لأمير همدان ، لعدوه بالامس ، وصاحب  
لمره اليوم . ولولا اخلاص هذا العدو ووفاءه ، لخسرت اليمن ولي عهدهما ،  
ومات ذو القرنين ولا وارث له ..

نعم قد يكون الفضل في ذلك الاخلاص لبليقيس التي اوصت حبيبها به .  
ولكن الفتى الذي ينتصر على غرامه ، وتغلب وطنيته ذلك الغرام ، في مثل هذا  
الموقف الذي ينقذه من عدوه ، هو الفتى الذي لا تغمط له نعمة ولا ينكر له فضل .

وولي العهد ، الذي لا يذكر معروفاً ولا يكافىء الجليل بالجليل ، لم يتردد ، وهو يتألم من جرحه ، في الوفاء الذي اظهره له ذو تبع .

وكان يقول لمن حوله : لولا هذا الحمداني لكان هذا السهل قبراً لولي عهدهم ولعظم الجيش الذي يقوده .

ووثق به . منذ تلك الساعة كما يثق بالسما ، وجعله اعظم المقربين شأناً وارفعهم مقاماً وبألف في اظهار رضاه بقوله له على مسمع من اركان الحرب :

ساجدك قائد جيش اليمن الاكبر عندما ينتهي الي امر الملك .

وذو تبع لا يعبأ بتلك الوعود ولا يبالي بذلك الرضى ، بل كان يفكر في بلقيس ويسأل الآلهة ان تجود على ولي العهد بالشفاء ليعود الجيش الى مأرب ، فيرى ذلك الوجه الذي منعه الحرب من ان ينظر اليه .

غير ان هنالك فنى آخر كان يفكر مثله هو ولي العهد ، وكان ذلك الضكير العذب يساعده في الشفاء .

كان واثقاً بانه سيتزوج بلقيس بعد رجوعه الى بلاط ابيه ، وذو تبع المسكين لا يعلم في اي يوم تأذن له بلقيس في الزواج .. بل في اللقاء ..

حب خفي لا يجسر على الاعتراف به الا لانصاره ، واردة الفتاة التي اوجب ، ارادة من الحديد لا تلين لعاطفة ولا تستسلم لغرام .

ومن يعلم كيف ينتهي الامر بينها وبين الملك ؟ انها ستستعين بالولد على الوالد كما قالت وقد تنشب الحرب بين الاثنين من اجل ذلك الزواج فيخضع الواحد منهما لقوة الآخر ، وتعتمد هي الى القوي فتسحقه بفضل الرجال الذين حولها وتلبس التاج ، او يخونها الحظ فتسقط ويضمحل ذلك الحلم الذهبي ويتلاشى الامل .

واغرب من هذا كله ان ذا تبع سيحارب لحساب عدوه ولي العهد وهو لا يعرف اي جزاء تعده له الاقدار .

وكاد يتغلغل اليأس الى فؤاده ، لولا ذلك الامل الضعيف الذي يعلل نفسه

به .

ومرت الايام وولي العهد لم يشف ، فقد قطع سيف سامور لحم كتفه وأثرر  
في العظم .

وقواد الجيش والجنود لا يعدون ماذا يحدث في مأرب حتى ان عمراً لم يخطر  
له ان يفكر في ابيه او يسأل عنه !

...

## ٤٤

قص عتيك على شرحبيل وابنته جكاية القتل الذي يتهماً له كاهن مأرب العظيم  
وتارذمر وذو القرنين .

فضحكت بلقيس كما يضحك الواثق بنفسه ، والمستخف بقوة عدوه .  
ولكنها ارادت بدورها ان تستعد للامر من جميع نواحيه ، دون ان يشعر  
ذو القرنين بان هنالك شيئاً من ذلك الاستعداد .

وكانت تعلم ان عتيكا صاحب تدبير ورأي فقالت له :  
اي عذر تعتذر به للملك عن مجيئك البنا في هذا الليل ؟  
- الملك لا يعلم اني خرجت من البلاط .

ولكنك تقول ان عين عباد لا تنام .

- وعباد نفسه لا يعلم فقد دعاه مولاه الكاهن عند المساء ولم يرجع واطير  
انه يساعده في اختيار الغلمان الذين سيغمدون خناجرهم في صدر بلقيس وهي  
نائمة ..

فابتسمت لذلك الموت الذي اختاره لها ذو القرنين وجملت تقول : ليس لي  
الا ان اشكر للملك هذه العاطفة فقد عرف اني اؤثر الموت طعناً بالخناجر على  
الموت بالسم ..

ثم قالت : وكيف يوم امير ظفار بتنفيذ الحكم الآخر القاضي بقتل شرحبيل ؟

قال : يخرج شرحبيل من حجرة الملك ويمشي في الرواق الكبير متجهاً الى  
الباب الخارجى فيطعنه ناشر طعنة قاتلة في ظهره ثم اطعنه انا طعنة اخرى يلفظ  
بعدهما روحه .

— وهكذا تنتهي حياة شرحبيل بن عمرو ابها الامير ؟  
— نعم فالحياة لا يملكها غير ذي القرنين فهو يهبها لمن يشاء من عباده ثم  
يسأبهم اباها عندما يشاء !

قالت : ماذا سمعت عن الحرب اني اسألك عنها قبل ان ننظر في قضية القتل !  
فعرف عليك ان الغرام يدفعها الى ذلك السؤال فقال :  
وماذا اسمع عن الحرب وهي لم تبدأ والجيش لم يصل الى ساحة القتال ؟ بلى  
سمعت خبراً لا اذكره الآن ...  
— بل تذكره دون ان تتردد .

— سمعت ان صاحب همدان كبابه جواده فكسرت يده اليمنى وشوهت وجهه  
جروح كثيرة في الجبهة والخلدين والعنق .  
— وبقي جياً أليس كذلك ؟  
— نعم ..

— اذن يكفي انه حي ولو شوهته الجراح .  
قال : اذكر للاميرة هذه الرواية التي ترددها الافواه ولا تبالي !  
قالت : لو كان خبرك صحيحاً لدلني عليه هذا القلب قبل ان تزويه .  
ثم قطبت حاجبها قائلة : ما هو رأيك في الامر الذي قدمك لاجله ؟  
فاطرق ملياً ثم قال : تفتح ابواب هذا القصر لعباد وغلما نه عندما يريد الملك .  
— ثم ماذا ؟

— ثم نجى نعمى بنت الريان وتقدمهم الى حجرة بلقيس ثم تقف عند راسها  
قائلة لهم : اضربوا جميعكم ضربة واحدة فتهوي الخناجر وتراجع نعمى الى الوراء  
لتحتجب عن العيون خلف ستار اسود يقوم في الزاوية التي هي الى جانب الباب .  
— وبلقيس ؟؟

— تكون بلقيس في تلك الحجرة لترى بعينيها خناجر الغلمان تحترق الوسائد.  
الثامنة في الفراش الوثير ؟

— اي انها تكون وراء ذلك الستار ؟  
— اجل ، كما يكون وراءه اربعة من الفتيان الاشداء الذين يعرفون كيف  
توضع الخناجر في الظهور والصدور ...  
فالتفتت الى ابيها قائلة : انه لرأي يا مولاي !  
قال : ولكن عباداً ورفاقه يمسون جثثاً ولا يطلع الصباح حتى يعرف الملك  
ويثور ناثره .

فقال عتيك : اخطأت ايها الامير فالملك يريد ان تبتلع الارض عباداً ومن  
معه قبل ان يبرغ الفجر ..  
— وكيف ذلك ؟

— يريد ان يحو بالجريمة آثار الجريمة ، ويملاً مأرب في صباح اليوم الثاني  
وعيداً وتهديداً ، ويرسل رجاله للطواف في الاحياء والاسواق عليهم يغثرون على  
الجاني قاتل بلقيس ..

— وماذا يصنع بقاتل شرحيل ؟  
— اما شرحيل فتختفي آثاره ولا يعلم الناس اذا كان ميتاً أم هو حي .. هذا  
ما يفكر فيه الملك اذا نفذت احكام الموت كما أراد .  
— والجثث التي تسقط في حجرة بلقيس ؟  
— يجعلها غلمان القصر الى الخارج وعلي الباقي .

قال : بقي ان نعلم كيف انجو انا من خنجرك وخنجر امير ظفار عندما اخرج  
من غرفة الملك واسمي في الرواق .

فبرقت عيناه قائلاً : يتصدى لك ناشروني يده خنجر مكسور الشفرة ،  
ويضربك ضربة يخيل الى الناظر انها ضربة بطل ، وهي ضربة جبان ، فتقع شفرته  
في صدرك على جسم صلب هو الدرع التي تلبسها تحمى الثياب ..  
فاصغت بلقيس الى تلك الكلمات وهي تعجب لدهاء ذلك الامير الناثر على

ملكه .

وكان يقول : ثم يبرز امير نخلة الذي يخاطبك الآن ويضربك من الورا فتصيب الضربة درعاً اخرى ويرتفع عندئذ صوت شرحبيل مستغنياً بالملك فتخرج العبيد والجواري والدعر يملأ قلوبهم ولكنهم لا يبصرون شيئاً فان شرحبيل يكون قد غادر البلاط .

— ولكنه لا يسكت عند هذا الحد .

— بل يسكت كأن الحادث لم يكن ويظهر لاهل مأرب ورجال البلاط ان بلقيس قتلت في ذلك الليل .

— وبعد كل ذلك ؟

— يدخل ناشر على الملك وبلعن هذه الدرع التي كسرت شفرته ومنعتها من ان تحترق قلبك !!

— ومتى تعود بلقيس الى الحياة ؟..

— عندما يغمض الموت عيني ذي القرنين ..

قال : اتزأ بي يا عتيك ؟

— لم يخطر لي ذلك ايها الامير .

— اذن يجب ان تخفي بلقيس وراء الجدر حتى يموت الملك وقد يعيش خمسين عاماً .

— بل يعيش بضعة عشر يوماً كأنه ميت ثم يصبح العرش بدون ملك حتى يعود ولي العهد .

قال : لا يعلم ذلك غير الآلهة .

ولكن هذه الآلهة وهبت لعتيك بن روضة شيئاً من هذه المعرفة . ان الموت يكن في فراش الملك ولا يلبث حتى يسلبه روحه .

فقالت بلقيس : يستطيع الداء ان يصرع ذا القرنين في مثل هذه السرعة ؟

— لقد صرعه هذا الداء فاصبح هيكلًا من عظام .

فارخت نظرها الى الارض وجعلت تقول : اذا كان هذا فقد تغير كل شيء



ولم يبق في الساحة غير ولي العهد .

— نعم لم يبق في الساحة غير ولي العهد وخير لشرحبييل بن عمرو ان يحارب رجلا من ال يحارب اثنين .

فتمتعت قائلة : اجل لقد دنت ساعة الحوب ، ان عمرأ الذي وعدناه بالزواج وهو ولي عهد ، سيعود من مهرا وهو ملك ، ويسأل ابي ان يفي بما وعد .

فارتسم الحقد على جبينه وقاطعها قائلا :

بل يعود من مهرا لتخرج ولاية العهد من يده ويلجأ الى جبال اليمن واوديتها فراراً من الموت .

فاخذت تنفرس في ابيها وهي لا تعلم ماذا تقول .

ولكن اللعين استطرد قائلا : لنفترض ان الجيش اليمني ظفر بعدوه فهل تعلمين

ايلها الاميرة متى يعود ؟

— بعد شهرين .

— وهل يستطيع الامير شرحبييل ان يدعو انتصاره الى مأرب في خلال هذين

الشهرين ؟

— نعم .

— اذن فليفعل وليرسل رسله غداً الى المخاليف فتزحف قوى الانتصار الى هذا

البلد وتقيم به . او تقيم ببلد آخر يحاور مأرب وتنتظر فيه الامر برفع راية العصيان

في وجه الملك الجديد ابن ذي القرنين .

قالت : اتريد ان تفاجيء ولي العهد بالسيف .

— لا ، بل يدخل البلاط كأنه ملك ثم يخرج منه كأنه عدو دون ان تسيل في

مأرب الدماء الا اذا شاء .

— اي انه يرى في بلاطه رجلا آخر قد سبقه الى العرش .

— نعم ويرى امراء اليمن حول ذلك الرجل وقد اعترفوا به ملكاً وعاهدوه

على الطاعة حتى الموت .

— ومن هو هذا الرجل ايها الامير .

— هو شرحبييل بن عمرو وقد ينزل شرحبييل عن حقه بالملك بعد ذلك لابنته

بلقيس !! .

– ولكن ارجو ان تعتمد الى الجلاء في كل ما تقول .

قال : الم يجعل الملك ناشراً اميناً له بعد ذهاب الجيش ؟

– واين ذهب تديمه وامينه الاخر ؟

انعين حاشداً ؟ انه اصبح بعد مرض مولاه صديقاً لولي العهد وهو معه في مهرا .

– حسناً . وماذا يفعل ناشر اذا كان امينا لذي القرنين ؟

– يقول لاهل البلاط ووجوه القوم في مأرب ان الملك قبل ان يلفظ روحه جعل شرحبيل بن عمه وكيلا للعرش .

– ويقوم وتار ذمر فيقول غير ذلك .

– ولكنه لا يجد حوله من يصدق قوله . ان البلاط اليوم في يد ناشر وعتيك وستجيء رجالها بغد شهر لينضموا الى رجال شرحبيل ويقسموا له بيمين الوفاء .

– وبعد ان يتم كل هذا كما تظن يجيء ولي العهد .

– نعم يجيء لتقع عينه على ذي مغار وابن عمه ياسر ، وعتيك بن روضة وامير ظفار الذين هم اعداء ابيه .

– ولا تنس الغوث بن راهط وابن دوير .

قال : وهل اصبح الاثنان من المتأمرين ؟

– اجل والغوث اليوم في مأرب ، بل في هذا القصر !

فابتسم قائلاً : مسكين ولي العهد لقد خسر جميع الامراء والملك حي ، ومن بقي للملك ؟؟ بقي له عبد شمس ومعدى كرب ووتار ذمر . اما حاشد فلا يملك شيئاً ولا يصلح لشيء .

– وهنالك امير آخر يبذل حياته في سبيل شرحبيل .

انه ذو تبع وقد نسيناه . ولكن لا نعهده الان فرجاله في همدان ولا نستطيع وهو بعيد ، ان ندعوم الى مأرب .

– كفى فقد تهيأنا الآن لكل شيء وسيستقيم لنا الامر .

ثم قالت : واذا لم يمت الملك يا عتيك ؟  
 - نفضح مؤامراته بعد ان يعود ولده فتتشب الحرب ، ثم نخوض غمارها  
 عندما تفد جيوش الامراء .  
 قالت : سنجعل هذه الجيوش في خلاف مغار وسيقول القوم انهم ذاهبون الى  
 حرب الحبشان .  
 فعاد عتيك الى مزاحه قائلاً : اريد ان اسألك سؤالاً واحداً قبل ان انصرف ،  
 من هو الرجل الذي سيسلم اليه مولانا الملك الجديد امور بلاطه ؟  
 - هو انت فقد لا يجد الملك رجلاً اشد دهاء منك .  
 - ومتى يترك ابوك تاجه ويدفعه اليك ؟  
 - عندما يأمره بذلك عتيك بن روضة .  
 قال : اراك تهزأين ايها الاميرة .  
 - انها ساعة مزاح واستهزاء .  
 ولكنني ساكون جاداً واطلب الى مولاي الملك قبل أن يستوي في العرش ان  
 يعطيني بامرير اثنين هما كل ما ارجوه منه .  
 فاجابه شرحبيل : قل وكن كيف شئت .  
 - عدني بانك ستفعل يا مولاي .  
 - ولكنك تعلم ان الملوك لا يعدون .  
 قال : اذن اسألك ان تجعل فائحة ملكك اطلاق جميع الجواري اللواتي يكرهن  
 الاقامة بالبلاط .  
 فاعجبت بلقيس هذه العاطفة وقالت له :  
 وما هي غايتك من ذلك ؟  
 - ان يظهر الملك شرحبيل لاهل اليمن انه اعظم نفساً من ذي القرنين وانه  
 لا يبالي بالنساء .  
 قال : والآخرة يا عتيك .  
 - ان تأمر بقتل خاشد ووتار ذمر عندما تستولي على الملك .

- ولماذا تريد ان يموت الاثنان .  
 - لان التاج لا يثبت على رأسك وهما في الوجود .  
 - اذن تؤثر ان نفتح عهدنا بالقتل !  
 - بل افترض انك لا تصير ملكاً الا بقوة السيف . الم تكن غايتك يا مولاي  
 اشعال النار في مأرب ؟  
 - بلى !  
 - الم تكن تظن ان حاشداً ووتار دمر سيكونان حدوين يحملان السيف  
 مدافعين عن عرش ذي القرنين ؟  
 - بلى .  
 - وماذا كنت تصنع لو حدث ذلك ؟  
 - اقلها اذا قدرت .  
 - بل تقتل الالوف وتصعد الى عرشك على جثث الارباء .  
 فقالت بلقيس : لقد اصاب الامير فيما يقول ولكنه نسي ان هناك رجلاً  
 آخرين يستحقون الموت ..  
 - لم يبق من هؤلاء الرجال غير اثنين هما معدي كرب وعبد شمس والرجلان  
 اضعف من ان يتآمرا على العرش ..  
 قالت ليس لنا الا ان نختار واحداً من امرين ، اما ان تسفح الدماء في مأرب  
 وتغلق الاسواق ثم يلبس ابني التاج بعد ذلك ، واما ان يعضب برأسه هادئاً مطمئناً  
 دون ان يلجأ الى القوة ، ويكتفي بابعاد ولي العهد ورجاله الى الابد . اسمع يا  
 حنيك ، ان العرش سيكون لنا - اذا مات الملك - لقمة سائغة غير مخضبة بدماء  
 اليمانيين ، والا فنحن مكرهون على التقتيل والتدمير حتى يتم لنا الامر كما نشاء .  
 - افعل ما تشائين على ان تقتلي الرجلين اللذين ذكرتهم الآن او تنديمي .  
 فقام في ذهن بلقيس ان عاطفة خاصة تملي على امير نخلة تلك اللجاجة في  
 الطلب ، فقالت له :  
 بخيل الي ان في الامر سرأ يدعوك الى ذلك .

ختنهد قائلاً : اما سري فهو مصلحة العرش ليس غير !

— وماذا يستطيع ان يفعل الاثنان واليمن كلها لنا .

قال ان للكهانة سلطاناً لا يحجبه غير سلطان الملك ووتار ذمر خادم الآلهة ورئيس اولئك الكهان المنتشرين في المخاليف ، فاذا نفخ في صدور رجاله روح الثورة والعصيان استطاع اولئك الرجال ان ينشروا تلك الروح السامة في السهل والجلب ، ثم يقوم اليمنيون بعد ذلك يطلبون خلع الملك الجديد وارجاع ولي العهد الى عرش آبائه .

فقاطعت قائلة : ولكن الملك الجديد يرسل جيشه فيخنق الاصوات المرتفعة ويخفض الرؤوس التي تجول فيها فكرة العصيان .

— خير للملك ان يحمد النار قبل ان تمتد السننها الى الاقاليم .

— بل خير للملك ان يصافح اعداءه ويتسم لهم لتعلم اليمن انها انتقلت من عهد الجور والقساوة الى عهد الرحمة واللين .

— ولكن اخشى ان يحسب الناس رحمة الملك ولينه خوفاً وضعفاً فتسوء العاقبة ويرجع عندئذ عهد القساوة الذي تذكرين .

— وهل يحسر وتار ذمر على الظهور بمظهر المتمرّد كما تقول ؟

— اعتقد انه بفعل كل شيء ولا يبالي .

— اذن فالمملك يشتره بالمال ؟

— في خزائنه من المال اكثر مما في خزانة الملك . ومع ذلك فهذا هو الضعف ايتها الاميرة .

— اذن نزع عنه هذه الكهانة التي جعلها سلاحاً له .

— اي انك توغرّن صدره وترسلينه لينشر فساداً .

غير ان وتار ذمر كان صغيراً في عيني بلقيس فلم تحفل بنصائح عتيك ولم تعباً بذلك الدماء الذي يملّيه عليها .

وتعب عتيك كثيراً فضاع تعبهُ .

ان لبلقيس رأياً يناقض رأيه .

كانت ترى قتل الكاهن الاعظم يغضب القوم وتهيج له الصدور ، وما هو  
الذنب الذي يحمل الملك على القضاء عليه ؟ . انه بريء في نظر اهل مأرب  
واصحاب الخاليف وليس من الحكمة ان يهرق الملك دم بريء !  
وكان عتيك يرى غير ذلك كما قرأت ، ومن الصعب ان يتفق الاثنان .  
ولكنه حاول من الناحية الاخرى ان يقتل نديم الملك فقال :  
وحاشد ؟؟

— لقد قلت ان حاشداً لا يملك شيئاً ولا يصلح لشيء فلماذا ترغب في قتله ؟  
— لانه قاتل الالوف من الرجال والنساء ارضاء لمولاه .  
قالت : هذا جناه في الزمن الذي مضى ونحن لا شأن لنا به ، اريد ان يطلبه  
شرحبيل بدماء الذين غدر بهم ذو القرنين ؟  
— بل اريد ان يمتد اليمن من هؤلاء الخونة .  
قالت : طب نفساً فكل رجل تحدته نفسه بالخيانة يموت .  
قال : اصغي الي ايتها الاميرة فانا اعرف الرجلين .  
— اعود فأقول لك اما ان تهرق الدماء واما ان تسود السكينة في مأرب فلا يجرده  
سيف ولا يرتفع صوت .

— اتعنى اذن الا يموت الملك ، ليقوم السيف مقام الهدوء ، وتغوص مأرب في  
اللجة الحمراء ، وتدوس الخيل جميع الذين اخشاهم على ملك شرحبيل بن عمرو ..  
ثم قال : ان الملك الذي يبنيه الآن آل يعفر ، بالصمت والهدوء ، سيقوض  
السيف اركانه بعد حين  
فضحكت قائلة : اما انت فسترى بعد حين ان الرأي الذي تراه مصدره  
الخوف الذي يستولي عليك الآن .

وكانت عينا شرحبيل في تلك الساعة تنظر ان الى الرواق وهو يفكر في العرش  
الذي يعده لابنته .

فقال له عتيك : انظر في امر ملكك يا مولاي قبل ان يمر الزمان .  
قال : ماذا ؟

— اضرب اعداءك ليسلم عرشك .

— اعداء العرش كثار فيجب اذن ان يحصدهم السيف .

فوضع رأسه بين يديه وسكت قليلاً ثم قال :

نعم يجب ان يحصدهم السيف جميعهم دون ان يستثني احداً . لقد غيرت رأيي الآن ، فليمت ولي العهد قبل ان يموت وتار ذمر ، وليمت بعده معدي كرب وهدشمس فتنجو اليمن ويخلو لك الجو .

فخصدت بلقيس قائلة له : سننظر في هذا مرة اخرى عندما يموت الملك والا فالخرب لا بد منها وسيموت جميع من ذكرت .

فنهض وهو يقول : ساعود بعد ايام عندما يهم الملك بتنفيذ احكامه . اما الان فلم يبق لي ما اقله .

قالت : ارى انه لم يتغير شيء مما مضى وان الملك سيعيش !

— اما انا فارى غير ما ترين والى اللقاء .

وخرج وهو يخاطب نفسه قائلاً :

ستكون بلقيس ملكة سواء ألبس ابوها التاج أم لبسته هي . انها تأمر وهو بطيع ، ولكن نقتها بنفسها تجاوز الحد .  
وكان شرحبيل عندئذ يقول لابنته :

لقد رأيت الصواب فيما ذكره عتيك وانا اخشى ان نبقي على انصار الملك فيهبجوا اليمن ويحملوا علم الثورة .

قالت : افترض يا مولاي ان ولي العهد استسلم اليك أفنقتله بعد هذا الاستسلام ليقول الناس انك اظلم من ذي القرنين ؟

— وهل نطلقه ليضع يده بيد اعدائنا ويشهر على العرش حرباً تتكسر فيها السيوف وتهزلها اليمن ؟

— وكيف يقدر على ذلك يا مولاي ونحن احياء ؟ انه لا يرفع رأسه حتى تخفضه الضربات ، ولا تخرج من فمه كلمة حتى يقطع لسانه بالسيف !

ثم قالت : لنترك هذا الآن يا مولاي ولنتدبر امر هذه المؤامرة التي يعدها الملك

قال : يظهر ان هنالك شيئاً تخافينه يا بلقيس .  
 — نعم يا مولاي اخاف ان تقتل هؤلاء الامراء فتضمر لنا المخاليف عداوة  
 لا تزول آثارها من الصدور .  
 — مع اننا كنا عولنا على الحرب ولم نخافي !  
 — انها حرب يشترك فيها معظم ابناء اليمن ويذهب ضحيتها المجرم والبريء !  
 وتمادت بلقيس في اصرارها على العفو ، وهي الفتاة التي كان قلبها قطعة من  
 الفولاذ لا يلين ولا يعفو !  
 وتلك خاطرة خطرت للاقدار التي تهزأ بالناس .. والتي بدأت تهزأ باعظم  
 فتاة في دولة حمير ! ..  
 فلم ير شرحبيل بدأ من السكوت وقام فخرج وهي تتبعه الى قاعة اخرى  
 ينظران بالاشتراك مع ضيفيهما في امر العرش ، من وجه آخر .  
 وكان الغوث وذو مغار في القصر ، وقد عولا في صباح اليوم الثاني على  
 الرحيل .

\*\*\*

## ٤٥

لقد اذنت لك في الرحيل ' غداً يا ابن راهط .  
 فنظر الغوث الى شرحبيل وهو يعجب لذلك الاذن الفجائي .  
 اما ذو مغار فقال : لو لم يحدث في مأرب حادث جديد لما خطر لك ان تأذن  
 له في الانصراف اليوم ، ماذا يجري ايها الامير ؟  
 — ان ساعة ذي القرنين قد دنت كما قلت منذ ايام .  
 فاهتز الغوث لهذه الكلمة قائلاً :  
 اهلا بهذه الساعة التي ينتظرها بنو سعد . قل ايها الامير ماذا يجب ان نصنع



لنكاهي الملك ؟ .

— تدعو جيش براقش الى بلاد ذي مغار ، وتمكث بها معهم ريثما يصل اليك الامر بالزحف الى مأرب .

— وجيوش بينون ؟

— سننتقل الى جبار بن دوير ما سمعت فيفعل كما تفعل وتتلاقى الجنود في

البلاد التي ذكرت .

— ساذن ستكون حرباً حامية تميد لها الجبال .

— من يعلم فقد لا تشعل النار الا لتخمد ؟ او تندلم السنتها فتحرق هذه البلاد

ونجاوزها الى الاقطار .

ومن يشعلها ايها الامير ؟

ان ولي العهد سيعود من حرب الحبشة بعد شهرين او ثلاثة وسيطلب بدلقيس

هند وصوله الى البلاط .

وكان ذو مغار قد خبر الغوث حكاية الزواج فقال : وسيكون السيف

جواباً له .

— لا بل يتولى الملك عنا امر هذا الزواج ، فامسا ان يجاربه في امره فنشهر

السيف على الاثنين ، واما ان يغضب فيشهر ولي العهد سيفه ونشاركه في الدفاع

ثم ننقلب عليه عندما يكتب له النصر .

— ومن هو اكثر جنوداً نحن ام الملك .

— نحن . فقد تهيأنا للحرب والملك لا يعلم ، ومعظم جنوده في مهرا بقيادة

ولي عهده .

— وهذا معناه ان الملك لا يستطيع ان يجول في الميدان جولة واحدة .

— وقد يفاجئه الموت قبل ان تشهر السيوف .

قال : اتمنى ان يظل حياً لاعلمه كيف يستخف بالرجال .

قال : لا تجر على الملك فهو ميت وان يكن بين الاحياء .

— وهل يستحق هذا اللعين الرحمة وقد ملأ اليمن ظمأ وجوراً ؟

قال : لقد كان قاسيا ولكن القدر اشد قساوة منه وسبجازه . متى تبلغ مع  
هنودك ارض مغار ؟  
— لا اعلم الآن ولكنني سأبذل جهدي كله لا اكون فيها قبل ان تنقضي الاشهر  
الثلاثة .

قال : تعجل في الامر قبل ان يرجع ولي العهد وتفضح الاسرار .  
— اتخاف يا مولاي ان يفضح مرك وجيش براقش وبينون ينتقل في وضع  
النهار من بلد الى بلد آخر وعيون الناس تنظر اليه ؟ وكيف تستطيع كتمان هذا  
السر وانت تأمر بان تتلاقى الجيوش في مغار وتغطي خيامها سهلها الفسيح ؟ ان  
مرك يا مولاي سيعرفه القوم ولكننا لا نخاف ...  
— اخطأت، فهم لا يعرفون الا امراً واحداً هو ان الجيوش التي تمر تسير  
الى الحرب بامر الملك، وقد صدر اليها ذلك الامر بالبقاء في مغار ريثما تجتمع جميع  
الصفوف .

قال : هذا هو الرأي .

— ولكن احذر ان تترك بلاد ذي مغار قبل ان يصل اليك ولدي المدهاد  
حاملًا هذا الخنجر الصغير .  
وأراه خنجرًا موضوعاً في قطعة من الجلد .  
— انجعل هذا الخنجر رسالة السر ؟  
— نعم فاذا رأيته مع المدهاد فلا تتردد في المحبيء مع جبار !  
— ولماذا لا نجعل غير المدهاد رسولك اليها ؟  
— لاني لا اثق في شؤون الحرب الا بولدي .  
قال : لي كلمة اقولها ايها الامير .  
— قل كلمتين .

— خير لك ان تبعث الى مغار رجلا من رجالك من ان تقذف بولديك الى  
اودية اليمن وجبالها ليقبل اليها خبراً منك .  
— قلت لك ان هذا الخنجر سر الحرب وهذا السر لا يحمله غير المدهاد .

- ولكن قد تعرض للهدهاد اخطار .  
 - اجل وسيكون عند هذه الاخطار رجلا .  
 - واذا حل الي خنجرك رسول آخر ؟  
 - لا تصدق غير الهدهاد وهذا يكفي .  
 ثم صافح الاميرين قائلا :  
 اذهبا عند الفجر وستلتقي في مأرب ولكن على مرأى من القوم ، وسنعمل  
 هلاط ذي القرنين مجلساً لنا .  
 فهتفا قائلين : ليمت ذو القرنين وليعيش شرحبيل .  
 فقالت بلقيس : قولا ليغيش الملك .  
 فرددا تلك الكلمة وهما يتسلمان .  
 وانصرفت بلقيس الى غرفتها لتتاجي الحبيب .  
 اما شرحبيل فخرج ليأوي الى فراشه ويستسلم الى النوم الهادى الذهبي  
 الاحلام .

\*\*\*

## ٤٦

قل عتيك لناشر :  
 سيصعد شرحبيل الى العرش ، ثم يتخلى عنه لبلقيس ، ولكن لا يلبث هــذ  
 العرش حتى يسقط ويهوي الى الحضيض .  
 فأجابه قائلاً : وبيك من اوحى اليك هذا ؟  
 - اوحته بلقيس نفسها فهي تريد ان تضع يدها على الملك وتبقى اعداءه  
 واعداء ابيها احياء !

وقص عايه ذلك الحديث الذي جرى بينه وبينها وزاد قائلاً : وسيكون  
استخفاف الامير وابنته سبباً لذهاب الملك الحميري !  
قال : لا تبالغ في الخوف يا عتيك .  
قال : ليس ذلك خوفاً ولكن الملك الذى لا تسقط رؤوس خصومه عند  
خديبه لا يطول عمره .

قال : سيرف الاثنان كيف يحفظان الملك .  
— بل سيقضيان ايامهما حاملين السيف مدافعين عنه والويل للرجل الذي  
يسبب الملوك تيجانهم ويهب لهم الحياة .  
— اذن تقتل من نشاء وينتهي الامر !  
— اجل ، وهذا ما اردت ان اقله لك ، ان وتارذمر وحاشداً اذا بقيا كانا  
نشد وطأة من ذي القرنين واكثر دهاء !  
قل : كما يتأمر الكاهن والملك على شرحبيل نتأمر نحن على هذا الكاهن ونبعث  
يه الى حيث يذهب غلامه عباد !

— ونفعل ذلك قبل ان يرجع الجيش ، ثم ننظر في امر حاشد عندما يعود .  
— ولكن نسينا ان هنالك ملكاً واننا لا نستطيع ان نقتل كاهنه وهو حي .  
— لماذا ؟

— لانه سيعلم ان رجال البلاط يخونونه وليس في البلاط غير اميرين هما انا  
وانت ...

قال : سنقتل الرجل خارج البلاط .  
— لا يندع الملك ولو قتله في قصره : اسمع ماذا يحدث يا ناشر . سيفشل  
ذلك في قتل شرحبيل كما تعلم ، ثم يبلغه بعد ذلك ان وتلوذمر سقط ميتاً  
فيديب الرب في صدره ويأمر رئيس شرطه بالقبض على جميع الرجال الذين يعيشون  
في ظله .

— ولكننا لا نعترف له بشيء .

قال : يكفي ان يظن الملك الظنون لتسوء العاقبة .

— ورأبك ؟

— لم يبق الا ان يمضي الملك في امره الى النهاية . ثم نتهياً نحن بقدر ذلك للقضاء  
على الاعداء .

— ويفضرب شرحبيل . .

— ليفضرب ولتفضرب بلقيس فوتر ذمر وحاشد يجب ان يموتا وليخسر ابن  
بهر العرس . . ماذا سمعت عن الملك في هذا الليل ؟

قال : أرى الحياة تجول بتعب وضعف في عينيه الغائرتين حتى ليحسب الناظر اليه  
اله سيموت الليلة ! .

— ومع ذلك فهو لا يخاف الموت ولا يريد الا ان يغدي حقه بالغدر والقماوة  
والقتل !

— ذلك ما تعود في حياته ، وهي صفات جعلها ارثاً لولي عهده النذل الذي  
هو سرايه !

واحمرت عينتا تاشر واصفرت شفاته .

فقال : كلما ذكرت عمراً نمّ عليك الحقد الذي يملأ صدرك .

— اجل وسيظل هذا الحقد حياً نامياً حتى يكتنف الشقاء عمراً وأراه بين يدي  
اذل من عبد !

— اذن فانك لا تفكر في قتله . .

— اهم بان افعل ثم يقوم في الذهن ان الموت راحة له ، فاعدل عن رأيي  
واصر على قهره وتعذيبه كما قهرني وعذب هاتكة !

— وكيف تستطيع ان تفعل ذلك ؟

— يكفي ان اراه ذليلاً بائساً لا عرش له ولا تاج !

— اما انا فلا اخاف احداً مثلما اخاف هذا الدليل الذي لا عرش له . . ان  
البأس مصدر القوة ، وقد يكون مفتاحاً للعجائب في كل زمان .

قال : متري ان هذا الفتى اضعف مما تظن !

قال : حبيبي اني لم انس شيئاً وستثبت لك الايام اني كنت على صواب .

ونام الاثنان في غرفة واحدة اما الملك فلم ينام .  
وكيف ينام ، والحقد ، والخوف ، والعلة ، عناصر جبارة تتأمر على حياته ،  
ولا يغمض لها جفن ؟

...

## ٤٧

غادر ذو مغار والغوث قصر شرحبيل قبل ان يتنفس الصبح وفي صدر كل  
واحد منهما عقيدة ثابتة وإيمان لا يتزعزع .  
وقام شرحبيل في الصباح يختار له درعين اثنين يلبسهما من الامام والوراء  
عندما يدعوه ذو القرنين الى الموت .  
وكان واثقاً بان الملك سيعيش وان الداء لا يستطيع ان يحطم ذلك الجسد  
الجبار ، كما يظن عتيك بن روضة .  
اما بلقيس فقد ارادت - في ذلك الزمان .. ان تتعلم فن التمثيل .  
كانت حجرتها حجرة ملكة ، فيها جلود الظباء والسباع ، وتقوم على جذرها  
النقوش والصور ، ولها بابان يطل احدهما على الرواق والآخر على تلك الغرفة التي  
جعلتها لنعمى بنت الريان .  
وباب الرواق في وسط الجدار ، وله من اليمين والشمال زاويتان فسيحتان  
تسع الواحدة منهما عشرة رجال .  
فعمدت الى الزاوية اليمنى وجعلت فيها ، بالاشتراك مع نعمى ونائلة ، ستاراً  
اسود كبيراً يتدل الى الارض ويحجب جانها ما وراءها .  
ونعمى ونائلة لا تعرفان ما هي الغاية من وضعه في ذلك المكان .  
ثم قالت بلقيس لجاريتهما : اين اخوك نائل .

— في القصر .

— اذهبي الساعة وقولي له ان يختار ثلاثة من الغلمان الاشداء الذين يستلنون  
الغناء وليحضروا جميعهم الآن ، ولكن اخذري ان يعلم احد غير هؤلاء .  
فخرجت نائثة ثم لم تمر لحظة حتى اقبل نائل ومعه رفاقه ، فاومات البهجة  
بالوقوف وراء الستار وهي تقول :

لفترض ان في يد كل واحد منكم خنجراً ذا حدين .  
فد احلم يده الى حزامه قائلاً .

هذا خنجري يا مولائي !

قالت : دعه في حزامك الآن ، ثم لفتت نظرهم الى السرير العاجي القائم في  
الرواية الاخرى قائلة :

— اترون هذا ؟

— نعم .

اذن لفترض اننا في ليل ، وان الظلام يسود هذه القاعة .. وانتم لا تبصرون  
شيئاً ...

— نعم .

— ولكن شتتفون ، وانتم سناكتون ، ان هذا الباب ، باب الرواق قدفتح ،  
ولسمعون صوت نعمى يهمس قائلاً : ادخلوا .. فيدخل ثلاثة رجال بينهم عباد  
هلام الملك الذي كان غلاماً لكاهن مأرب .. اتعرفونه ؟  
— نعرفه .

وتتقدمهم نعمى الى هذا السرير ثم تتراجع الى الرواق ويفلق الباب ..  
فقال نائل : لقد عرفت ما يريد هؤلاء الرجال ، انهم يريدون ان يقتلوا  
مولاتنا بلقيس التي تكون نائمة !  
— بل يعملون خناجرهم في صدرها وتسمعون انتم وقع هذه الخناجر تمزق  
لبحيتها ...

لجعلوا يضرشون فيها والذعر يملأ قلوبهم .

اما هي فابتسمت قائلة : ولكن بلقيس ايها الغلمان ستكون وراء هذا الستار حيث هي الآن ، وخناجر الاشقياء لا تقع الا على الوسائد !  
فصاحوا جميعهم قائلين : وماذا نصنع بعد ذلك ؟  
- يرفع هذا الستار فجأة وترفعون الابدي لتغمدوا سفاركم في الظهور  
أفهمتم الآن ؟

ثم اوامأت اليهم بان يفعلوا ما امرتهم به ، واعادت ذلك المشهد مرتين حتى اتقنوه وخرجوا عندئذ من مخبأهم وهم من اعظم الممثلين .  
ثم خاطبتهم قائلة : ليس في هذا القصر احد يعرف هذا السر غير مولاكم شرحبيل فاذا خطر لاحدكم ان يحدث به نفسه فليودع الحياة عندما يفعل وليعلم ان الملك نفسه لا ينقذه من الموت . وآمركم بان تلتزموا القصر كل ليلة ولا تخرجوا منه الا الى الفناء .

وصرفتهم وهي تقول في نفسها :

لو كتب للذي القرنين ان يرى هذا الستار الاسود لمات رعباً .  
ومشت تريد قاعة ايها لتلمس بيديها تينك الدرعين اللتين اعدهما ليلوم العصيب ، وتقوم بنفسها ايضاً ، بتمثيل الدور الذي سيمثله ناشر وعتيك ، وهي شديدة الاعجاب بدكاء امير نخلة ودهائه .  
وكان شرحبيل يعالج درعيه ، فلما اقبلت ابتسم لها قائلاً : لا اعلم كيف يستطيع الرجل ان يحمل درعين .  
قالت : يستطيع ذلك عندما يعلم ان خناجر الملك ستطعنه من الامام والوراء البسها يا مولاي !

ف فعل ، فتناولت من الجدار خنجراً عريض الشفرة ووجهته الى صدره وهي تقول :

انت الان في رواق الملك . أأضرب ؟

- اضربي ولا تخافي .

ولكنها لم تجسر على الضرب ، بل مدت يدها حتى لامس الخنجر صدره واصاب الفولاذ . ثم ضغطت بيديها الاثنتين وشرحبيل يبتسم ويدفع خنجرها



صدره حتى كادت الشفرة تصبح قطعتين . ثم ضربت بخوف فوق الفولاذ  
على الفولاذ وكانت نتائج ذلك الضرب ان الشفرة التوت ومزقت الرداء  
ليس غير .

ثم اقبلت تظعن اباهما من وراء حتى ايقنت بان الخناجر ، وان تكن حادة  
لا تؤثر في الدرعين .

فألقت الخنجر من يدها وقالت :

اضرب الآن ايها الملك ما طاب لك الضرب ، واغمس يديك بدماء ابن عمك  
ليبقى التاج لولي عهدك !

وقالت لابيها : اما انت يا مولاي فاذهب الى حيث تشاء فذو القرنين لا  
يستطيع ان يمد يده الى شعرة من رأسك .

وطابت نفس بلقيس ، وارتاحت الى ذلك « التمثيل » الذي قامت به ،  
ورجعت تشرح لوصيفتها فكرة الملك ، وتصف لها تلك المؤامرة المائلة التي  
اخترعها دماغه الجاني وهو على فراش الموت .

وأوصتها بان تظهر لذي القرنين ، عندما يدعوها اليه ، انها تطيعه الطاعة  
العمياء ، وانها ستكون عوناً له ولعباد في القضاء على بلقيس .

ومرت بضعة ايام وشرحيل ينتظر دعوة الملك ، ونعمى تسأل سيدتها ان  
تأذن لها في الذهاب الى البلاط وهي لا تفعل .

حتى رأت اخيراً ان تأذن لها ، فانصرفت نعمى لتمثل بين يدي ذي القرنين  
وتعفي الى نصائحه .

\*\*\*

كان ذلك العام في اليمن ، عاما اسود ، قل فيه الشتاء ، واجدبت الارض ، فعم الضيق معظم المدن والقرى في جهات اليمن الاربعة ! وكانت القبائل النازلة في الطرف الشمالي من اليمن قد احتملت الجذب من قبل واحتملت الضيق ، ولكن الطبيعة غلبتها على امرها فانتشرت في بلاد الله تطلب الحياة .

من هذه القبائل ، قبيلة مذحج ، وهي احدى القبائل المعروفة في التاريخ الغربي ، اجل ، لقد ضاقت الارض بمذحج ، فلم يبق لها الا ان ترح عن اليمن وتجمل تهامة وطنا لها .

فعلت ذلك منذ عامين ، ولم تستطع القبائل المجاورة بل لم يستطع ذو القرنين نفسه ان يمنعها من الجلاء .

وكيف يستطيع ذلك ، وهي كثيرة للعدد ، ومهددة بالجوع ، والضيق يتبع الضيق وليس في اليمن سهل فسيح خصب تلجأ اليه .

على انها لم تنتقل فجأة الى تهامة ، بل مكثت بوادي نجران بضعة اشهر ، ثم عولت اخيراً على تركه والازول في تلك الارض الواسعة ، التي هي ملك لقبائل معد ، وكانت عدوان ، احدى هذه القبائل ، تسود تهامة في ذلك الزمن ، وعلى رأسها امير عظيم عرفت فضله العرب ، واعترفت بمحكمته هو عامر بن الظرب . وعدوان ، قانعة راضية بما قسم لها الله ، وقبائل معد الاخرى ، تعيش حولها كأنها رعية لها .

وليس في تهامة كلها من يخالف امير عدوان في امر ، او يرد له نصحا ، ان عامراً بن الظرب سيد العقلاء ، وسيد الحكماء .

فلما ضربت مذحج خيامها في تلك الارض ، ونظرت عدوان الى تلك الصقوف الكثيرة تدور حول الخيام ، استيقظت في صدور رجالها تلك العاطفة التي لا تموت ، عاطفة تنازع الهباء ، وبدأوا ينظرون الى تلك القبيلة الغريبة كما ينظر العدو الى العدو .

ومذحج لا تبالي ولا تهتم ، لا للحياة تطالبها ولو كانت بين برائن الاسد ، بل لو كانت في جوار القمر .

فاقبلت عدوان تقول لاميرها :

اتريد ايها الامير ان يازعنا بنو مذحج عيشنا ويستثمروا ارضنا ، ثم ينصرفوا الى اليمن حاملين خير تهامة ؟

فاجابهم قائلاً : اطلبوا اليهم ان يرحلوا فتبقى تهامة لاصحابها .

فذهب وفد منهم يسأل امير مذحج ، وهو جابر بن مفروق ، ان يترك ذلك السهل ويختار لقومه بلداً اخر يصارعون الفقر فيه .

ولكن جابر لم يسمع لهم .

فقال عامر : نسأله فلعله يريد الحرب !

واجتمع الاميران في ظل خيمة بين الحيين .

وكان سيد عدوان في فجر كهولته ، وسيد مذحج في زهرة العمر ، غير ان

الكتابة جعلت جبينه فبدا كأنه كهل .

وعامر بن الظرب لا يتكلم الا بعد روية ولا يخاطب جليسه الا بعد تفكير .

وليس عجباً ، فهو حكم العرب المشهور وقاضيهما الاكبر ، فقال لجابر : لماذا

تركتم اليمن ايها الامير ؟

قال : ضاقت اليمن باهلها فلم نر ألا ان نتركها على امل ان نعود .

قال : مرحباً بك وبقومك تقيم بضيافتنا بضعة ايام لا تنحر جزوراً ولا تذبح

شاة حتى ترحل عنا ! .

لقد رأيت خصباً ومرعى فلا ارحل حتى يكفني القوم !

قال : الا ترى تهامة تكاد تضيق بقبائل مغد كما ضاقت بكم بلاد التباينة ؟

قال : نتخذ نحن ناحية منها ونتخذ هي ناحية اخرى فيعيش الفريقان .

لقد كانت تهامة لنا من قديم الزمان .

— بل كانت لتبع وهي له الى الآن .

قال : كلمة اخرى يا جابر لا اقول سواها ، اما ان ترحل بعد ايام او تأخذ

ارضنا بقوة السيف !

فغمرت الكتابة وجه جابر وارتحفت شفتاه .

لقد جارت الطبيعة عليه في بلاده وجار عليه في تهامة بنو عدوان ، فخير له ان يرد بسيفه جور الطبيعة وجور الانسان فقال :

السيف يا عامر .

قال : السيف ...

وانصرف يقول لقومه : اما لكم او لمذحج .

ثم خرجت رجاله ينادون :

يا قبائل معد . هذا سيف لليمن تشهره مذحج وتريد ان تخضع به تهامة ، فمن كرهت نفسه فليرحل قبل ان تستمر نارها او فاجتمعوا تحت لواء عامر بن الظرب واطيعوه .

فتشاور القوم ، وقبائل معد لم تجتمع قبل ذلك اليوم تحت لواء واحد ، بل لم تجتمع في الجاهلية غير ثلاث مرات ، الاولى تحت لواء عامر في حرب مذحج ، والثانية تحت لواء ربيعة بن الحارث في قضاة ، في يوم يقال له يوم اللسان ، والثالثة بقيادة كليب بن ربيعة في حرب اليمن ، كما ذكرنا في رواية الحسارث الاكبر !

ثم قالوا : اطعنا عامراً ونحن جنوده .

فجمع ابن الظرب تلك القبائل في موضع يدعى « البيضاء » وخرج جابر بن مفروق بجيشه والفقير واليأس يدفعانه ويدفعان ذلك الجيش الى اقتحام غمرات الموت .

وامر عامر فجردت السيوف من اغمارها وارتفعت الاصوات : يا لقحطان . يا لعدنان . ثم اهتزت الارض وتلاحم الجيشان .

ولكن اليمنيين غرياء واهل فاقة ، وبنو معد اصحاب البلاد واهل سعة وغنى ، وقد وفر عددهم حتى كان الفارس من مذحج يصارع اربعة من اعدائه ! فلم تغب الشمس حتى صبغت تلك الارض البيضاء بالدماء ، وترك جابر بن

مفروق الساحة مع بقية جيشه ، وقد سحتتهم الحرب ، وخيت املهم بالبقاء في ذلك القطر .

وماذا يفعل جابر بعد فشله ؟ لم يبق له الا ان يرجع الى ذلك الوادي الذي خرج منه ، وادي نجران ، ثم يسير منها الى مأرب سائلا مولاه ذا القرنين خرج لن يطلب بدماء قومه وينظر في امره .  
ولم يتردد في تنفيذ ما خطر له ، وقد وصل الى مأرب وولي العهد في مهرا ، والمملك المريض ، المائت ، يتآمر على ابن عمه ، وهو لا يعلم شيئا من ذلك .

• • •

لم يكن مفروق وحده من المنكوبين بل كانت هنالك وفود من جميع البلدان ، اقبلت تسأل الملك الحبري العظيم ، الرفق والاحسان .  
وقد استقبل امير ظفار تلك الوفود باسم ذي القرنين ، وطلب اليها ان تذكروا حاجاتها ليخبر بها مولاه .

فقال له جابر : اما انا فحاجتي ان ارى تبعاً .  
— ولكنه مريض ولا يأذن لاحد في الدخول .  
— قل له ان امير مذحج لا يخرج من البلاط حتي يراك .  
فالتفت الى الآخرين قائل : وانتم ؟  
— نطلب ان يهب لنا الملك ما تعود ان يهبه كلما بخلت السماء بالغيث .  
فضى ناشر ينقل الى ذي القرنين ما سمع . ولكن ذا القرنين كان في تلك الساعة في ثورة جنون . فقال :

قل للوفود ان يرجعوا بعد ان تعود اليها العافية فليس عندنا اليوم مال نجود به على الناس .

وتلك كلمة تغضب الوفود . وناشر اللعين يريد اغضابها ليخسر مولاه

جميع العشائر كما خسر معظم النبلاء ،

فلم يزد كلمة على ما قال .

ثم تمت الملك وقد ضيع صبره : اما امير مذحج الذي يملئ عاينا ارادته . فليحضر  
ليسمع ما لا يجب !

— وهل 'صرف الوفود يا مولاي ؟

— أجل : ولتعد في وقت آخر كما امرنا . اما انت فارجع مع جابر بن مفروق  
لتساعدنا في اسكاته . انه كثير الكلام وكثير الدلال .

فقال ناشر في نفسه : سارجع ولكن لاساعد الاقدار في ابعاد الناس عنك ،  
'وعن ولدك اللثيم الغدار .

وخرج وقلبه يخفق من الفرح ، ثم صرف الوفود كما امره الملك ورأى علائم  
الامتعاض والخلية تبدو على الوجوه .

وأوما الى جابر بان يتبعه ثم دخل الاثنان تلك الحجرة الصامتة التي يسط  
الموت في فضاءها ظله الرهيب .

غير ان امير مذحج ، لم يستطع ان يصدق عند دخوله انه بحضرة تبع الحيري  
ملك سبأ وحضر موت !

وكان ذلك الملك شبحاً خارجاً من القبر ، وعهده انه كالاسد في الغاب ؛ اذا  
نظر الى احد ! .

وتردد قايلاً في امره . ثم عاد الى نفسه فخضع وتراجع الى اللواء .  
فحدق اليه ذو القرنين بعينين تشبهان عيني النمر الذي دب فيه الهرم وقال له :

ابن مفروق ؟؟

— نعم يا مولاي .

— ألم تترك اليمن الى تهامة ؟

— بلى يا مولاي .

— وهل امطرتك تهامة ذهباً ؟

فعجب سيد مذحج لتلك اللهجة التي يخاطبها بها الملك وقد تعود ان يرى على

وجهه البشاشة والانس .

ولكن فانه ان الالم والياس اللذين تذوب معها حياة الملك ، جملاه مجنوناً  
خصق الصدر لا يهش الا للذؤابات ، ولا يتدم الا لحقده .  
وجعل جابر ينظر الى جانبيه وهو مضطرب ، ثم قال .  
بل امطرتنا تهامة جرباً يا مولاي .

— اذن خرجت من اليمن لتخوض مجال الحرب في سبيل طمعك . من هو  
هدوك ؟

— بل خرجت من اليمن لاحارب الجوع الذي يهدد بني مذحج . ان عدوي  
في تهامة عامر بن الظرب .

قال : وبلك هذا سيد عدوان وحكم العرب فاذا لقيت منه ؟

— لقيت سيفاً قاطعاً وفرساناً مغاورهم اكثر من نجوم السماء .

— واين تقيم مذحج اليوم ؟

— في وادي نجران وقد لجأنا اليه بعد ان لفظقنا تهامة .

فضحك شامتاً وهو يقول : هكذا تلفظ بلاد العرب كل يمني يرحل عن وطنه .

لقد نصحننا لك بالبقاء فلم ترض ، فاشق ، فليس لنا يد في شقائك !!

فاغمض عينيه كأنه يستجمع قواه ثم قال :

حسبي ، وانا في هذا الشقاء ، ان يكون الملك راضياً عني وان تشفيه الآلهة  
من دائه .

قال : اما نحن فحسبنا ما سمعنا من اطراء ودعاء كاذبين !! اذكر حاجتك !

وهذا اغرب ما سمعه جابر بن مفروق في حياته .

فقال : متى كان امير مذحج كاذباً ايها الملك ؟

قال : لقد ضاق صدر الملك فاذكر ما قدمت لاجله .

واوماً اليه ناشر بان يفعل ، فاجابه وجسمه يهتز وصوته يرتجف : اطلب من

مولاي ان يطلب بدم قومي ويبتصر لمذحج .

— اي انك تريد ان تشهر السيف في وجهه مجد ؟

— يكفى ان تشهره في وجه عدوان يا مولاي .

— ومن يسكت العرب بعد ذلك ؟

— وكيف يستطيع قومك ان يعيشوا في بلد تحميمهم فيه هيبة الملك ؟

فانتهره قائلا : تغزو الناس في ديارهم يا ابن مفروق ثم تسأل الملك ان يجاريك في هذا الغزو ويذل دماء جنوده في سبيل مذحج ؟ وهل تظن ان تبعا يغضب قبائل معد ليرضيك ويشعل النار في تهامة دفاعا عنك ؟ انك اذن من اولئك الناس الذين يستغلون العرش لغاياتهم الخاصة ثم يتركون هذا العرش واصحابه عندما تقضى الحاجات .

واستوى جالسا وهو يقول :

تريد الآن ان يوجه الملك جيشا الى تهامة أليس كذلك ؟ ولكن الملك يأمرك ايها الامير اليمني بان تقود قومك بني مذحج الى تلك الارض ، ومع ذلك فنحن قادرون على الحرب والعيش بدونك ، فحارب انت من شئت وعش كيف شئت دون ان يكون للملك رأي في ذلك .

وكان ناشر يخشى ان يخفق جابر ، فلبى ذو القرنين وهو لا يريد ان يلين كما رأيت ، فقال : ابقى لك شيء آخر تذكره يا ابن مفروق ؟  
وغمزه بعينه .

فقال : الا ينتصر لي مولاي الملك ؟

اذهب غداً واغز الحيرة او الفرس ثم عد الى مولاك قائلا له : انتصر لي .

لا . ان الملك لا ينتصر الا لمن ينتصرون له ...

— اذن فاعطني يا مولاي !

— وماذا نعطيك !

— شيئاً من المال استعين به على امري وامر قومي .

— لقد قلنا للوفود الآن ان ترجع الى مأرب بعد حين فارجع معها — فليس

عندنا ما نعطيك ايها الآن :

قال : ارجع عندما تجود السماء بالبركات ايها الملك ؟



فاجابه قائلا : هذا ما نقوله لك فانصرف ولا تزد .  
فنهض ناشر وهو وراءه ، والدنيا تسود في عينيه لذلك الرد القبيح الذي  
فاجاه به ذو القرنين .  
غير ان ناشر اعرف كيف يستميله فقال :  
ابق في البلاط الليله فانا بحاجة اليك .  
- ولكني لا اطيع الاقامة ببلاطه . لقد فعلها ذو القرنين ، فواحدة بواحدة  
وسيتغير الزمان .

وكان يقولها وصوته يملأ الرواق .  
فهامسه ناشر قائلا : اسكت اذا اردت ان تعيش .  
ودله على حجرة يقيم بها وهو يقول :  
سأراك الليلة بعد ان تغرب الشمس .  
وتركه ومضى ، لينظر في شؤون القوم الذين يروحون ويميئون .

\*\*\*

٤٩

كانت نعمى قد قابلت الملك في ذلك اليوم .  
وقد قص عليها خبر مؤامراته ولم ينس شيئا ، واوصاها بان تهيب لعباد اسباب  
القضاء على بلقيس .  
فخرجت نعمى من غرفته وهي تعجب للاشباح كيف تتآمر وللأموات كيف  
يفكرون في العروش .  
وراحت تصف لمولاتها خال ذلك الشبح المتآمر ، والملك الغاني الذي يطمع  
بالحياة وهو يموت ..  
وخبرتها بان عباداً وغلामين معه سيوزرون القصر بعد ايام ، تلك الزيارة

الغريبة ويجربون خناجرهم بوسائد الفرش ...  
ولم تكن نعى تعلم ان سيد مذبح قدم مأرب وان الملك اغلظ له في القول  
واسمعه ما يكره .

على ان عتيكا اقبل على القصر عند المساء في الساعة التي كان فيها الملك  
يهامس عباداً وروى لشرحيل وابنته حكاية جابر مع ذي القرنين ، كما رواها  
امير ظفار .

وسأل الاثنين ان ياملا جابراً ويحسنا اليه .

ثم عاد الى البلاط دون ان يعلم غلام الملك .

أما ناشر ، فقد دعا الى غرفته ، عند ما غربت الشمس ذلك الامير الذي استخف  
به مولاه ، وكان لم يزل نائراً ، وقال له :  
الم تنس ما حدث لك ايها الامير .

— وكيف انسى وقد أهينت مذبح وخرج اميرها من البلاط مهتم الكرامة  
ذليلاً لا يحمل لقومه الا العار ؟ .. قل لي ايها الامير ماذا اقول للمذبح ؟ أقول لهم  
ان ملككم لا يحسر على اغضاب تهامة ولا يريد ان يحزن اليكم ؟ ام اقول لهم أغزوا  
قبائل معد واسترجعوا الشرف الذي فقدتم ؟؟ خير لي ان اعود محمولا على الاعواد  
من ان ارجع حاملاً ذلي وازدراء ذي القرنين بي !!

— بل تقول لهم ان في مأرب ملكين أحدهما على العرش يزرع البغض في  
الصدور والآخر لا عرش له ولكنه يملك القلوب .

فنظر اليه اليه مستغرباً ثم قال : من هو هذا الملك ؟

— شرحيل بن عمرو !!

— هذا كبير الامراء وابن عم ذي القرنين .

— نعم فاذا طاب لك ان تعود الى قومك حاملاً لهم ما يساعدهم في هذا  
الضيق فاذهب اليه !

— أيستطيع شرحيل ان يفعل هذا ؟

— اجل فهو زعيم اليمن اليوم وسيد المحسنين .

— ولكن امير مذحج لا يمد يده الا الى الملوك .  
 — لا تنس ان شرحبيل ملك وهو ابن يعفر .  
 — ومن يتقدمني اليه ؟  
 — الا تعرفه ؟  
 — بلى ، غير ان الحاجة تخرس اللسان .  
 — ولكنها عادة للعرب فلا تغير العادات ، قم فاذهب الان فهو في القصر واذا  
 حدثته فحدثه والناس لا يسمعون .  
 — واقص عليه ما جرى لي مع ابن عمه ؟؟  
 — قل له ما تشاء فالصدر رحب يتسع للاسرار .  
 — اخشى ان يردني كما ردني تبع .  
 — بل تخرج من قصره وانت شاكر وشديد الاعجاب .  
 فقال : انها ساعة وتمر ، فاما ان نهجر اليمن الى الابد ثم نكافيء ذا القرنين  
 على احسانه ، واما ان ينسينا ابن يعفر هذا الذل الذي رأيناه .  
 ونهض ، فالتفت بعباءته وهو يقول :  
 اشهد ابها القصر الشاهق اننا لا نرجع اليك وذو القرنين حي ، واشهد يا امير  
 ظفار ان الطعنة التي وجهها الينا مولاك ستنزل معنا الى القبر . اما انت فكريم  
 وستعترف مذحج بفضلك اذا قدرت .  
 وخرج وصدره يغلي ، وهو لا ينظر الا الى الباب الذي سيخرج منه .

\*\*\*

كان كاهن مأرب يعلم مما يراه كل يوم ان الملك سيموت وولي عهده بعيد عنه .  
 بل كان يحصي الايام التي بقيت لذي القرنين على الارض .  
 على انه لم يكن يعبأ بحياته وموته ، بل قل انه كان يتمنى ان يموت ، ليصير  
 ملكاً ، بالوكالة ، كلما غاب ولي العهد عن مأرب .

ولم يكن له في ذلك سياسة ، بل كان يريد ان يضع في خزانته كل ما في اليمن من مال .

ولا يتم له الامر كما يشاء الا اذا ضم الى الكهانة الكبرى وكالة الملك . وكان يعلم ايضاً ان ذا القرنين لا يوصي لشرحيل بشيء ، اذا بقي شرحيل حياً ومع ذلك فوت شرحيل في نظره خير من حياته ، ليخلو له الجو ، وينام قروير العين .

وهب انه لم يكن نائب الملك ، فوجوده في البلاط مع الملك الجديد ، ولا وجود لشرحيل وبلقيس ، يجعله نصف ملك ، ويضمن له النفوذ الذي يكثر معه ذهبه لوهاج .

اجل ، كان وتار ذمر في ذلك الحين نافذاً وبعيد الصوت ، ولكن ذلك النفوذ يضمحل عندما تصبح بلقيس ملكة . وبعد ابوها اصبعه في شؤون الملك .

اذن فليمت ابن بغفر وابنته قبل ان يعود ولي العهد ، وليمت الملك بعدهما . ولسيح اليمن كلها ميداناً لنفوذ ذلك الكاهن العظيم .

هكذا كان وتار ذمر يوغر صدر الملك كلما وقف الى جانب فراشه ، ويسأله ان يتعجل في الامر .

حتى عول ذو القرنين على تنفيذ الحكم بالاعدام ، وطلب اليه ان يختار رجلين يكونان مع عباد .

فتمل الكاهن ما امره به ، وجاء الى البلاط بعد خروج امير مذبح منه ليصف للشيخ ذنبك الرجلين .

فقال له الملك عند دخوله :

ماذا فعلت ايها الكاهن ؟

— رأيت الغلامين اللذين ذكرت يا مولاي .

— ممن هما ؟

— الواحد من عبد القيس ، والآخر من كندة .

— وليس لها أهل ؟

- لا يا مولاي فاذا قتلنا بعد القضاء على بلقيس فلا يسأل عنها احد .
- وهل بحث لها بالسر ؟
- كيف ابوح به قبل ان تأتي شاعته . ان عباداً وحده يعرف سرنا وسيقلعه لها عند ما يمسي الثلاثة في فناء قصر شرحبيل .
- قال : أحسنت فانت كثير الحذر ايها الكاهن ، ولكن ما هو رأيك فيما ذكرته لك عن قتل ابن يعفر ؟
- ليس لي رأي في هذا فالملك أعلم باخلاص ناشر وعثيك اللذين يعيشان في البلاط .
- قال : ان ناشرأ اخلص الناس ، وهب ان امير نخلة غير مخلص فهو لا يحسر هل الخروج عن الطاعة .
- ولكن القتل في الرواق يهز من في البلاط وتضطرب له الجوارى والغلمان .
- بل يحدث في لحظة دون ان يرتفع للقتيل صوت .
- ولماذا لا يكون خارج البلاط ؟
- اذا جرى خارجه تبعته الفضيحة والملك لا يريد ان يفضح نفسه .
- اخشى ان يستغيث القتيلى فيحدث ما تخافه .
- وكيف نمنع هذه الاستغاثة ؟
- يتولى امر القتل ثلاثة بدلا من اثنين .
- لا ننجذ في البلاط رجلا ثالثاً نعهد اليه في قضاء هذا الامر . بل يوجد هنالك رجل هو انت !
- انا يا مولاي ؟!
- اجل انت فليس عندنا من نثق به .
- ولكن لا اطيق حمل الخنجر يا مولاي ولست من اولئك الرجال الذين ألفوا الطعن والقتل .
- قال : تكون في حجرة الملك عندما يكون فيها شرحبيل ثم تخرج وراءه لتضع يدك على فمه اذا حاول الاستغاثة !

— بل اقف عند الباب يا مولاي فارى جثة اللعين تهوي الى الارض .  
 فhez رأسه قائلا : قف حيث تشاء فانتم لم تخلق لتكون من رجال السيف .  
 وقبل ان ينصرف قال له : نهياً فستستفيق مأرب على هذا الحادث العظيم بعد  
 يومين ، وينتهي امر ابن يعفر .  
 وجرب الملك ان ينام بعد ان ارتاحت نفسه فلم يقدر ، وعين القضاء كانت  
 ساهرة لا تنام .

\*\*\*

## ٥٠

لم يظهر شرحبيل الجابر بن مفروق انه يعرف شيئا من امره .  
 بل استقبله كما تعود ان يستقبل امثاله من الامراء ولم يكتمه استغرابه ، ذلك  
 القدوم الفجائي .  
 فقال سيد مذحج : كنت في قصر الملك ولم اشأ ان ارحل الى نجران قبل ان  
 ارى كبير الامراء .  
 — ومتى قدمت ؟  
 — منذ بضعة ايام فأتراني الملك في حجرة تحاذي حجرته ليراني في كل لحظة  
 واحاطني بعنايته واحسانه .  
 قال : ليس في ذلك شيء من العجب فانت اهل لعطف الملك ورضاه . ألم  
 تكن مذحج احدى القبائل التي يستند اليها عرش تبع ؟  
 — كانه كذلك فيما مضى ايها الامير !  
 — واليوم ؟  
 — اما اليوم فقد اكتنف بني مذحج الضبيق فرجلوا عن اليمين يطلبون  
 الحياة بالسيف .

— عرفت انك فعلت هذا في العلم الماضي ، اتقيم الان بنجران ؟  
 — بواديا الذي تبدأ عنده نهامة .  
 — ولكن هذا الوادي لا ينبت زراعا .  
 — ان المال الذي اعطانيه الملك يخلق هذا الزرع .  
 قال : لم اسمع قط ان اهل نجران يعيشون بسعة فانصح لك بان تنقل الى بلد  
 آخر تغلب فيه جور الزمان .  
 — فعلنا ذلك فغلبتنا معد .  
 — وماذا صنع الملك ؟  
 — امر بالجيوش فتهيأت للحرب وستسير بعد يومين الى الميدان لتكون عونا  
 للملحج ...  
 قال : لست ملكا يا جابر لارسل معك جيوشا ولكني املك سيفي فأهبه لك  
 واساعد جنود الملك في الدفاع عنك .  
 فاختلفت عينا الامير الفتى وجعل يقول :  
 لتهنأ ملحق بهذا السيف الذي وهبه لها ابن يعفر . . لقد طوقني يا سليل  
 الملوك فضلا لا انساه ورفعت رأسي بين القوم .  
 — واي فضل لهذا السيف وقد سبقه سيف الملك ؟  
 فقال : وهل صدقت ايها الامير ما قلته لك ؟  
 — وكيف لا اصدقه وانت قائله .  
 قال : خرجت من بلاط ذي القرنين صفر اليدين وليس في كسي ما اشترى به  
 خبز يومي .  
 قال : جابر بن مفروق ١٩٩  
 — نعم لقد خرج جابر بن مفروق من غرفة الملك كما يخرج المعوز المستعطي  
 الذي تطرده الغلمان !!  
 قال : هذا هو القول الذي لا اصدق منه كلمة .  
 — اقسم لك بشرف مذبح ان الملك لم يسمعي كلمة رضى ولم يعطني درهما

حتى ظننت انه سيكرهني على ترك البلاط والرجوع من حيث انبت !!

فبان الغضب في وجه شرحبيل وقال :

أفعلها ذو القرنين ولم يذكر من انت ؟

— اي وتربة حمير فعلها ولم يبال .

فاطرق الامير وطال اطراقه .

فقال : في اي شيء تفكر يا مولاي .

— في هذا الملك الذي يغضب رجال عرشه ودعائم ملكه !!

— ولكن سيأتي يوم يندم فيه على ما فعل وهو يوم قريب كما رأيت .

قال : لا تغضب يا سيد مذحج فلعل الداء الذي يعاني الملك آلامه ينسيه

نفسه ...

— لا يتسع لي في هذه الساعة مجال الغضب يا مولاي ، على اني لن اسكت عن

هذه الالهانة ولن تصبر مذحج على ذل !

فضحك قائلاً : أتشهر الحرب على تبع .

قال : لا تستخف بي يا مولاي فانا ان لم اشهر الحرب على الملك استطعت ان

أهزأ به كما هزأ بي واستعيد كرامتي بعد موته !

— اي انك ستحارب ولي عهده يوم يصبح الملك له .

قال : يكفي اني لا اعترف بمن ذكرت ولا ابايعه الملك ما بقيت مذحج .

— ولكن تبايعه اليمن ويصير ملكاً وتخرج مذحج من بلادها الى الابد وهي

بدون ملك .

— سأفعل هذا وان لا ابالي .

قال : الاتجعل لك مرجعاً تلجأ اليه يوم تجور الاقدار .

— كان ذو القرنين مرجعاً لنا فطردنا من بلاطه ومع ذلك فانت مرجعي

وملكي منذ الان وهذا السيف لا يخرج من غمده الا في سبيل طاعتك !

قال : ان ملكك يا ابن مفروق بدون تاج .

— قل كلمتك يا مولاي نجعل لك مذحج وغيرها من عشائر اليمن تاجاً لا



تزرعه يد الزمان !.

— وولي العهد ؟

— ليمت فلاحير بولي عهد يحفظ ابوه الذهب في خزانته ورعيته يهددها الجوع

— ومن يقول من امراء اليمن مثل قولك ؟

— سمعت ناشراً امير ظفار الذي هو وزير الملك يقول مثل هذا .

— ان امير ظفار عدو لي .

— وماذا تريد يا مولاي اكثر من ان يشهد لك عدوك ويعترف بانك رجل

الساعة ؟

فاكتفى شرحبيل بما سمع ولم يشأ ان يتأدى في امره فقال : جئت الي لاهب لك سيفي فوهبت لي سيفك .

— واجود لك بدمي يا ابن حير .

فقال : يا غلام . ادع بلقيس .

فاقبلت تلك الاميرة الحسنة فبهر جمالها عيني جابر وجعل يتفرس فيها وقد ملأ الاعجاب نفسه .

فقال شرحبيل : هذا امير مذحج وقد اقبل من نجران يسأل الملك ان يحسن الى قومه .

فانحنت الفتاة .

فقال : ولكن الملك رده ولم يشأ ان يجود بشيء .

قالت : انه ملك . فهو يجود على البعض ويبخل على البعض الاخر . وماذا تريد ان تفعل انت يا مولاي ، اترده كما رده ابن عمك ؟

فقال جابر : حسبي ان يكون ابوك راضياً .

— اما هو لا يرضى الا ان تعود الى قومك وانت مكتر ، قل يا مولاي ماذا اعددت لامير مذحج .

قال : كل شيء يملكه شرحبيل بن عمرو هو له .

فقال : أليس من العار على اليمن ان يكون ذو القرلين ملكها وتكون انت

رجية له ؟

— لقد ورث هذا الملك ولم يأخذه قهراً . ومن يعلم فقد ينتقل الملك الى اذا ساعدني سيف جابر وسيوف امثاله من امراء العشائر في الحصول عليه .

قال : سأزحف على رأس جيشي الى مأرب عند اول خبر يرد علي منك .  
— واثق بان هذا الوعد وعد حر ؟

— نعم يا مولاي واقسم لك .

فقال : كفى ، اعطيه يا بلقيس ملء جرابه ذهباً .

— هذا كثير يا مولاي .

— بل قليل عليك ، واعطيه طائفة من دروع جدنا غالب ومائة سيف من سيوف  
أببين وريام .

فحاول الرجل ان يتكلم فاسكتته قائلاً .

وقولي لنائل ان يعد له خمسين بغلاً تحمل المؤونة ومعها تلك الناقة التي اهديت  
الينا من مكة والتي لا نملك سواها .

فصاح قائلاً : اسألك يا مولاي بترية حبر ان تأذن لي في الذهاب فانا اخشى  
ان يقتلني هذا !!

قال : تبقى ثلاثة ايام ثم تذهب ، ماذا نعطيك بعد يا ابن مفروق اتأخذ ولدنا  
الهدهاد فتجعله ولداً لك ام تريد ان يسير معك شرحبيل بن عمرو فيكون الى جانبك  
في ايام الضيق ؟ قل ماذا تريد بعد ولا تخف فإني كله ابدله لك لتستطيع مذحج  
ان تفاخر العشائر بان ابيرها سيد الامراء ! .

فتفجرت الدموع من عيني ذلك الفتى وجعل يتمتم الفاظاً لم تصل الى الاذان .  
فقال بلقيس : امير مذحج يبكي !

— نعم ابكي فقد ضيعت الزمان في خدمة ملك لا يعرف قدر الرجال .

وجرد سيفه فوضعه عند قدمي شرحبيل قائلاً :

دمي حلال ان لم يكن هذا السيف لك والمذحج الى الابد .

فتناول الامير السيف وقلده اياه وهو يقول :

خذه فانه سيف شريف .  
 ومعنى هذه العادة ان السيف اصبح لشرحبييل وقد وهبه له ليضرب به اعداءه  
 وكانت ساعة اصبح فيها الامير عبداً لابن يعفر ومذحج وسيوفها ملكاً له .  
 وانقضت الايام الثلاثة وجابر لم يخرج من القصر .  
 وفي اليوم الرابع خرج من مأرب وتقدمته المؤونة والمال على ان يعود مع  
 جيشه اذا قضت الحاجة .  
 وكانت بلقيس تقول لايها :  
 لقد اشتريت بالمال الذي بذلته لابن مفروق عرش حبر .

• • •

٥١

هذا غلام الملك يا مولاي .  
 — عباد ؟  
 — نعم وهو يستأذن بالدخول .  
 فابنتمم شرحبييل ابتسامه قصيرة لثائل : لقد اذنا له ، ثم قال لبلقيس : لقد  
 ارسل اللعين يدعو ابن عمه الى القبر .  
 فاجابته بابتسامة تشبه ابتسامته ، ثم دخل عباد فقال :  
 امرني الملك بان ادعوك اليه هذا المساء .  
 — وكيف هو الملك اليوم ؟  
 فظهرت الكتابة على وجهه واجابه قائلاً :  
 لا ادري يا مولاي فحال الملك حال تعب دائم والم مستمر واخشى ان  
 يفاخته الموت في هذا الليل .  
 فقطب حاجبيه وقال : احذر ان تقول هذا مرة اخرى فالموت لا يجسر على  
 هل الدنو من ذي القرنين .

فقال في نفسه : ولكنه يحسر على الدنو منك .  
ثم ارخى نظره وهو يقول : بماذا اجيبه يا مولاي ؟  
— ماكون بين يديه بعد ساعة . ولكن كنت اوثر ان ابقى الليلة على ان اذهب اليه عند الصباح .

— ولكنه ياج في طلبه يا مولاي .

— عجباً وماذا حدث للملك ؟؟

— من يعلم اي خاطر خطر له .

— أهر وحده ؟

لقد دخل وتار دمر البلاط عندما خرجت منه وقد يكون الان عند فراشه ؟  
فقالت بلقيس : لا تردد في الذهاب يا مولاي فلو لم يكن الملك بحاجة اليك لما ارسل غلامه الساعة .

— اذن قل له اني ساجيء .

فخرج عباد ومشي شرحبيل الى غرفته ، ليلبس درعيه اما باقيس فسدعت ناللا والغلمان الثلاثة ووصيفتها نعمى لتعيد تمثيل ذلك الدور العجيب .

وأوصت اباهما بان يحذرا اعداءه ، وبان يقرأ مظاهر ذلك الكاهن الغدار بل يقرأ ما في نفسه اذا استطاع .

وانصرف الامير وخنجره في حزامه ، وساد قصره بعد ساعة ، ظلام وصمت رهيبان .

وكان ناشر وعتيك في الرواق المؤدي الى غرفة الملك ، فلما وصل شرحبيل هامسه ناشر قائلاً :

امستعد انت للموت ؟

فاجابه وشفته ترتجفان : كلنا فداء ذي القرنين .

قال : احذر ان تبدر بادرة غضب وانت عنده .

قال : ولكنه سيكون الليلة كثير العطف علي وخفيف الظل .

— كما انك ستكون ليناً ومصدق الطاعة .

واستأذن شرحبيل ودخل والاميران وراءه وذن وتار ذمر جالداً عند قدمي  
الملك وليس في الحجرة من الرجال والنساء سواه .  
فاقترن في القرنين واذن لهم في الجلوس ثم مد يديه الى ناشر فاجلسه  
وكان يقول :

من كان يظن يا ابن العم ان الملك يمسي عاجزاً عن القعود في فراشه ؟  
فقال : انها ايام قصيرة وتزول يا مولاي .  
— بل تنتهي هذه الايام بانتهاء هذا الليل . لقد دعوناك الان لتنظر النظرة  
الاخيرة الى ملكك قبل ان يلفظ روحه !!  
وكان وجه الملك عندئذ وجه ميت .  
قال . دعوتني يا مولاي لتأمرني بمهمة اخدم بها عرشك .  
وقال الكاهن والاميران : يعيش الملك .  
اما هو فاستطرد قائلاً : لقد تركنا العرش لصاحبه ولي عهدنا الذي يحارب  
الحبشة من اجله والذي يعود بعد ايام ليلبس تاج ابيه وتكونوا انصاراً له كما  
كنتم انصاراً لنا .

فقال وتار ذمر : ودعوتني انا يا مولاي لتقول لي هذا ؟  
— اجل ، وللك رأي آخر يريد ان يقوله وانتم تسمعون . اننا نفوت وعمرنا  
بعيد عنا وليس في اليمن من احفاد حمير غير شرحبيل بن عمرو ، فاسمع باشرحبيل ،  
انك نائب الملك منذ الان حتى يعود ولي العهد ولك ان تفعل في اليمن ما تشاء  
دون ان يكون لاحد نفوذ يشبه نفوذك ورأي فوق رأيك !!  
فصاح قائلاً : العرش لك ولولدك من بعدك وستملك قواك غداً او بعد غد  
للاحتجاج الى شرحبيل وسواه !  
قال : اسمع واطع فالملك يتكلم الان .  
فسكت ، وقد رأى ان يصبر على هذا الاستهزاء ، ولكن وتار ذمر لم يشأ الا  
لان يمد اصبعه لثمن حيلته وحيلة مولاه ، فقال : لقد جعلته نائباً منذ الان . والعرش  
لا يحتاج الى نائب والملك حي !

— لو لم نحس بمخالب الموت تنشب في هذا الصدر لما فعلنا .

— فليكن نائباً بعد ان يموت الملك .

فنظر اليه نظرة غضب وقال : ويلك يا وتار ذمر أنتخالف مولاك في قولـ  
يقول وهو يوصي ؟ اننا نعهد لابن عمنا في امر الولاية عندما نشاء فليس عليك  
الا ان تعطيه كما تعطينا وتخضع له خضوعك لذا فهو ملكك حتى يعود عمرو  
كما قلنا ...

والفتت الى الاميرين الآخرين قائلاً : اشهد ان شرحبيل نائب الملك منذ  
هذه الساعة والويل لمن لا يعترف به ...

فقال شرحبيل : الا يجوز لي يا مولاي ان ازل عن جفتي لمن هو اعظم مني  
شأناً وابعد صوتاً وقرب الى البلاط ؟  
— من هو هذا ؟

— وتار ذمر نفسه يا مولاي الذي يبدأ نفوذه بعد نفوذ الملك .

قال : لينظر وتار ذمر في امر هياكله وكهانه . . ان العرش لا يسلم الا الى  
ضليل الملوك الذي هو انت والحق لك وجدك بعد ولي العهد . : ماذا تقوله  
ايها الكاهن ؟ ؟

— من يحمر على اغضاب الملك ؟ . لقد قلت كلمتي وانا واثق بانك باق  
وبان الموت اضعف من ان يمد يده اليك .

— بل قلنتها وانت تريد نيابة الملك لنفسك !

— عفوك يا مولاي فاننا لم افكر في هذا ! .

— اذن فانت تعترف بان شرحبيل مولاك .

— نعم .

— وستكون عوناً له في كل ما يأمر به ؟

— نعم فهذا ما يريده الملك .

— وانت يا شرحبيل اذكر انك ابن يعفر وان العرش عرش اجدادك الذين

بنوه بالسيف .

قال : لم انس قط ما يقوله مولاي .  
— واذكر ان لهذا العرش اعداء يصلونه الحرب من وراء السنار وانت تعلم  
من هم فلا تغمض عينك عنهم .  
فكرهت نفسه ان يعترف بهذه العداوة ، فقال :  
لا اصدق يا مولاي ان في اليمن اعداء لك .  
— بل يجب ان تصدق وتكون سياجاً لعمرى الذي سيتولى امر الملك وهو  
في فجر شبابه .

فاجابه قائلاً : ان الفتى الذي يحسن قيادة الجيوش الى الميادين يحسن في الوقت  
نفسه الجلوس في كرسي ابيه .  
فقال وهو لا يبالي : لقد خبرنا قبل سفره انه سيتزوج بلبقيس وانك وعدته  
بهذا الزواج فقل له عند رجوعه ان يجعل زواجه في العام المقبل .  
وقال للآخرين : هذه هي ارادة الملك التي تأمركم بان تنقلوها الى ولده .  
عار على ولي العهد ان يحبي الافراح في البلاط وابوه نائم في قبره منذ ايام ...  
وبكى اللعين عندئذ ولا يعلم احد اية عاطفة جالت في صدره ، في تلك  
الساعة

على انه لم يلبث حتى تبسم لخاطر آخر جديد فقال :  
سنترك هذا العالم ونحن لا نعرف ابنة عمنا التي ستسمى ملكة .  
— خير لك ان لا تعرفها يا مولاي فقد تكون على غير ما وصفت لك .  
قال : لئنأ بالملك وليهنأ عمرو بها فهي اهل له .  
وجعل يقص عليهم حكايات ماضيه وهو ولي العهد حتى كاد ينقضى الهزيع  
الثاني من الليل ، وحتى ايقن بان جميع من في البلاط يغطون في النوم .  
فاوماً الى الاميرين بان يخرجوا قائلاً لهما : انصرفا فقد بقيت لنا كلمة نقولها  
لثنايب الملك ولكاهن مأرب .

فعرف ناشر وعتيك ان ساعة شرحيل قد دنت ...  
وقاما فخرجا ، فقال :

بايع مولاك ولي العهد يا وتار ذمر .  
قال : اقمم بالالهة اني سأكون عبداً للملك عمرو بن ذي القرنين .  
- واقسم انت يا شرحبيل .  
فقال : اقمم اني سأكون مخلصاً لعرش الملك .  
ومد يده الى حزامه ليرى اذا كان خنجره فيه ...  
فقال الملك : أذنّا لكما في الذهاب الآن على ان تعودا فقد نعيش الى  
الصباح !!  
اما شرحبيل فلم يجب ، واما وتار ذمر فقد ابتسم له ابتسامة خفية ثم نوارى  
الاثنان عن نظر الملك الغدار .

\* \* \*



لم يدخل شرحبيل الى البلاط في ذلك الليل حتى خرج منه عباد يريد قصر  
وقار ذمر وعلى وجهه حجاب .

غير انه لم يبق في ذلك القصر غير لحظة فقد تركه من باب آخر لا يطل على  
السوق ومشى وراءه غلامان محجبان هما مع عباد عصاة للسوء .  
ثم سار الثلاثة الى قصر شرحبيل وغلام الملك في الطليعة والجميع ساكنون كأنهم  
لهائرون وراء نعش .

حتى اقبلوا على القناء فرأوا ثلاثة اشباح وقفوا كالتماثيل وراء السور ، بينهم  
وبين هذه الاشباح بضع خطوات .

فخفق قلب عباد اولاً ، ثم جعل يلوم نفسه على هذا الخوف الذي لا سبب له ،  
ورأى باب القناء مفتوحاً فدخل ودخل رفيقاه .  
فابصروا عبداً يحمل سراجاً فقال الغلام :

نحن من غلمان الملك ايها العبد وقد ارسلنا الامير شرحبيل ننقل الى وصيفة  
ابنته كلمة قالها لنا .

فحنى العبد رأسه ولم يجب ، كأن امرأ خفياً صدر اليه من ربة القصر، وتقدمهم  
الى ليهو المظلم ليدعو نعمى .

ثم جاءت نعمى فقالت : من انتم ايها الغلمان ؟  
فاجابها عباد وهو لا يضطرب ولا يرتجف صوته :

اذكري امر الملك !

قالت : عباد ؟؟

— نعم .

فصرفت للعبد وهامستهم قائلة : لقد نامت الاميرة ونام اخوها فاحبسوا  
انفاسكم واحذروا ان يسمع لكم همس .

ثم مشى امامهم في ذلك الرواق الطويل حتى وقفت بباب بلقيس وقالت :

ليدن غلام الملك فسانح الباب .

وكان همسها مسموعاً من الداخل .

فدنا ذلك الغلام وفتحت الباب وهي تقول :

ادخلوا !!

وكان ظلام تلك الحجرة موحشاً يبعث الهيبة والدعر .

ثم جعلت تنقل قدميها ببطء وهم وراءها حتى امتست عند سرير بلقيس .

فقالت : هذه هي فاضربوا .

وتراجعت . ثم اغلق الباب .

فسقطت خناجر الاشقياء على ذلك الجسم الناعم النائم في الفراش ولكن ذلك

الجسم كان جماداً فقد مزقته الشفرات وهو في موضعه لم يتنفس ولم تخرج كلمة من فيه .

فصاح عباد : خيانة للملك .

وفي تلك اللحظة نفسها ارفع الستار الاسود وبرزت من ورائه بلقيس

وغلمانها الاربعة وهي تقول ، خيانة للملك ؟ ..

وقبل ان ترتفع الايدي ، فتح الباب الآخر الذي يؤدي الى غرفة نعمى وظهر

منه نور جعل الليل نهاراً .

ثم اغمدت الخناجر في الظهور .

انها ساعة . صبغت فيها الدماء سرير بلقيس وغرفتها وملأت اصوات الاستغاثة

فضاءها وليس من مغيب .

ثم خمدت تلك الاصوات وامسى غلمان الملك تحت الاقدام .

فقالت بلقيس لرجالها كأنها لا ترى شيئاً ولم يحدث شيء .

أحملوا هذه الجثث واطرحوها خارج القناء دون ان تقولوا كلمة ، وارجعوا

الى القصر اما انت يا نائل فافعل ما امرتك به ولا تعد الي حتى يغيب التراب

هذه الاجسام .

فطرحت الجثث عند السور كما قالت بلقيس .

ولكن تلك الاشباح التي رآها عباد كانت قد اعدت لها حفرة واحدة نقلتها اليها ؟

وأسدل الستار على مؤامرة الملك من هذه الناحية .  
ولم تكن هذه الاشباح غير ثلاثة رجال ، من اتباع ناشر امير ظفار .

• • •

٥٣

وقف كاهن مأرب عند باب الملك وكان ناشر وعتيك قيد ذراعين منه كأنهما  
ارادا ان يقتلا ابن يعفر علي عتبة ذلك الباب .  
اما شرحبيل فشى خطوتين اثنتين ثم رأى الشفرة تلعب في يد احدهما ، فقال  
وهو يتظاهر بالخوف : من انت ايها الرجل ؟  
فاجابه ناشر قائلا :

فنى من مأرب يجرب ان يغمد خنجره في صدرك يا ابن عم الملك .  
قال : الصوت صوت ناشر وانت تمزح .

— أجل ، ولكن تعودت ان اسفك الدماء بعد كل مزاح ، وعاجله بضربة سمع  
لها صوت . ثم سمع صوت آخر لضربة اخرى وقال الاثنان :  
هذا اول رجل رأيناه يلبس درعين وقد كسر الخنجران .  
قال : ولكن خنجري لا يكسر وسأجربه الان .  
وكان الملك جالسا في فراشه وهو يسمع كل شيء .  
فلما قال شرحبيل كلمته الاخيرة ، عرف انه لم يمت ، وان ذينك الامـيرين  
يخونانه ويعبثان به وهو غافل عنهما .

فارتخت يده اللتان يستند اليهما وسقط بين وسائده .  
وكان ناشر يقول في تلك اللحظة : قلت لك اننا تمزح مع نائب الملك لنختبر  
شجاعته في مواقف الخطر .

— بل ضربت وضرب ابن روضة ولولا هذان الدرعان لغاص النصلان في

جسدي وغصت في دمي وخلا لكما الجو .

فقال عتيك : اخفض صوتك فالملك لم ينم وسيستيقظ جميع من في البلاط ..  
ولكنني اريد ان اسمع الملك ويعرف ان امراء البلاط يتآمرون على الرجل  
الذي جعله نائباً له .

وجرد خنجره وهو يهدد ويتوعد .

فركض عتيك الى حيث يقف وتار وذمر واحتفى به قائلاً :

ابن خنجرك يا مولاي الكاهن ؟

فلم يقل الكاهن كلمة لان الذعر عقد لسانه .

ثم لحق ناشر بعتيك وهو يقول : عفواً ايها الامير فلقد اخطأنا في مزاجنا وهذا  
الكاهن يشهد اننا لم نرد لك سوءاً .

— بل كان هذا الكاهن شريكاً لكما فليدافع عن نفسه او فدافعا عنه .

وهم بضربه : فتراجع وتار ذمر الى الورا ثم لم يجد له ملجأ غير حجرة الملك

فدار من وراء شرحبيل ثم وثب اليها وثباً وفتح الباب ودخل .

ولم يتردد المتآمرون في الدخول خلفه .

ثم فعل شرحبيل مثلها وخنجر في يده .

خبر ان العرب استولى عليهم عندما رأوا ذا القرنين !

رأوه مستلقياً على وسائده وهو مطبق العينين ، ولكنه لم يكن نائماً ، بل كان

قد مات . فرفع شرحبيل صوته قائلاً :

مولاي . !

غير ان مولاه لم يجب .

فأعاد قوله وهو لا يصدق ان يد الموت امتدت الى تبع العظيم الذي كان

الموت نفسه يخاف غضبه .

ولكن النائم لم يسمع ذلك القول .

فنظر الى الثلاثة نظرة يأس ، ثم دنا من السرير ووضع يده على جبين الملك

وجعل يهز رأسه .

لم ذهل عن حوله واخذ يتفرس في تلك الجثة الخرساء التي كان صاحبها اعظم سيد في العرب .

فقال عتيك وهو خائف :

أما مات الملك ؟؟

فأجابه هامساً : لا اعلم فقد يستفيق بعد ساعة !

فابتسم اللعين ابتسامة خبث وهو يقول :

انها يد الموت وهذه هي ...

ورفع تلك الوسائد التي تسند الجثة ، فسقط ذو القرنين على الفراش ولم يهتف له جفن .

فقال : لقد مات الملك وانت خليفته يا مولاي .

— بل انا نائبه والملك لولي العهد .

— أجل يا مولاي وهذا ما اردت ان اقول .

وكان وتار ذمر يتراجع الى الوراء ليستند الى الجدار ، وقد ارتعم الذعر على وجهه . ان ركبتيه كانتا ترتجفان وقد أحس انها لا تطيقان حمله .

وقد عرف شرحبيل ان الرجل يكاد يموت من رعبه .

بل عرف ، في تلك اللحظة ، ان كل شيء قد تغير وانه امسى ملكاً . فقال

للقوم :

اتذكرون ايها الامراء آخر كلمة قالها الملك ؟

فهم عتيك غايته من ذلك السؤال ، فأجابه قائلاً : تذكر انك القائم بأمر الملك .

— وتشهدون غداً ان الملك امر بهذا ؟

— نعم يا مولاي .

— وانت ايها الكاهن ؟

— فتمتم قائلاً : انا اول من يعترف بذلك !

قال : لقد نسينا ما حدث الساعة في هذا الرواق فلا نسألك يا ابن روضة الا

عن الغاية التي اردتها من قتل شرحبيل بن عمرو .

فأطرق الرجل وتظاهر بالخوف .

فقال : وانت يا امير ظفار ماذا تقول ؟

— كنا نمزح يا مولاي كما قلنا لك .!

— ولكنه كان مزاحاً غريباً كما ترى ! انك اول عربي يداعب الناس ويمارحهم

بمجنجه . !

وكان عتيك يرتجف من خوفه . فقال له :

اعترف يا عتيك بما اراد امير ظفار ان يكتمنا اياه والافتحن لا ننسى ما

حدث وسنخبر ملكنا عمراً كل شيء .

فقال وصوته يضطرب : عفوك يا نائب الملك .

— لقد عفونا فاذاً كر ما تعلم .

— أقسم بهذه الجنة انك ستعفو .

قال : ان نائب الملك يأمرك بان تبوح له بالسرفهل تفعل ؟

فتردد قليلاً ثم قال : كنا نحن الاثنين يا مولاي ، آله في يد رجل قوي قاهر

لا يرد له في اليمن امر .

قال : اهذا هو ذلك الرجل ؟

وأشار الى وتار ذمر .

فقال : كان هذا من المتأمرين يا مولاي ، اما ذلك الرجل الذي سلح ايدينا

ودفعنا الى القتل فهو هذا !

وأشار الى الجنة .

فراجع قائلاً : الملك ؟ ؟

— نعم الملك !

قال : لا اصدق حتى يعترف الاثنان .

فقال ناشر : صدق عتيك يا مولاي .

فايقن وتار ذمر بأن شريكه في المؤامرة كانا خائنين وهما من رجال شرحبيل .

والا فأي شيء بمنعها من قتله في تلك الساعة وهو عند فراش الملك الميت ،  
وليس هنالك من يدافع عنه .

وكان يقول في نفسه :

لو لم يكونا من رجال شرجيل لما لبس درعين .

وخاف المسكين ان يقتله الثلاثة ، ويضعوا جثته حيث اراد الملك ان يضع  
جثة ابن عمه .

وزاد خوفه عندما ابصر شرجيل يدنو منه .

فصاح قائلا : لقد عفوت ايها الامير وانتهى الامر .

— أجل ، ولكن لنا كلمة نقولها قبل ان نهب لك الحياة أتريد ان تسمع ؟

— نعم يا مولاي .

قال : تخلف بالآلهة انك تطيعنا ما بقيت ، طاعة عمياء ، لاتردد فيها ولا رياء .

فهم بأن يحلف بالآلهته .

فأسكنه قائلا : ولكن يجب ان تعلم ان هذه الحياة التي وهبناها لك الان ملك

لنا نسلبك ايهاا عندما يخطر لك ان تهزأ بنا وتتكث العهد .

فحلف اللعين ، وسمى الآلهة باسمائها عند حلفه .

ثم تظاهر بأنه نسي امرآ ، فقال :

من هو ملك اليمن يا مولاي ؟

— ملكها عمرو بن ذي القرنين .

قال : واليمنيون رعية له كما كانوا رعية لابيهِ اليس كذلك ؟

— بلى .

— اذن يجب ان اطيعه ولو اراد قتلي .

— نعم فالملك يجب ان يطاع .

— واذا سألتني هذا الملك قضاء امر ثم سألتني انت قضاء أمر آخر فاذا أصنع ؟

فأدرك الامير ان الكاهن يريد ان يأخذ منه دون ان يعطيه ، فقال : الملك

قبل كل شيء .

قال : رضيت فأنا عبد للملك ثم لك .

— ولكن بقي شيء آخر .

— ماذا يا مولاي ؟

فلم يجبه ، بل قال لامير ظفار: اعطنا يا ناشر قلماً وورقاً فالكاهن الاعظم يريد ان يكتب عهداً .

فدهش وتار ذمر لما سمع ، ولكنه لم يصح من دهشته حتى احضر ناشر القلم والرق ووضعها بين يدي شرحبيل ، فقال :

خذ هذا القلم واكتب ايها الكاهن !

فتناول القلم دون ان يتردد وهو لا يعلم ماذا يكتب .

فقال له : ابدأ :

« وتار ذمر كاهن اليمن الاعظم ، وناشر امير ظفار ، وعتيك بن روضة امير نخلة ، يعترفون بان الملك ذا القرنين جعل شرحبيل بن عمه نائباً للملك ريثما يعود الملك عمرو من مهرا . »

فكتب الكاهن ما امره به وهو يضطرب .

فاستطرد شرحبيل قائلاً : ضع اسمك وليضع الاميران اسميهما .

ففعلوا ذلك والقي وتار ذمر القلم من يده ، وقد عرف انه مغلوب .

لكن الامير لم يكتف بما جرى ، بل كان في تلك اللحظة ملكاً ، في عظمته

ومظاهر سلطانه ، وكان يقول :

اكتب ايضاً يا سيدي الكاهن .

— وهل بقي هنالك عهد آخر ؟

— لقد انتهينا من العهد الان فاكتب :

« انا وتار ذمر اعترف بأنني كنت شريكاً للملك ذي القرنين في المؤامرة في ..

فرفع رأسه قائلاً : ما هذا يا مولاي ؟

قال : اعتراف بأنك ساعدت الملك في الامر الذي اراده الليلة .

— ولكنني لم احمل خنجراً كما رأيت ولم ادن منك



قال : يكفي انك ارسلت الى الملك غلامك عبادا ليكون آلة اعدام في يده .  
— لقد امرني بان اجعله من غلمان قصره ففعلت .

— وأمرك بان تبعث به الليلة الى قصر شرحبيل ليغمد خنجره وخنجر رفاقه في صدر بلقيس ؟؟

فسقط قلم وتار ذمر وأرخی نظره الى الارض وهو يقول : نعم يا مولاي ذلك امر الملك . !

— وما هي غايته من القضاء على بلقيس التي ستزف الى ولده بعد حين ؟

— لم يكن يطيق ان يرى ابنة شرحبيل جالسة في عرش حبر !

— اكتب اذن :

« في المؤامرة على شرحبيل وبأني بعثت غلامي عباداً ليقتل بلقيس وهي نائمة »  
فتردد المسكين في الكتابة .

فقال : خير لك ان تفعل دون تردد في الامر .

— وماذا يريد الامير من وراء هذا الاعتراف ؟

— ستعلم كل شيء عندما يمسي اعترافك في يدي ..

فتمشى الحقد في عروق الكاهن وجعل يكتب تلك الكلمات والنار تحرق احشاءه .  
حتى وضع اسمه في آخر السطور وسلم اعترافه الهائل الى شرحبيل وهو يقول :  
لقد أردت هذا يا مولاي فليكن ما أردت .

فوضعه الامير في كفه وقال : نستطيع الان ان نتحدث بما يطيب لك، اريد ان تعلم غايتنا مما كتبت ؟

— نعم .

قال : اما العهد فقد امرناك بكتابته لاننا خفنا ان تقول لاهل البلاط وللمن كلها ان شرحبيل بن عمرو اغتصب نيابة الملك اغتصاباً . واما هذا الاعتراف للكي نضمن اخلاصك لنا لانه قد يخطر لك غداً ان تنسى ما وعدتنا به .

فتجاهل اللعين قائلاً : ولكني لم افهم شيئاً .

قال : الا تعلم ان الملك عمرأ يجب بلقيس وسيجعلها زوجة له فتصبح ملكة ؟

- بلى .

- اذن فاذا تصنع عندما نقول لهذا الملك : اقرأ اعتراف كاهنك الذي اراد

ان يقتل الفتاة التي احببت ؟

قال : يخيل الي انك تفكر في القضاء على كاهن مأرب .

- اجل ولكنتا لا نعطي الملك هذا الاعتراف الا اذا عمدت الى الخيانة ،

افهمت الان ؟

قال : سأكون اشد اخلاصاً لك من الهدهاد .

قال : وسنكون اشد وفاء لك من نفسك . ولكن الا تريد ان تعلم ماذا جرى

لبلقيس مع عباد ؟

- وهل تعلم انت يا مولاي ماذا جرى لها ؟

- يخيل الي ان عباداً ورفيقه يرقدون الان تحت التراب .

فاسودت الدنيا في عينيه وجعل يقول : اذا كان هذا فالاميرة ساجرة وقد

تهيات للأمر قبل حدوثه .

- اصبت فقد يكون هنالك شيء من السحر كما ذكرت .

ثم قال للاميرين : اما انتما فلا تخشى ان تسعيا بنا . ان الملك قد مات الان

وليس لكما غرض بالبلاط الا ان تقيا به . اخرج الان ايها الكاهن على ان تعود

عند الصباح لنعلن على اهل مأرب موت الملك .

فخرج وهو يتعثر بفشله وحققه وكان يقول في سره : اهناً بنيابة الملك يا

شرحيل وابن بالحيلة والدهاء ، ذلك العرش الذي تحلم به ويحلم به الخونة الذين

حولك . ولكنك لا تنس ان وتار ذمر في الوجود ، وانه لا يعبأ بالعهد الذي كتبه

والاعتراف الذي انتزعت منه .

وكان قد وثق الوثوق كله ، بان ذا القرنين كان على صواب عندما اراد ان

ينجو من ابن عمه .

اما الامراء الثلاثة ، فقد ابتسموا ابتسامة الظفر بعد خروجه ، وجعلوا ينظرون

الى الملك الغائص بين وسائده ، وفي صدر كل واحد منهم عاطفة لم يكن يحسها

من قبل .

ثم قال عتيك : ماذا رأيت يا مولاي ؟ أيسطيع عتيك بن روضة ان يقرأ الزمان الآتي كأنه يراه ؟

- اجل ، ويستطيع ايضاً ان يقرأ لنا من جديد اسرار هذا الزمان .

قال : لقد مات الملك يا مولاي ولم يبق الا ان تعد العدة .

- وهل يجور زمانك ام يصفو ؟

فهر رأسه قائلاً : لقد لمست شيئاً من جوره في هذه الساعة وانا اخشى ان يهادى في هذا الجور .

- وكيف ذلك ؟

- الم ننف الان عن هذه الافعى التي تنفث سمها في ظلام الليل .

- ولكنها ستصبح بدون سم .

قال : انك ستجعل العهد سلاحاً لك .

- نعم وهي سلاح امضى من السيف ! .

فضحك وهو يقول : اذن سيكون لك ملك واسع يا مولاي يبدأ في الحجاز وننتهي حدوده عند الحبشة .

قال : أنتستخف باعتيك ؟

- اجل يا مولاي وكيف لا افعل وقد بدأت عهدك بالعفو عن اعداء عرشك .

واطلقت الكاهن الاكبر الذي يستطيع وحده ان يهدم ما تبنيه .

وسكت قليلاً ثم قال : وما هو هذا العهد الذي وضعته في كلك يا مولاي ؟ !

انه رق مكتوب ستمحو الايام مطوره غداً او بعد غد ولا يبقى منه غير أثره .

قال : هات رأيك فيه .

- بل هات رأيك انت يا مولاي . اتريد ان تدفع عمراً على خيانة وتار ذمر

وتأمره على بلبقيس كما قلت ؟

- لا ، بل هي كلمة قتلها للكاهن لابتث الخوف الى قلبه واسكت عاطفة

الطمع والبغض في صدره .

— ولكن هذا الخوف سيزول عندما يعلم ان عمراً ابن ذي القرنين لم يبق له تاج وان للعرش صار ملكاً لك .  
فأطرق الامير ملياً وقد رأى ، مرة ثانية ، ان امير نخلة ابعد نظراً منه واكثر دهاء .

وماذا ينفعه هذا العهد الذي يحمله ، عندما يمسي ابن ذي القرنين طريداً في جبال اليمن لا يخافه الكاهن ولا يخشى جانبه يمني .  
ثم رفع رأسه ولبث ساكناً .

فقال عتيك : الم يقيم في ذهنك يا مولاي ان وتار ذمر سيفض يده بيد عمرو ويمضي الاثنان في أمرهما حتى يظفرا بالعرش او يموتان؟؟ الا نطن ان وتار ذمر سيستحق رضى مولاه وشكره على هذه المؤامرة التي تهدده بفضح سرها والتي خانته للقدر فلم يبلغ غايته منها؟؟ ان في حياة هذه المؤامرة حياة ولي العهد وفي موتها موته كما سترى بعد حين .

— اذن ترى ان نقتل الكاهن الاعظم وينتهي الامر ؟

— كما اني ارى ان تنهياً لقتل عمرو عندما يضع قدمه في البلاط .

ففاجأه ناشر بقوله : بل اسأل مولاي ان يحفظ حياته .

قال : العلك تريد ان تصير امينا لسره وهو ملك كما كنت امينا له وهو ولي عهد ؟ .

فأجابه عتيك قائلاً : بل يريد ان تحفظ هذه الحياة لتكون حياة عذاب وشقاء!  
قال : وأراك تذكر عاتكة كلما ذكرك عمرو؟

— نعم يا مولاي وان أنسى ذلك الحادث الغريب الذي جرى في خيمته وعيني تراه .

فثنى شرحيله الى الباب وهو يقول ليقم احد الحراس بباب الملك ولنذهب الى القصر لنرى ماذا حدث لبليقيس مع غلمان الملك .

فقال امير ظفار : خير لنا ان ننظر في امرنا الساعة من ان نصنع الزمان .  
ان عباداً وشريكه سبقوا ذا القرنين الى القبر .

— ولكن يجب ان ننظر في الامر الذي ذكرتمناه الان .. فاما ان تقتل وتار  
خمر او يقي .

فابقسم عتيك ابتسامه الاستخفاف وقال :

سنتله ولو امرتنا وامرنا بلقيس بان نعفو عنه .

فتتح الباب دون ان يجيب وكان يقول في نفسه :

اصاب الاميران واخطأت بلقيس قوت الرجل لا بد منه .

وتبعه الاثنان الى الرواق ، ثم دعا ناشر احد الحراس وقال له : ابقى عند  
باب الملك ولا تنقل من موقفك قدماً وامنع الجوارى والغلمان واهل البلاط كلهم  
من الدخول ... أسمع ؟

— واذا امرني الملك بان ادعو احداً منهم ؟

— الملك نائم فلا يستيق الا عند الصباح ...

واجتازوا الرواق والظلام ينشر ظله والصمت الرهيب يملأ البلاط وفي نفس كل  
واحد منهم رهبة الموت .

...

## ٥٤

كانت بلقيس ، عندما اقبل ابوها ومن معه الى القصر ، تنظم الاشعار ، مع  
نعمى ونائلة ، في رثاء عباد .

وقد همت بسان تبعث نائلا الى البلاط لينقل اليها اخباره ، في ذلك الليل .

فلما رأت اباهما والاميرين ايقنت بان ذا القرنين قد مات ، وبان ذلك المنهاج

الذي وضعته مع انصارها الكثار قد احمى ولم يبق منه شيء .

ولم تلبث حتى فاجأتهم قائلة : انقل اليكم خبر موت عباد ، وتنقلون الي خبر

موت الملك !..

فقال شرحبيل : من قال لك ذلك يا بلقيس ؟  
- دلني عليه قدوم هذين الاميرين في مثل هذه الساعة .  
فنظر اليها الثلاثة نظرات الاحترام والاعجاب .  
ثم قال عتيك : اجل لقد مات الملك وقد تركنا جثثه واتينا اليك لنسألك  
سؤالا .

- اسأل ..

قال : اتفكرين في الجلوس على العرش ام ماذا ؟  
قالت : العرش الان لشرحبيل بن عمرو .  
- وهل تريدان ويريد الملك شرحبيل بن عمرو ان يثبت عرشه ويهزأ بجميع  
من حوله من خصوم واعداء ؟  
- اجل .

- اذن فاعلما ان هنالك اميرين كبيرين يجب ان يموتا وقد ذكرتهما لك قبل  
هذه الساعة .

قالت : لقد رجعت يا عتيك الى ذكر وتار ذمر وعمرو !  
- نعم ، وسأذكرهما لك غداً وبعد شهر وبعد عام حتى أرى جثتيهما بعيني  
لاثنين .

وجعل يروي لها حكاية الكاهن في تلك الليلة .  
قالت : وماذا يقول امير ظفار ؟  
فاجابها ناشر قائلاً : ألسنت من انصار الملك شرحبيل بن عمرو ؟  
- بلى .

- أفلا استحق ان يهب لي حياة رجل يمني ؟  
- بلى .

- اذن أسأله ان يهب لي حياة عمرو بن ذي القرنين .  
فعمرت بلقيس اية عاطفة املت عليه سؤاله .  
فقالت : انت تطلب ان يعيش ، وامير نخلة يطلب ان يموت !!

- : ولكن امير نخلة يخاف شره وانا لا اعبأ به !

- : وبلقيس مثلك لا تعبأ به ... ان حياته في يدك فافعل ما تشاء ..

فقطب عتيك حاجبيه قائلاً : اذكري ابنتها الاميرة انه وارث عرش حمير وان  
هذا العرش امسى ملكاً لسواه .

- : واذكر انت ان الوارث الضعيف .. العاشق الذي يبيع اليمن كلها بنظرة  
واحدة تجود بها عليه بلقيس ...

قال : سينسيه العرش غرامه يا مولاتي .

- بل ينسيه هذا الغرام ، كل ما على الارض من عروش .. فكاد عتيك  
يضيع هدوءه .. ان هذا الاستخفاف معناه القضاء على الملك الذي وضع ابن  
يعفريده عليه .. وكيف يسلم هذا الملك وابن ذي القرنين الذي هو صاحبه ،  
ينظر اليه ، ويبدل الجهد كله ليسحق القوم الذين اغتصبوه ؟

فقال : لقد رأيتم جميعكم غير ما أراه فافسحوا لابن ذي القرنين مجال الحياة  
وليعدرنني نائب الملك اذا عصيت امره .

- ومن هو نائب الملك يا ابن روضة ؟

- هو ابوك فقد فوض اليه ذو القرنين امر الملك قبل ان يلفظ روحه .

قالت : ذلك هو الدهاء الذي لا نصدق منه كلمة .

- ولكن الملك فعل ذلك وهو يعلم ان الخنجرين سيمزقان جسد ابن عمه وان  
هذه النيابة لم توجد الا لتموت .. واعاد عليها حديث الملك ثم قال :

اما الزواج فلا يتم في هذا العام وهذه ارادة الملك .

فضحكت قائلة : ومتى يكون ذلك ؟

- في العام المقبل لان ذا القرنين لا يطبق ، وهو في قبره ، أن يرى الافراح  
بعد موته تسود البلاط ...

قالت : مسكين ذو القرنين ان له ولداً لا يحترم وصيته ولا يبالي بالاقوال  
التي ينقلها اليه رجال ابيه .

- لا يا مولاتي ، ان الولد الذي يخلف اياه ، لا يستطيع ان يجلس على

العرش قبل ان ينفذ ارادة الملك الراحل ، تلك هي شروط الملك في حبر منذ اجيال .

— اذن ترك لنا الملك عاماً كاملاً فتهياً في خلاله للامر .

— بل تركت لنا الاقدار شهراً واحداً نعد فيه العدة قبل ان يعود ولي العهد

— ولكنك لم تقل لي كيف تعصى امر نائب الملك .

قال : تهبثون انتم لابن ذي القرنين اسباب الحياة واهيئ انا له اسباب الموت

ثم نرى بعد ذلك لمن يكون الفوز .

فقال ناشر : اما انا فسأحميه وسأقول له في كل يوم انظر الى اين انتهى ملكك

ايها السفاح !

وقالت بلقيس : وأما انا فأوصيك من الان بان تفعل كل ما نأمرك به لئلا

تفسد علينا الامر ... وكان الناظر اليها في تلك الساعة يحسب انها ملكة حمير

تصدر لانصار عرشها أوامرها المقدسة ! فحنى عتيك رأسه دون ان يجيب .

وقد عرف انه لا يستطيع ان يخالف الملكة ، في الامر الذي تشاء .. ثم تتم

قائلا : وكأنه مأرب ؟

فأجابته ولهجتها لانتغير : وهذا يبقى حياً حتى نرى ان موته خير من حياته .

والتفتت الى ابيها قائلة :

أتريد ان تُلطخ العرش بالدماء يا مولاي ؟

فتردد قليلاً ثم قال : اريد ما تريد يا بلقيس .! وكان جوابه كما ترى ،

جواب رجل ضعيف الارادة ، لا يصلح للعروش .

فقالت : لقد انتهى الامر من هذه الناحية ، فلنبداً بالعمل من الناحية

الاخرى ، هات يا ابن روضة ... فقام في ذهن الرجل ، انه اذا دار حول القضية

دورة دهاء ، استطاع ان يجعل ترددها حزماً ، ولينها شدة فقال : لمن الملك ؟ لك

ام لايبك ؟

فرفعت صوتها وهي تقول : لي انا !

قال : سمعنا وأطعنا .. اذن يتولى نائب الملك اليوم امر اليمن حتى يعود



الجيش من ساحة القتال .

— وماذا يصنع قبل ان يعود هذا الجيش ؟

— يرسل رساله الليلة الى انصاره في الاقاليم ، وتصبح مأرب بعد شهرين ملجأ

اثلاثين الفاً من الرجال .

— وبعد ذلك ؟

— ثم يجيء عمرو مع جنوده ، فيرى حول البلاط سوراً من اليمنيين يمنعه من

الوصول اليه .

— ويعلم عندئذ ان الملك خرج من يده وتنشب الحرب .

— نعم ، وتعرفين عندئذ الخونة والمخلصين .

قالت : لا يطيب لعتيك الا ان تسفح الدماء في مأرب ويسقط السيف على

رأس ولي العهد ورأس وتار ذمر . . انه رأي لم ترد فيه غير الحرب ونحن لا

نريد ان نشهر حرباً .

وما هي القوة التي تخضع عمراً ؟

قالت : ندعو انصارنا ليقيموا بحرثة التي تبعد عن مأرب ثلاثة ايام وتبقى

مأرب كما هي اليوم .

— واذا رجع عمرو ؟

— يرجع فيرى العرش ويترجم فيه ، ويرى التاج فيعصب به رأسه ، ثم يأمر

جنوده بالانصراف الى المخاليف فيخلو لنا الجو . . ثم هامسته قائلة اسمع ماذا

يحدث بعد ذلك . . تمر ايام والملك الفتى يستقبل الوفود ويصافح المهثين وهو

يبتسم ابتسامة الزهو والغرور بهذا الملك الواسع الذي تركه ابوه . . ولكنه لا

يفتح عينيه ، في صباح يوم ، الا ليرى الرجال يحيطون بقصره كما قلت ، وقد

زحفوا من حرثة الى مأرب في ظلام الليل . . ثم يبصر حوله امراء اليمن وهم

ينحنون له قائلين : لقد اختارت اليمن ملكة من ولد حمير هي بلقيس بنت شرحبيل

فلم يبق لك الا ان تنصرف آمناً وتترك العرش الى الابد .

فصاح قائلاً : وتظن بلقيس ، التي تطمع بالملك ، ان الامر ينتهي عند

هذا الحد ؟

— نعم ، فان عمراً عندما يرى اعداء ابيه يهددونه بالسيوف وليس في بلاطه من الانصار غير وتار ذمر ، تنساقط دموعه على خديبه ، ثم يستسلم الى اولئك الامراء خاضعاً للقوة التي لا ترد ، ويخرج من قصره وهو لا يصدق انه حي ! .  
— كما ان عتيكاً لا يصدق كلمة واحدة من هذه الحكاية التي تقصينها عليه .  
— لماذا ؟

— لانها حلم ابتها الملكة وانا لا اؤمن بالاحلام !  
— ومع ذلك فقد اصبحت هذا الحلم عقيدة في النفس لا يتغير شيء منها ولا تززعها الحادثات .  
قال : انصح لك يا مولاتي بان تنظري في الامر نظرة اخرى قبل ان يخرج من يدك ويفوت الزمان .

— فعلنا ذلك قبل الان ، فلم نجد له وجهاً آخر .  
قال : استحلفك لآخر مرة بشرف يعفر ان تعمدي الى السيف خوفاً من ان تخسري كل شيء .

— وانا استحلفك بتربة ابيك روضة ان تكف عن هذا وتضع قدمك حيث يضع نائب الملك قدمه ، . ولم تشأ ان تسمع اكثر مما سمعت ، بل زدت غلامها نائلاً قائلة له : ادع اخي الهدهاد ثم قالت لابيها : اترى يا مولاي ان نبعث رسولا الى مذحج ؟

قال : عند الغوث وجبار وذي مغار من الجيوش اكثر مما في مهران فلنترك بني مذحج الان

ثم اقبل الهدهاد ، فقال له ابوه : تركب فرسك غداً ، عند النجر ، وبتبعك ، على بعد فرسخين عبدان من عبيد القصر بنقلان الزاد على ثلاثة بغال .  
قال : الى اين يا مولاي ؟

— الى مخلاف مغار فجبار بن دوير والغوث بن رادط يقيمان به . وهذا هو الخنجر الذي تسلمه الى ذي مغار قائلاً له : « هذا خنجر ابني فارحل الى حرثه

وامكث بها مع القوم حتى يرد منه امر آخر ولكن اعلم يا بني ان العرش الحميري في يدك الان فكن ذلك الرجل الذي يشق به قومك ولا تنس ان وراءنا عدواً لا يستهان به .

قال : اعرف ذلك يا مولاي .

- واحذر ان تتصدى لاحد في رحلتك هذه فالساعة التي تصيرنا وانك ذاهب

بضيق بعدها نفوذ ابيك وسلطانك .

- واذا عرض لي وحش او عدو يا ابي ؟

- اما الوحش فسيقتل بكفيه مؤونته ، واما العدو فليس لايبك خارج مارب

اهداء ويكفي ان تذكر لي اسم ابيك ليتخلى عنك .. واوصيك بالخنجر يا بني ، ان صاحب مغار لا يصدق ما تقوله له الا اذا كان الخنجر في يدك .

قال عتيك : ليذهب مع الهدايا بعض الرجال .

- لا فالرجال الكفار يلفتون نظر القوم ، ونهض قائلاً : لنرجع الان الى

البلاط قبل ان يعرف اهله ان الملك قد مات . فلم يبق لعتيك الا ان يخضع مكرهاً

لبليقيس كما خضع لها شرحبيل وناشر ولكنه كان واثقاً بانها ستخسر العرش ..

وعندما هم بالانصراف قال لها : اذكري دائماً يا مولاتي اني نصحت لك بالعدول

عن هذا الرأي ، فلم تجب ، بل ابتسمت لمظاهر اخلاصه ، وكانت تهزأ في سرها

بذلك الخوف الذي لا معنى له .. !

...

عندما كان شرحبيل والاميران يتحدثون ، في تلك الليلة ، عند جثة ذي القرنين بعد خروج وتار ذمر ، كان رجل ، في القاعة المجاورة ، التي هي قاعة سلاح الملك بنصت الى ما يقولون ، ويصغي الى ما يدور بينهم من احاديث واسرار ... وقد سمع كلما ذكروه عن ولي العهد وكاهن مأرب ... فلما تركوا البلاط الى قصر شرحبيل ، خرج من تلك القاعة كما يخرج اللص الخائف ، ومشى وراءهم متحجباً ، بالاشجار والجلدر ، كي لا تقع عليه العيون ، حتى دخلوا ذلك القصر ، فوقف عند باب الفناء ينتظر خروجهم منه .

ثم خرجوا بعد ساعة كما رأيت ، وهم يذكرون ، حرثة ، والهدهاد ، وذامغار وخنجر شرحبيل ، وقد قام في اذهانهم ، ان عاصمة اليمن قد نامت ، ولبس هنالك من يحصي عليهم الانفاس ...

ثم ارتفعت اصواتهم وهم يقولون : اذا كان الغوث بن راهط وجبار بن دوير في مغار ، استطاع القوم ان يبلغوا حرثة ، قبل ان ينقضي الشهر . وكان عتيك يقول : ولكنهم لا يفعلون شيئاً ولو بلغوها بعد عشرة ايام ... ان التاج لا يثبت على رأس بلقيس ما دام عمرو وتار ذمر في الوجود . والرجل يسمع كل شيء وركبته ترتجفان .. وهو يخشى ان يقع على الارض ويسمع القوم صوت سقوطه !

اتعرف من كان هذا الرجل ؟ انه وتار ذمر نفسه الذي حكم عليه عتيك بالموت !!

وقد استطاع في الساعتين اللتين انصت فيهما الى همس اعدائه ، ان يعرف كل ما هنالك من اسرار ، ويلبس بيديه مكر شرحبيل ودهاءه ، في وعده ولي العهد بالزواج وخضوعه الكاذب لذي القرنين ، وهو على فراش الموت !

ولو قدر احدهم في تلك الساعة ، على ان يبصر ذلك الكاهن العظيم الذي تخافه اليمن كلها ، لا يبصر رجلاً صعلوكاً يبدو الفقر على ثوبه ، وتنطق اطماره البالية بما في داخله من مرارة وألم ، وقنوط ويأس .

كان يلبس لباس اهل اليمن القدماء ، وقد وضع على كتفيه عباءة سوداء يحسبها الناظر من عهد قحطان . وكان يعلم ان الموت يكمن له عند كل خطوة يسمع لها صوت ، ومع ذلك فلم يبال ، بل كان جريئاً يفتحم الاخطار ليبلغ الغاية .. حتى انتهى القوم الى البلاط فتغللوا فيه ، اما هو فانصرف الى قصره ، لانه رأى انه لم يبق له اليوم امل بذلك البلاط ، واحيا الليل كله وهو يفكر في امره ، حتى ارتاحت نفسه اخيراً الى رأي آنس فيه الفوز والظفر باولئك الاعداء .. فاغضض عينيه مستلذاً ذلك الرأي ، ولكنه لم يفعل حتى اقبل عبيد ذي القرنين يدعونه الى البلاط .

فقال في نفسه : يريد اللعين ان اشهد له امام اهل مأرب بنبابة الملك .. نعم يا شرحبيل انك اليوم ملك اليمن رضي وتار ذمر او لم يرض !! ولكن هذا الملك قصير العمر وسترى وترى بلقيس ان ايديكما لا تصل الى تاج حمير وانا حي .. وضحك في سره ، لبلاهة شرحبيل وابتنه في العفو عنه ! ثم قام فخرج واوصى غلمانة بالا يفتحوا لاحد ابواب القصر . ومر بذهنه ، في تلك اللحظة ذلك المسكين عباد ، ولكن كما يمر السحاب .. ولولا الحاجة اليه ، لما خطر له ان يفكر فيه .

\* \* \*

٥٦

استيقظ جميع من في البلاط لصوت ناشر :  
انهضوا ايها الناس فملك حمير العظيم قد مات ...  
واي انسان في البلاط يسمع هذا النداء ولا يخرج مذعوراً ؟ ان موت الملك  
الفجائي يهز اليمن كلها من الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب ، فغص

روى الملك باجواري والغلمان وعرف كل من في البلاط ان شرحبيل يفوم مع م  
 ذي القرنين في ادارة الملك .. ثم اقبلوا جميعهم ينظرون الى ملكهم الظالم الذي  
 صرعه الردى ، وليس في القلوب عاطفة حزن ووفاء ، بل كانت مظاهر الدهشة  
 على وجوههم المختلفة الالوان ، وليس غريباً ان يضطرب القوم لموت الملك ،  
 فقد عرف بعضهم انه مريض وان الداء ينهش جسمه الجبار ، ولكن لم يقم في  
 اذهانهم ان هذا الداء سيقوده الى القبر .. فلما هدأ روعهم ، امرهم ناشر بان  
 يعدوا السلاح والآنية التي يدفنونها مع الجثة ، تبعاً لمادة الحميريين في دفن الملوك  
 والامراء ، فدخل الغلمان قاعة السلاح ، واختاروا من السيوف الكثيرة سيفين  
 قبضتاها من الذهب كانا احب سيوفه اليه ، ورشحاً لم يكن يفارقه في الميادين ،  
 وطائفة من آنية الذهب ، كانت الحمر تتلألأ فيها في مجالس الشراب ، ثم وضعت  
 الجثة في قاعة تجاور قاعة العرش ، وخرج الناعي ينعى الملك العظيم لاهل مأرب  
 ولامراء الاقاليم ، فاندفعت مأرب الى البلاط تحمل البخور والعود وصنوف  
 الطيب اليمني لتحرقه عند نعشه ، وتهتف لولده الذي سيلبس التاج بعده ..  
 وعلى رأس الجموع وتار ذمر ، سيد الكهان تبدو على وجهه دلائل الكآبة ، ولكنها  
 لا تحجب دلائل الخبث والدهاء .

فلما اصبحوا في تلك القاعة ، دنا الكاهن من نعش مولاه وجعل يصلي ويخاطب  
 آلهته ، ولو سمع الناس صلاته ، لعرفوا انها كانت لعنة يستنزها على شرحبيل  
 بن عمرو ومن حوله من انصار .. ثم أجال اللعين نظره بين القوم فأبصر شرحبيل  
 بن عتيك وناشراً ، والى جانبهم بعض الشيوخ من اصحاب المناصب في البلاط  
 فانحنى كما كان ينحني امام الملك ورفع صوته قائلاً :

يا اهل اليمن ، اشهد امامكم ان مولاي ذا القرنين ، جعل ابن عمه نائباً  
 للملك ربناً يعود الملك عمرو ...

فهتف القوم قائلين : يعيش ملك حمير .

ثم قال : وقد امرني الملك بان اطيعه واخضع له فاسمعوا له واطيعوه واعلموا  
 انه ملككم اليوم !

فقان عتيك : يعيش شرحبيل ابن عم الملك ..  
فردد الناس هتافه وفي اصواتهم نغات الابتهاج ..  
ثم مشى بخطى هادئة حتى داني شرحبيل فقال :  
ألا ترى يا مولاي ان تبعث رسولا الى مهرا يحمل الى الملك عمرو نعي ابيه ؟  
قالها الداهية ليعرف ما في نفسه ...

فأجابه قائلا : ان النعي يا سيدي الكاهن لا يرسل الى الميادين ..  
— ومتى تأذن في دفن الجثة ؟

قال : ضعوا الطيب في اوعيته واحرقوا البخور ..  
— وهل تريد ان يطوف الناس في مأرب كما يفعلون كل ما مات ملك ؟  
فاستغرب شرحبيل هذا السؤال وقال له :

وما الذي يمنعنا ان نعمل هذا ؟ اتظن ان وكيل العرش الذي هو سليل حمير  
يرضى بان يدفن ملك عربي كما يدفن ذو القرنين . وهل قام ابن يعفر ليغير عادات  
اليمنيين في دفن ملوكهم ؟؟ انها كلمة لا نعرف اي خاطر خطر لك عندما لفظتها  
شفناك ...

قال : عفوك يا مولاي فقد ظننت .

فقاطعه قائلا : ماذا ؟

— لا يا مولاي لم اظن شيئا ولكنه سؤال تعجلت فيه وانا لا اعلم ما وراءه ..  
فقال عتيك : اي انه لا يعلم يا مولاي ما هي الغاية من سؤاله .

فحول شرحبيل نظره عنه وقال : الطيب يا قوم ..

فلأت رائحة الطيب اليميني تلك القاعة الواسعة .. ثم قال : والبخور ...  
فتساعد الدخان في الفضاء والناس ساكتون .. وعندما عبقت القاعة بالبخور  
والطيب ، دنا شرحبيل من النعش ووراءه وتار ذمر والامراء وجثا عند قدمي  
الجثة وتمتم يقول : اعاهدك يا مولاي الملك على الوفاء للعرش الذي تركت ...  
ولم يقل « ولولدك الذي اصبح ملكا » ..

وفعل الآخرون مثله ، وتلك كانت عادة الامراء اصحاب الشأن والنفوذ في

اليمن ، فعرف وتار ذمر عندئذ ، ان « ولي العهد » قضى عليه ، لان شرحيل ومن معه لم يذكروه في ذلك العهد الذي رددوه .

ثم حمل شرحيل سيفي الملك ، وحمل فاشر رمحه ، وعتيك آنية الذهب ، وداروا بهذه الاشياء حول ماكنهم ثلاث دورات ، وكانوا يقسمون في كل دورة انهم سيكونون اوفياء لصاحب التاج الحميري ! ثم عادوا الى مواقفهم ، وبقي الكاهن بالقرب من الجثة يتمم صلاته ، والناس يرددون تلك الصلاة بخشوع وايمان حتى مرت الساعات وهم يصلون .

فخرجوا عندئذ من البلاط والنعش على اكف الامراء وطافوا في جميع احياء مأرب ، طوافاً صامتاً لم يرتفع فيه صوت وانتهى طوفهم عند الظهر ، الى تلك القبور العظيمة التي يرقد فيها التبابعة العظماء ..

وحجبت جدر القبر ذا القرنين عن عيون شعبه ، وسدل الستار .

ثم عاد شرحيل الى البلاط يصافح وفود المعزين حتى غربت الشمس ولم يبق في قصر تبع غير سكانه .

ونام شرحيل في تلك الليلة ، وهو يحلم بالتاج تلمع جواهره على رأس بلقيس ..

\* \* \*

٥٧

لم يتردد وتار ذمر في امره ، ولم يضيع ساعة واحدة ، بعد رجوعه الى القصر دعا غلماناه وقال لهم : سأترك القصر الساعة وقد لا اعود الا بعد شهرين ، فإذا خطر لاحدهم ان يسألکم عني فقولوا : ذهب الى الحجاز ... ولم يزد على ما قاله كلمة ، بل خرج من الباب وثباً واخفاء الظلام عن العيون . ولسور مأرب بابان ، من الشمال والجنوب ، فاتجه الى الباب الشمالي وتجاوزته الى الخلاء ، والحراس



يعجبون لخروجه وحيداً في ذلك الليل ، على انه لم يكن وحده ، بل كان هنالك وراء السور ، رجلان لهما قامتان طويلتان وصدران عريضان ، وبالقرب منهما بغلة سوداء ترعى العشب .

ويعلم الناظر الى ذينك الرجلين ، انهما من اولئك الرجال الاشقياء الذين يطيب لهم القتل ويستلذون الدماء ... فلما ابصرا وتار ذمر ، عمدا الى البغلة فأعداها للركوب ، فعلا الكاهن ظهرها وهو يقول : تقدماني الى الطريق الاخر الذي يؤدي الى مغار !

فقال احدهما : لقد وصفت لك هذا الطريق يا مولاي .

قال : لا بأس فالذي يمشي بقدم ثابتة وعزيمة جبارة الى غاية لا يبالي بالشدائد والاعطار . ثم قال : ألم تذكر لي انه اقرب من الطريق الاخر ؟  
- نعم يا مولانا

- اذن فامشيا واعلما اننا نريد ان نسبق رجلاً خرج من مأرب في هذا الصباح والويل لكما اذا كان هو السابق .

فسبق الاثنان البغلة ، وهزها الكاهن الاظم فاندفعت وراءهما في ذاك الطريق الوعر الذي تكثر فيه اصناف الحيوان .. وانقضى الليل كله وهم يمشون ، وتوار ذمر لا يأذن في الراحة ولا يعبأ بتعبه وتعب رفيقه .

ثم طلعت الشمس وهم يتحدرون من جبل عال الى واد بعيد الغور يلتقي في ساحته طريقان .

فقال الشقيان : سترى صاحبك يا مولانا في هذا الوادي .

قال : لتلبس اذن هذه الثياب التي تحملان ، ولنضع العمام على الرؤوس والوجوه .. وقفز الى الارض فلبس ثوب فلاح يماني ولبس الاثنان مثله ، ثم خاطبهما قائلاً : ان الفتى الذي تتبعه لا يخرج من مأرب الا مع بعض عبيده ، فيجب ان يقتل هؤلاء العبيد وتحفظ حياة الفتى كما اوصيتكما في الليل الماضي .

- ولكن مهمتنا لا تنتهي الا بعد شهر !

- اجل ، تقيدانه .. ثم تحملانه الى احدى مغاور هذا الوادي وتمكثون فيها

انتم الثلاثة حتى يمر شهر كامل .

— وبعد ذلك ؟

— تعيدان اليه السلاح الذي سلبناه اياه ثم ينصرف آمنة الى حيث يشاء ...  
وانا الان اعيد ما قلته امس ، اذا خطر لكما ان تفككا الاسير قبل المرعد الذي  
ذكرت فقد خنتا الملك وانتما تعرفان قسوته التي لا تذكر معها قسوة ابيه  
ذي القرنين .

ثم قال : وعندما يعود الملك من مهرا ، ترجعان الى مأرب فاعطيكما ضيعتين  
كما وعدت ، وهب لكما الملك قبضتين من الذهب تعيشان به كما يعيش الامراء  
فقالا : ليمت كل من يخون الملك ، ولكن لماذا لا تأمرنا بقتل هذا الرجل ؟  
فاكتفى بان يقول : لاني اريد ذلك .

ثم كف فجأة عن الكلام ، فقد ابصر في اسفل الوادي فتى يقود فرسه ،  
فقال لهما : اي ورب اليمن هذا هو . وانحدر معهما ماشياً حتى توسطوا الوادي  
فأروا ذلك الفتى جالساً على صخر وكان ينتظر عبده .. فهامسهما وتصار ذمر  
قائلا : انعرفان هذا الوجه ؟

— ومن لا يعرف الهدهادين شرحبيل .

قال : ابدأ بما امرتكما به واسألاه اذا كان معه أحد العبيد ، وتنحى اللعين مع  
بغلته وجلس بعيداً وهو مطمئن ، فتقدم الاثنان قائلين : ابن الامير شرحبيل ؟  
فأجابها الفتى وهو يبتسم : اجل فن انما ؟

— فلاجان من فلاحي مأرب كما ترى ، وانحنيا قبالا ركبتيه .  
فقال : الى اين ؟

— الى مغار .. وانت يا مولانا ؟

— الى واد يبعد بضعة فراسخ عن هذا الوادي يكثر فيه الصيد .

— وكيف يذهب الامير الهدهاد الى الصيد وحده ؟

— تقدمت عبيد من عبيدي الى هذا الموضع وسيصلان عند المساء .

فجلس الشقيان عند قدميه وهما يظهران الخضوع والاحترام .

اما هو فابتسم ابتسامة اخرى وقال :  
من هو ذلك الفلاح الآخر الذي يداعب بغلته ؟  
- رجل غريب عن مأرب رأيناه في قفة الجبل .  
- واي غرض لكما بمغار ؟  
- نطلب اسباب العيش في كل بلد ننزل فيه .  
- وما هذه العمائم التي جعلتموها انتم الثلاثة على الوجوه ؟  
- نتقي بها حر الشمس ..  
ونهض احدهما فوضع يده على كتفه !  
فقال : وبلك ..  
ولكنه لم يتم كلمته حتى وضع الآخر يده على كتفه الاخرى وقال له : لاتعمد  
الى الشدة والعنف ايها الامير فتحزن لا يزيد قتلك !!  
فحاول الفتى ان يجرّد سيفه ، فنعته الايدي القوية من تجريده ، وقيد الحبل  
في لحظة ، ذراعيه اللتين كانتا ترتجفان .  
فصاح قائلاً : انا ابن الملك ايها الشتيان !  
فقال احدهما هازئاً : ابوك نائب الملك في مأرب ونحن ننوب عنه في هذا  
الوادي فاش او نحملك .  
غير ان الفتى الشجاع لا يتسلم الا اذا اكرهته القوة ، فجعل يضربهما بقدميه  
حتى تلاشت قواه وسقط على الارض .  
فحملاه الى موضع بعيد في هذا المضيق ثم عاد احدهما الى وتار ذمر يصغي  
الى اوامره ، فقال له :  
سأتولى أنا امر حراسته .  
- ونحن ؟  
- تقيان هنا حتى يجيء العبدان ..  
ونهض فذهب الى الحراسة ومكث رفيقاه بأول المضيق حتى رأيا العبدين  
مقبلين وهما يقودان ثلاثة بغال .

فكمننا لهما ، وعندما وصلا جعلنا يطعنانهما بخنجرهما حتى ماتا ، ثم حفرا للجثتين حفرة تحت الطريق وقذفا بهما اليها وغطيا دماءهما بالرمال ! وقادا البغال الى المضيق فاخذوا الزاد الذي تحمله واعدوا لهما مغارة في الصخر يمكنان بها مع الاسير ... جرى كل ذلك ووتار ذمر لا يقول كلمة ، غير ان عينيه - من وراء العمامة - كانتا ترسلان الى الهدهاد نظرات الحقد ..

فلما هب الاثنان كل شيء ، اوما اليهما بحمل الفتى الى المغارة ، ثم هامسهما قائلا : اذا اردتما ان تعيشا فاحفظا ما قلت .

ولم يشأ ان يتأدى في النصيح ، بل ركب بغلته وخرج من ذلك الوادي الذي جعله مقاماً للهدهاد وهو يقول في نفسه : لقد اردت يا شرحبيل ان تغفو عني فغفوت عن ولدك ... ولكن قتله تحير لك من هذا الغفو .

وجعل يخاطب بغلته قائلا : اما ان تبليني مهرا بعد عشرة ايام او تموتي ، ولم تمر ساعة حتى مد الظلام رواقه الخفيف .

\* \* \*

## ٥٨

كان الملك عمرو ، او ولي العهد ، قد سفي من جرحه ، والجيش بهم ، بعد شفائه بالرجوع الى مأرب .. ولم يكن عمرو يصدق ، متى يشفى هذا الجرح ، ليعود الى البلد الذي تقيم به حبيبة قلبه ، وفاتنة لبه .. وقد قال لذي تبع : ليتهم القوم فسترك مهرا بعد ثلاثة ايام تحقق فوقنا رايات الظفر والفخار .

قالها في اليوم الذي خرج فيه من خيمته ، الى الخلاء ، بعد ذلك الشفاء ، ولم يسأل احداً عن ابيه ، بل لم يخطر له ، كما علمت ان يفكر في ذلك المسكين الذي انشب الداء مخالبه في عنقه ، قضى نهاره خارج المعسكر ، وهو يحس انه أصبح قادراً على الركوب ، وذو تبع معه لا يفارقه .

فلما كان المساء لجأ الى خيمته ، واستلقى على فراشه يبتسم لامله ، وللغرام الذي يتغلل في صدره ، حتى جن الليل ، فقليل له ان بالباب رسولا من مأرب يحمل اليك اخبارها ولا يريد ان يذكر اسمه او يظهر وجهه . فحقق فؤاده لذكر مأرب ، مأرب ، مأرب ، مهد عزه ، ومهد حبه ، مأرب الجيلة التي ستدعوه ، في يوم لا يعرفه الى الجلوس في عرشها الذهبي الذي ملأ بلاد العرب ، بل الشرق كله ، عظمة ، وجلالا ، وهيبة ، ثم قال لحراسه : ادخلوه ولا تسألوه عن اسمه .  
فثل بين يديه رجل بشباب فلاح ، تضطرب يسداه من التعب ، وترتجف ركبته ..

وفي الخيمة معدى كرب ، وذو تبع ، وعبد شمس ، وغيرهم من القواد ، فلما جاءه بقوله : رسول من مأرب كما يقولون ؟ فاجابه الرجل بصوت هادىء نعم يا مولاي .

— ومن ارسلك ؟

— اني رسول نفسي ايها الامير !

— ونحن نرى انك تخاف ان تظهر للامير وجهك ...

— اجل يا مولاي فقد يكون هذا الوجه مظهر شؤم .

فخيل الى القوم انهم يعرفون هذا الصوت .

فقال الامير : احجب وجهك واذكر ما قدمت لاجله .

— لا افعل يا مولاي حتى يخرج هؤلاء الامراء ! فاوما الى القوم بالانصراف

دون ان يتردد ، ولكن امر ذا تبع بالبقاء ثم قال : هذا امين سرنا ونحن لانكتمه امراً فهات ما عندك الان .

قال : ان السر الذي احمله اليك لا يذكر الا للامير وحده .

— ولكن صاحب همدان لا يخرج من هنا وستأمر حراسنا بان ينتزعوا سر

على الرغم منك .

فتردد الرجل قليلا كأنه يستعرض ماضي الهمداني ومواقف اخلاصه في

البلاط ، ثم عمد الى عمامته ، فانتزعها وجثا على ركبتيه قائلا :

مولاي الملك ! فاستوى الأمير جالساً في فراشه وقال : وتار ذمر ١٩ ؟  
— نعم وتار ذمر نفسه يا مولاي .

فترجع ذو تبع الى الوراء وقد استولت عليه الدهشة والاستغراب ، ولكنه لم يلبث حتى عاد الى رصده خوفاً من ان تم عليه المظاهر ، فيفضح نفسه ، ويضيع الماضي بكل ما فيه .

وكان عمرو يحدق الى الخاهر وقلبه يكاد يخرج من صدره لشدة خفقانه ، ثم استطاع ان يقول :

ماذا حدث في اليمن حتى يترك كاهنها الاعظم قصره ويحيى الى مهرا بثوب فلاح ١٩ ؟ ويظهر انه لم ينتبه لتلك الكلمة التي خاطبه بها وتار ذمر عندما جثا على ركبتيه .

فقال الكاهن : جئت انقل الى مولاي الملك خبر موت الملك ... فلمعت بينا ذلك المغرور وشعر عندئذ بأنه آله اليمن مالك رقاب اليمنيين وموالمهم وان الكلمة التي تلفظها شفتاه تكون قضاء ، فقال : ومتى كان ذلك ؟

— منذ بضعة عشر يوماً يا مولاي ، فأنهضه وجلسه عن يمينه وهو يقول : حدثنا بما جرى واذكر لنا قبل كل شيء سبب قدومك انت !  
— أقول كل ما اعلم يا مولاي وانا آمن ؟  
— أجل .

وكانت الالبسة البادية على ثغر الملك الفتى ، تقوم مقام الدموع التي يذرفها الولد البار عندما يحمل "يه نعي ابيه" .

فقال : قدمت لاقول لمولاي الملك ان في مأرب رجالا يريدون ان يسلبوه ملكه ويستأثروا به !! فاحمرت عيناه ، ومد يديه الى الامام قائلاً :  
ويل لك ، خبر لك ان نقول خربت اليمن !

— نعم يا مولاي ، ستخرب اليمن ان لم تكن ذلك الملك القوي الذي يصون ملكه بسيفه ويبعث بأعدائه الى القبور .

— ومن هم هؤلاء الاعداء ؟

— امير ظفار ، وامير نحلة ، على رأسهما شرحبيل ابن عمك الذي هو اليوم نائب الملك !

فاستند امير همدان الى سيفه كي لا يقع على الارض ، ثم رأى ان يقعد عند الفراش ويتظاهر بالاصغاء وهو غاضب ، اما عمرو فقد خشي ان يتمزق جرحه ويقذف بالدماء فيضطر الى البقاء في مهرا ويضيع تاجه ، فلجأ الى الهدوء وقال :

احذر ان نخدعنا بكلمة واحدة ايها الكاهن ، فوزبة حير لئن كان كل ما تقول كذباً لنجعلن جثتك مئة قطعة على سور مأرب ولنهدمن هياكل اليمن كلها فنمحو كل اثر لك ولكل من ينتمي اليك !  
قال : أقسم بتربة ذي القرنين ، ورأس ولده الملك اني لا اقص عليك غير ما سمعت ورأيت ..

قال : أبدأ بناشر فتحن نريد ان نعلم كيف تخطر الخيانة لهذا الرجل الذي احطناه بعطفنا وملأنا قصره في ظفار مالا ونعماً .

— لا اعلم من امره يا مولاي غير مظهر واحد هو انه يجاري شرحبيل وعتيكاً في هواهما ويحيي الليالي معهما بالهمس والاسرار .  
— وماذا يريد شرحبيل وعتيك ؟

— آه يا مولاي انهما يريدان ان ينزعا التاج عن رأسك ليضعاه على رأس بلقيس فاهتز الملك فوق فراشه وجعل يقول : اخطأت ايها الكاهن فلبلقيس تاج يشبه تاج زوجها الذي هو الملك !  
— لو كان الامر كما تقول لما تأمر الثلاثة على حياتك وحياة كاهن اليمن المائل الان بين يديك .

قال اتصدق كلمة مما تسمع يا ذا نبيع ؟  
— وكيف استطيع ان اصلق يا مولاي والرواية رواية عرش وتاج بظلتها بلقيس التي ستكون زوجة لك ؟  
قال : لننظر في الامر من وجه آخر ، قل يا وتار ذمر ، من جعل شرحبيل

نائباً للملك ؟

- ابوك يا مولاي .

- وكيف فعل ذلك وهو لا يحبه ولا يطيق ان يراه ؟ فكره ان يقص عليه خبر المؤامرة التي دبرها ذو القرنين وكان شريكاً له فيها ، ان الآفة تنقلب اذا دب الشك في صدر عمرو ، وما الذي يريده وتار ذمر ؟ كان يريد ان يكتم مولاه هذه الاسرار ، ليوغر صدره على شرحبيل ومن معه ، فدخل حاصمة ملكه نائراً غاضباً ويبدأ بالتقتيل والتدمير دون ان يسأل احداً او يسمع لاحد ...

وتدور الدائرة ، في ذلك ، على شرحبيل وبلقيس وعتيك وناشر ويخلو له الجو ، اي ان عمراً يلبس التاج ، ويكون هو سيد اليمن لا يرد له امر . فقال : من يعلم اي خاطر خطر للملك في تلك الليلة .  
- وكنت حاضراً ؟

- نعم يا مولاي وقد طلب الي ابوك في تلك الساعة ان اخضع لابن عمه كما اخضع له واطيعه كما اطيعه .

- ألم يقل ابي شيئاً غير هذا ؟

- بلى ، لقد امرنا بان نقول لك ان تجعل زواجك بعد عام لثلاثهزأ العرب بملك حير ، وكان قوله هذا وصية ، فلم يضطرب العاشق ، لكل ما قاله وتار ذمر مثل اضطرابه لهذه الكلمة التي كانت جرحاً فوق جرح .

ان لطمع بلقيس وشرحبيل بالعرش ، اذا صح هذا الطمع دواء ، هو السيف ، ثم يتزوج بلقيس بعد ذلك ، بقوة السيف نفسه ، ولكن وصية ابيه ليس لها دواء ، ولا يجوز ان يكون ملكاً وهويدوسها بقدميه ، ولم يهدأ اضطرابه الا عندما قال ذو تبع : يجب ان يشهد بهذا اثنان من الامراء يا مولاي .

قال : أيشهد شرحبيل ايها الكاهن ؟

فاطرق ملياً ثم قال : لا اعلم .

- وماذا حدث بعد ذلك ؟



— مات الملك ، فخرجت من حجرته الى قاعة السلاح ، وكنت وانا في تلك القاعة اسمع عتيكاً يقول : يقتل ولي العهد ووتار ذمر فيسلم العرش !

— وشرجيل ؟

— اما شرجيل فلم يكن يريد ، على ما ظهر لي ، ان تبدأ بلفيس عهد ملكها ، بالقتل وسفك الدماء !

— وهل اراد امير ظفار ما اراده امير نخلة ؟

— خيل الي انه اراد ذلك .. فتغلل الشك الذي يخافه الكاهن في نفس ملكه ، فقال : اذن فشرجيل ابن عمنا قد عفا عنا كما تقول : فهدت الحيرة على وجهه ، ثم قال : نعم ..

— وانت لست واثقاً بان ناشراً اراد لنا الموت ؟

— بلى ... اراده ... يا مولاي .

قال : لقد خيل اليك ذلك ونحن لا نثق الا بما نثق به ... ومن بقي في الساحة ؟ بقي عتيك امير نخلة وهذا لا نعبأ به ولا نخافه اذ لا يستطيع وحده ان يسلبنا هذه الحياة . وكانت لهجته لهجة استهزاء ، فتمشت قشعريرة الخوف في عروق وتار ذمر وصاح قائلاً :

ولكن بقي امر آخر يا مولاي هو انهم اذا كانوا قد عدلوا عن قتلك فقد ارادوا ، مع هذا العدول ، ان يحولوا بينك وبين التاج الذي خلق لك ! — وكيف يستطيعون ذلك ؟

— اسمع يا مولاي ، ان ذلك الحديث الذي بدأوا به في تلك الساعة لم ينته هند جثة ابيك بل انتهى في قصر شرجيل بالاشتراك مع بلقيس ، وفي ذلك المصير وضعوا خطتهم وأرسلوا الى مغار يدعون انصارهم الى مأرب ليمنعوك من الدخول الى البلاط .

— وكنت تسمع ايضاً ما قيل في ذلك القصر ؟

— بل سمعت ما كانوا يقولونه وهم خارجون منه ، وعرفت ان الهدهاد ابن شرجيل كان رسولهم الى مغار وهو يحمل الى الانصار خنجر ابيه الذي هو

رسالة السر .

فد عمرو عنقه وهو يصغي الى تلك الحكاية الجديدة ، واستطرد الكاهن قائلاً ، وهل تعلم يا مولاي ماذا صنعت ؟؟ شهدت في اليوم الثاني مأمم ذي القرنين ثم خرجت من مأرب ، عندما بسط الليل جناحيه ، وبت اركض بغلتي ومعني رجلان حتى لحقت بالهدهاد الى وادي عجف .

قال : وقتلت الهدهاد ؟

— لا يا مولاي ، بل قتلت عبديه ، وجعلته ضعيفاً على عجف يحف به الاجلال والاحترام حتى يمر الشهر وترجع انت الى مأرب فتجلس في عرشك .

— ومن يضمن بقاءه في الوادي الذي ذكرت .

— الرجلان اللذان اخترتهما لهذه الغاية .

— وهل تعرف من هم انصار شرحبيل ؟

— كنت اسمع اباك يقول : ان الغوث ابن راهط ، وجبار ابن دوير ، وذا مغار انصار له ، فوضع رأسه بين يديه وغاص في لجة التفكير .

انه نبأ خطير يحمله اليه الكاهن الاعظم من بلاد قومه ، يموت ابوه او يغتصبون عرشه ولا يبالون به ؟! وهل بعده شرحبيل بابنته امس ، ليخونه اليوم . ويسلبه الملك الذي اعدته له الآلهة من قديم الزمان ؟ ومن يصدق ، ان بلقيس الفتانة الحسنة تجسر على حمل التاج ورجال اليمن الاشداء لا يجسرون على حمله .

وطال سكوته وتفكيره . . . غير ان وتار ذمرا راد ان يستغل الموقف ، فاخرجه عن سكوته قائلاً :

لا تردد في امرك يا مولاي فانا اخشى ان يغفل الرجلان عن حراسة الهدهاد فيصل الى مغار قبل ان تخرج انت من مهرا فيسبلك الاعداء الى مأرب ، فرفع رأسه وهو يقول : صدقت فهرا ابعده من ذلك الاقليم ويجب ان نرحل غداً عند الصباح ... أخرج الآن وسنأمر الحراس بان يعدوا لك خيمة تأوي اليها الليلة .

قال : أرجو من مولاي الملك ان يأذن لي في ارجاع العمامة الى وجهي .

— لماذا ؟

— لان لي غرضاً بذلك يا مولاي .

— افعل ، ونهياً للرحيل قبل طلوع الشمس .

— ولكن لم اعلم يا مولاي على اي شيء عولت .

— وعلى اي شيء يعول الملك الذي يريد اعداؤه ان يستأثروا بعرشه ؟؟ عولنا

هل القتل والهدم والتخريب حتى نجعل اعداءنا موثقاً لخوافر الخيل .

فبدت على وجهه دلائل الفرح الوحشي وخرج من الخيمة وقد اخفى وجهه ،

وقد تقدمه الحراس ليعدوا له فراساً .

فقال الملك لامين سره : قل لحاجبتنا ان يدعوا للقواد ، ففعل ذو تبع ما امره

به ، ولم تمر ساعة حتى كان القواد جميعهم بين يديه وهم ينظرون الى وجهه

المتجهم المكفهر .

وقلب ذي تبع لا يهدأ في داخله ، وقد خطر له ان يفسد على الكاهن الاعظم

امره ، ولو كان وراء ذلك ، الموت .

...

٥٩

دعوناكم ايها القواد لنقص عليكم ما قصه علينا الرسول الذي رأيتم ، ان

الملك ذا القرنين قد مات !

وكان يخاطبهم وهو ملك .. فعقدت الدهشة الستهم ، ثم انطلقت هذه

الالسة بعد قليل فخروا ساجدين وهم يهتفون : ليعش الملك .

غير انه لم يبال بذلك السجود ، بل كان يقول : انكم تهتفون للملك بتأمر

عليه بعض امراء اليمن ويحاولون ان يغلقوا في وجهه ابواب مأرب الى الابد .

فقال عبد شمس : لا يجرؤ علي هذا غير شرحبيل بن عمرو .

— اصبت فشرخيل ابن عمناء يحمل راية العصيان .  
— ولكنه لا يستطيع ان يخطو خطوة الى الامام ونحن احياء ، وفي ايدينا  
السيوف التي لا ترتوي من الدماء .

لقد كان ابوك الملك يقول ان ابن عمه يطمع بملك حمير ونحن لا نصدق  
قوله ، وكان شرخيل يظهر الطاعة وابوك يهزأ بطاعته ويعلم انها طاعة كاذبة .  
فاجابه ذو تبع قائلاً : لو كان يطمع بالعرش لنفسه لكان الامر وقلنا ان  
الرجال في كل زمان يحلون بالعروش ، ولكنه يريد لابنته كأن وارث الملك لا  
وجود له ، وكأن ابنته خير من جميع اليمينين !

قال : أيجعلون العرش الحميري لفتاة ؟

— هكذا يقول رسول الملك .

قال : احشى ان يكون في الامر خدعة يا مولاي .

فقال ذو تبع : لقد خطر لي منذ ساعة ما خطر لك ...

فقال الملك وقد استيقظ غرامه : وهل تظنون ان هذا الفلاح الذي قص علينا  
اخبار مأرب يمشي الى مهرا بضعة عشر يوماً ليكذب ، ويخدع مولاه ؟

فقال معدي كرب : يجوز ان يكون هو نفسه مخدوعاً يا مولاي ، فاعاد  
عليهم ما سمعه من وثار ذمر ثم قال : وماذا ترون الان ؟

فقال امير همدان وكان اجرأهم جميعاً . ارى ان يرجع الجيش الى مأرب كما  
تعود ان يرجع من الميادين دون ان يغمد الى الشدة والعنف .

واذا كانت جوش الاعداء قد سبقتنا اليها ؟

— واين هي هذه الجيوش يا مولاي وذلك الفتى الذي ارسلوه اليها اسير في  
صجف يحرسه رجلاان .

— ثم ماذا ؟

— ثم يلجأ الملك الى قراءة الاسرار، من وراء الستار فيضرب حين تدعوه الحاجة  
الى الضرب ، ويغفر عندما يرى ان مصلحة العرش في هذا الغفران ، فالتفت  
اليهم قائلاً : اهذا ما تريدونه ايها القواد ؟

— نعم يا مولانا فخير للملك ان يدخل عاصمة ملكه دخول ظافر بعدوه ، من ان يدخل دخول ثائر على رعيته .

— اذن فليعلم الجيش الليلة انه راحل غداً ، وعليكم ان تقولوا له ان في مأرب عدواً آخر يجب ان يظفر به ، وكانت جلسة الشورى قصيرة كما رأيت ، فقد صرفهم جميعهم ليفكر في حبيبته ، ويعتبتها على هذه الخيانة التي نقلوا خبرها اليه ، ويخاطبها باحلامه ، كأنها باقية على عهده ، لا تطمع الا بغرامه والجلوس معه على العرش ...

\* \* \*

خرج ذو تبع الى خيمته والنار تتأجج في صدره ، وقد اراد ان يمضي في الامر الذي خطر له م حتى يكيد وتار ذمر او ينحيب امله .

ودعا حاجبه وقال له : ألم تقل لي ان لك في الجيش أخاً قطع ذو القرنين يده اليمنى وهو ولي عهد ؟

— نعم يا مولاي ولكن القواد لم يجعلوه جندياً لانه لا يستطيع ان يخوض المجال ويحارب بيسراه .

— واين هو الان ؟

— مع اولئك الرجال الذين يمشون وراء المؤونة .

— ولكنه يستطيع على الاقل ان يحمل الى مأرب رسالة يملأ صاحبها راحتيه مالا ويجعله من غلمانه .

— ومتى تريد ان ادعوه اليك ؟

— في هذه الساعة ، ولكن قل لي ، أيعرف اخوك الاخلاص والوفاء للقوم الذين يثقون به ؟

— اجل يا مولاي ولولا وفأوه لما خسر احدى يديه .

— اذن فليحضر دون ان يعلم أحد اني ادعوه ، فخرج الحاجب ولم يلبث حتى عاد ومعه اخوه ، فابصر امير همدان ، كهلاً ربة ممتلىء الجسم ، ذا عينين

تطل منهما الجرأة والاقدام ، ويلع فيهما الذكاء ، فأشرق جبينه وقال : خبني اخوك انك تحمل الحقد والبغض في صدرك منذ اعوام لذي القرنين ! فنظر الكهل الى اخيه نظرة عتاب .

فقال : لا تخف فأنا مثلك احمل هذا البغض ، اتعرف لماذا دعوتك ؟ فأجابه وهو يبتسم : دعوتني لتسألني راى في غزو الفرس او فتح الحبشة !! أجل يا مولاي انا اعلم لماذا يدعو الامراء مثلك ، الصعاليك مثلي ، في ظلام الليل ... يدعونهم ليجعلوهم رسلا ويبعثوا بهم في المهمات . فضحك قائلاً : أحسنت فسأجعلك رسولاً الى مأرب على ان تكون اخرس اصم بعد ساعة وترك مهراني هذا الليل .

قال : ابعث بي الى حيث تشاء الا البلاط فاننا لا ادخله ولو قتلت ، فأراد الامير ان يفاجئه بتلك البشرى التي تطيب لها نفسه فقال : ولكنك تستطيع ان تروح ونجىء في البلاط لان الملك قد مات وليس في بلاطه ما تخشاه . فركع يقبل قدميه ويقول : اني عبدك منذ الان فافعل بي ما يفعله المولى بالعبد ...

قال : اتعرف شرحبيل بن عمرو ؟

— واعرّف الهدهاد وبلقيس وكل غلام من غلمان ابن يعفر .

قال : سيترك الجيش هذه الارض عند الصباح راجعاً الى مأرب ، وتركها انت الليلة كما قلت لك ، فهل تعلم متى تصل انت ويصل الجيش ؟ — يريد مولاي ان اكون السابق اليس كذلك ؟

— بلى

— اذن فاعلم ان الجيش لا يصل الى مأرب الا بعد ان يمر علي وانا فيها اربعة ايام ...

قال : سيعطيك شرحبيل من الذهب ما لا تحلم به .

— يكفي اني سأعود الى مأرب وليس في البلاط ملك يظلم الناس ويقطع ايديهم يسمونه ذا القرنين .

قال : اما الرسالة التي ساسلمها اليك الان فسبقى امرها سرّاً لا يعرفه احد ،  
أعدني بهذا ؟

— اعدك يا مولاي بان هذا السر سيموت كما مات الملك .

فابقن ذو تبع عندئذ ، ان البغض الذي يضره الرجل لآل ذي القرنين ، جعله  
من اتباعه المخلصين له ، ولم يبق الا ان يكتب رسالته ، وقام فكتبها ، ثم ناوله  
اياها ووضع في يده شيئاً من المال وهو يقول له : سنلتقي في مأرب بعد ايام ،  
فاكتفى الرجل بان يقول : سنلتقي في مأرب ، ثم قبل يده وتغلل في الظلام ...

\* \* \*

## ٦٠

كان شرحبيل ، قد اعد في مأرب كل شيء : المال ، والمؤونة ، والسلاح ،  
في سرايب قصره ، والعقيدة الثابتة ، والايامن في صدره وصدور من حوله من  
الرجال ، وكانت بلقيس تنهياً للجلوس في ذلك العرش العظيم ، الذي جعله  
حمر الجبار مفخرة من مفاخر ذلك الزمان ، ثم تصفوا لها الحياة ، وتزف الى  
ذلك الحبيب النبيل ، الذي وهبت له الآلهة ، جمال الوجه ونبالة الاخلاق ، واذا  
اجتمع الجيش جيش الانصار في «حرثة» كما علمت ، فليس في اليمن قوة تستطيع  
ان تبعدها عن ذلك العرش .

على ان هنالك امرأ واحداً كانت نخشاه وبخشاه القوم هو ان يتردد الغوث  
وجبار في الزحف الى مآرت ، فيخسر المتآمرون قوة لا يحل محلها غير بني مدحج ،  
ومدحج في ذلك الوادي البعيد لا تعلم من امر المؤامرة شيئاً ، ولكن الغوث نفسه ،  
الهم لشرحبيل انه سيكون عند حسن ظنه به ، فلم يبق مجال للخوف ، ولتهناً  
بلقيس فقد فتحت لها الجنة ابوابها وفتح لها المجد ذراعيه !

اما مأرب ، فقد كانت هادئة ، لم يتغير فيها شيء بعد الملك ، ولم تنم مظاهر

المتأمرين فيها ، على شيء ... بلى هنالك شيء جديد ، هو ان الارض ابتلعت وتار ذمر فلم يقف القوم له على اثر ! وقد بذل عتيك جهده كله ليعرف مقره ، فلم يفلح ولم يزد غلمان قصره على قولهم انه ذهب الى الحجاز ، وخبره حراس السور ، انهم رأوه خارجاً منذ ليلال ، فقام في ذهنه ، ان الرجل لجأ الى موضع يخفر لهم فيه الحفائر ويمهد الاسباب ليوم عصيب ، وجاء الى شرحبيل وناشر يقول لهما :

اقسم انه ذهب الى مهرا ، ايوغر صدر ولي للعهد ، ويخبره ما رآه ... ولكن القوم لا يصدقون ان الكاهن الذي هو في قومه نصف ملك يكلف نفسه مشقة السفر الى ذلك الساحل الثاني ليكون غاماً وساعياً ، وبلقيس ايضاً لم تصدق ما سمعت ... حتى مرت الايام الكثيرة وهو غير موجود ، وكاد ينقضي شهر كامل والهدهاد لم يعد ، ولم يصل الى شرحبيل خبر منه ، ولم يخطر لاحد من القوم ، انه اسير في واد موحش ، بفضل ذلك الرجل الذي ذهب الى الحجاز . وبدأ القلق والاضطراب يتغللان في النفوس ، وكاد اليأس يقوم مقام الامل في الصدور !

فبينما هم في قصر شرحبيل ، في احدى الليالي ، وقد كثرت الاراء والظنون ، اقبل ذلك الكهل واسمه « رعين » يستأذن في الدخول ، فتسابق الغلمان يقولون لمولاهم : رسول من مهرا !

فنهض الجميع يستقبلون ذلك الرسول ... ثم عادوا الى مجالسهم وعين بلقيس تنظر اليه ، وقلوبها يخفق ، ذعراً .. وغراماً .. وقد دله القلب ، على انه رسول الحبيب .. ثم قال شرحبيل : اذكر اسم من ارسلك .

— امير همدان يا مولاي . فحبست بلقيس انفاسها .

ثم قال : وكيف تركته ؟

— انه يطوف في الجيش يا مولاي كالاسد يطوف في اودية اليمن ، فتنهدت الاميرة ، ووضعت يدها على صدرها تسكت قلبها المضطرب . ان ذا تبع حي .. فلتسقط السماء بعد ذلك على الارض ، وقبل ان يقول الامير



للرجل كلمة اخرى مد يده الى كفه ، فقال له : أتحمل رسالة منه ؟

— نعم يا مولاي .

— وهل انتهت الحرب بفوز الجيش اليميني ؟

— نعم يا مولاي وفرت الحبشان .

— ومن قتل من القواد ؟

— القواد جميعهم احياء يا مولاي ، غير ان ولي العهد قد جرح وشفته الآلهة

ولولا امير همدان لخسر حياته عندما جرحوه ... فتمتعت شفتنا عتيك الفساظ  
اللعة ... واخرج رعين عندئذ رسالته ، فأوما شرحبيل الى ناشر بأن يقرأها  
فقرأ :

« الى الامير شرحبيل بن عمر ... » وتار ذمر في مهرا ... ولي العهد يعرف  
ان اباه قد مات وانكم جميعكم ستغصبونه العرش لتجاس فيه الاميرة ... ولدكم  
الهدهاد في مضيق عجف يحرسه رجلان فارسلوا من يفكه ويقتل جارسيه قبل ان  
نصل الى مأرب ... ليباعد الانصار اليوم عن مغار وليرجع كل امير الى خلافه  
فالامل قد خاب ... استقبلوا عمرأ كما كنتم تستقبلون ذا القرنين وتبأوا للجواب  
هن كل سؤل ... الشك موجود في صدره على رغم مساعي الكاهن التام والحب  
ينمو في قلبه على مر الايام ... جامل الرسالة من اخلف الناس فأحسنوا اليه  
واجعلوه من الغلمان ... وهو يقول لكم متى نصل الى مأرب ... اذا استطعتم  
ان نحفروا قبر وتار ذمر فافعلوا فلا راحة لنا وهو حي ... ولا تشردوا في  
أمورك ساعة واحدة .. »

فاصفرت وجوههم وجعل الواجد منهم ينظر الى الآخر وقد استولى  
عليه الدهول ... لقد تهدم البناء العظيم الذي شيدته الخيلة ... واستيقظ النائم  
فاضمحلت تلك الصور الخلابة التي كانت احلاماً ... هذا عرش بلقيس تتصدع  
أركانه ... وهذا تاجها ، بين ليلة وضحاها ، بين اليقظة والحلم ، يتدحرج تحت  
الاقدام ، نعم .. ولكن بلقيس لا تسقط اذا سقط العرش ، ولا تستسلم الى  
الضعف عندما تدور الايام ويتغير الزمان ... كانت كبيرة عندما يكفهر الجو ،

كما هي كبيرة عندما يصفو ، وليس بين الشدائد التي تعرض لها شدة تستطيع ان تضعيها لها الرجاء .

انظر ... لقد اصغت الى رسالة الحبيب بهدوء وصبر ، ثم جعلت تقول لايبها وللقوم : ان الاقدار تخدم اليوم عمرا وتخدمنا غداً ، ولكنهم لبثوا ساكتين ... فأعادت قولها وهي تبسم ، ثم قالت لرعين : قم ايها الرجل وادع غلامي نائلا . فدعاه ، فقالت له : اتعرف مضيق عجف ؟

— نعم

— ان مولاك الهدهاد أسير فيه ، فخذ ما تشاء من العبيد وما تشاء من السلاح ، واقتل في ذلك المضيق من تراه من الرجال على ان يصبح حراً ، اذهب الان وليذهب معك هذا الرجل فهو من رجال القصر .

قال : ومن هو أسرته يا مولاتي ؟

— رجلان لا اعرفهما ، فحنى رأسه وهم بالانصراف ، فقالت : ولكن لا ترجع انت الى مارت ، بل ترسل مولاك مع العبيد اليها ، ثم تسير الى مغار فتدفع الى سيدها الذي تعرفه ، كتاباً أكتبته الساعة وتقص عليه خبر مولاك الهدهاد أفهمت ؟؟

— أجل يا مولاتي ، فقامت فكتبت :

من شرحبيل بن عمرو الى الامير ذي مغار :

عندما يصل كتابي اليك ، اصرف الغوث وجباراً الى مخلافيهما مع الرجال الذين يقودان ، ولا تتردد انت في المجيء الى مأرب . وناولت اباهما ما كتبت قائلة له : اكتب اسلك يا مولاي ، فقرأ الامير ذينك السطرين ووضع اسمه ، وخرج رعين ونائل ليختاراهما الرجال .

فصحا عتيك من ذهوله قائلاً : يجب ان نعلم متى يصل جيش مهرا .

فعاد رعين يقول : بعد اربعة او خمسة ايام .

قال : اتحسن الضرب بالخنجر ، بيسراك ؟

— كما تضرب انت بيمينك يا مولاي .

— سنرى اذن كيف تضرب الرجلين اللذين ستزورهما ، والتفت الى بلقيس وقال : لقد ارادت الاقدار ان تنظر في امرنا من جديد فقولي الان ما تشائين .  
— بل تقول انت ما تشاء ايها الامير فالرأي لك .  
— لقد تعلمت يا مولاتي الا اقول كلمة بعدالان ، طلبت قتل ولي العهد ووتار ذمر فهزأتم بي وهذا يكفي .

قالت : اقسم لك اني لا اخالفك في امر بعد اليوم ..  
— وتعدني انت بذلك ايها الامير ؟  
فاجابه شرحبيل قائلاً : لك ان تفعل ما يطيب لك .

فقال : هات الرسالة يا ناشر ، وأخذها وجعل يقرأها سطرأ سطرأ ثم قال : ماذا بقي من رسالة امير همدان ؟؟ لقد انتهى الان أمر الهدهاد وذي مغار وبقي ان نستقبل عمراً كما نستقبل أباه ... وونحفر لوتار ذمر القبر ... بل بقي ان نتهياً للجواب عن كل سؤال ... أجل سنعرف كيف نستقبل مولانا الملك ، ونحفر القبر لمولانا الكاهن ، ونتهياً لكل شيء .

ثم جعل يصف لهم حال عمرو ، وغضبه ، وثورة نفسه ، وانتقل بعد ذلك الى وصف غرامه حتى انتهى الى قوله :

«هما يكن امر تلك الثورة وهذا الغضب فغرام مولانا الملك بضمن لنا الفوز ، « وذلك الحب الذي ينمو في قلبه » سيخمد النار .

وأخذوا يتهايمسون ويتشاورون ، حتى طابت النفوس ، واطمأن الجميع الى ذلك المنهاج الذي وضعوه والذي يبلغون به الغاية .

وكان الليل قد انقضى ، فرجع ناشر وعتيك الى البلاط ، وآوى شرحبيل وبلقيس الى فراشيها ينامان حتى تطلع الشمس .

\* \* \*

كانوا ثلاثة عبيد وغلामين ... وهم يحملون انواع السلاح كأنهم ذاهبون الى حرب ، ومضيق عجم طويل لكنه ضيق وسهل ، فلم يتوغلوا فيه حتى ابصروا الهدهاد وحارسه ، على كثيب صغير في بطن الوادي ، وكان ذلك عند الظهر ، فصاح نائل : مولاي الهدهاد .

وقال الآخرون : مولانا . ثم انقضوا والسيوف في الايدي وبدأوا يضربون قبل ان يعمد الرجلان الى الدفاع .

وكان الامير الفتى مقيد اليدين ، فلما فكوه ، تساقطت دموعه على خديه وقال لعبيده : عودوا الى مأرب وقولوا لابي اني ذهبت الى مغار لاجل خنجره الى القوم ..

فقال نائل : بل تعود انت بأمر مولاي واذهب انا .

— وماذا تحمل ؟

— احمل هذا الكتاب ، ولكن اين فرسك يا مولاي .

— اكلمته السباع ولولا هذه المغارة التي جعلوها بيتاً لي لما وجدتني في هذا

الوادي اثرأ .

قال : لقد احضر رعين فرساً آخر هو هنا .

— من هو رعين هذا ؟

— يعني ، كان في مهرا ، في خدمة امير همدان وقد اقبل يحمل منه رسالة الى

ايك ستقرأها بعد رجوعك .

قال : الا تحتاج الى خنجر مولاك ؟

— لا ، فقد امرت بان احمل هذا الكتاب ليس غير . قالها ، ومشى الجميع

الى الطريق ، ثم غادرهم نائل ذاهباً في مهمته ، وعاد الآخرون الى مأرب ،

والهدهاد كأنه في حلم يكاد لا يصدق ما جرى له ، وهو لا يعلم ما الذي جناه

وما هي الغاية من اسره ا .

وقد ترك القوم جثتي الرجلين طعاماً للوحش والطير ، وكان الهدهاد يسألهم عن ذلك الرجل الثالث الذي كان يأمر حارسيه بما يشاء ، والعبيد ساكتون لا يعرفون من هو .

فقال رعين : لقد كتب امير همدان يقول ان الفضل في اسرك يعود الى وتار ذمر .

فوضع يده على جبينه قائلاً : لقد ذكرت الآن تلك القامة ، فهي قامته ، وتلك البغلة السوداء فهي بغلته .. واين هو اليوم ؟

— ذهب الى مهرا وهو عائد مع الجيش .

فقال في نفسه : لقد سعى ونم فلم يبق لبليقيس امل بما فكرت فيه فالويل له ، وقضى الوقت كله وهو مطرق لا يرفع رأسه ولا يخاطب احداً حتى دخلوا القصر بعد نصف الليل وابوه والقوم ينتظرون وصوله ، فعانقه ابوه وهو يقول : لا نذكر ما جرى فقد عرفنا كل شيء ؟ ولكن ألم تر وتار ذمر في عجف ؟

— لم أر له وجهاً يا مولاي فقد كان الثلاثة في ثياب الفلاحين تستر وجوههم العمائم وكان اجدهم بعيداً ولكنه صاجب الامر .

فقالت بليقيس : اسأل امير نخلة سوآلين خطرا لي امس .

قال : الاول ؟

— من خبر وتار ذمر ان هنالك موآمرة على العرش ؟

قال : لقد اعددت لنفسي جواب هذا السؤال قبل الان .

— ما هو ؟

— هو ان الرجل خرج من حجرة الملك بعد موته وجعل يصغي الى ما

للقوله ونحن فيها .

— وكنتم تذكرون ولي العهد والعرش في تلك الساعة ؟

— اجل ، وذكرنا ايضاً هذا اللعين الذي عفوت عنه .

— وكيف استطاع ان يعلم مهمة الهدهاد وهذه المهمة لم تذكر الا همساً ، في

هذا المكان ؟ !

— بل ذكرت ايضاً عندما خرجنا منه نحن الثلاثة في تلك الليلة، وكنا نتحدث بهذا ونحن ذاهبون الى البلاط .

قالت : انتظن انه سمع ما تحدثتم به ؟

— اجل ولولا ذلك لما عرف شيئاً الا اذا كان احدنا يخون الآخرين والآخرين لا يعلمون ! . فابتسمت قائلة : الناس الذين يملأ الايمان قلوبهم لا يخونون ... ولكن تستطيع ان تعلم اية عاطفة احس بها وتار ذمر في حفظه حياة الهدهاد وقد كان قادراً على قتله ؟

— لقد عرف ان الامير شرحبيل اراد ان يحفظ حياته فحفظ حياة ولده وهي مأثرة له ...

— بل كانت له غاية اخرى هي ان نفس ملكه عمرو ستثور فيأمر بقتل شرحبيل وولديه في ساعة واحدة ، وهذا ابلغ جزاء يرضي حقد الكاهن النذل .

قال : اصبت فتلك كانت غايته وسرى من يكون القتيل هو ام شرحبيل .  
قالت : افعلوا بعد مجيء الملك ما عولتم على فعله وعلي الباقي ، ثم ناولت اخاها رسالة الهمداني قائلة له : اقرأ هذه وانظر في الامر .

فقرأها وقال : ان لم نستطع ، بالحيلة والصبر ، ان نفسد على ابن ذي القرنين أمره ، ونبلغ الغاية من عرشه ، فخير لنا ان نترك اليمن ، ونعيش في صحراء نائية لا نرى فيها اجداً من الناس ! فلمعت حينها وهي تقول : اسمعتم رأي الهدهاد ؟ انه رأي اخته ، وستكون الحيلة والصبر سلاحاً لنا في حربنا مع الملك .

ثم قالت : اما الان فلم يبق الا ان تحسنوا استقبال ملككم الظافر الذي قهر عدو ملكه وتكونوا من اهل الطاعة وستعالج بلقيس امر هذا الظافر بقوة الغرام . فقال ناشر : واذا خطر لهذا المجنون أن يأمر بقتلنا جميعاً عندما يعصب رأسه بتاج ابيه ؟

— وهل تظن انه يفعل بنا ما فعله بعاتكة ؟

— من يعلم فلهذا الفتى ساعات يصبح فيها كالنمر الجريح لا يعبأ باحد .  
 قالت : اذكر ما ورد في هذه الرسالة .  
 قال : اتعنين الحب الذي تضطرم ناره في صدره ؟  
 — نعم فهو السلطان القوي الذي ليس لنفوذه حد .  
 قال : ما احسست زماني كله ان لعمره عاطفة .  
 — أخطأت فقد قرأت عاطفته في عينيه ، وخيل الي ان قلبه ينوب عن لسانه ،  
 في وصف هواه !  
 فقال : لتفعل الاقدار ما تشاء فاما ان نموت كلنا او نبقي . وناموا تلك  
 الليلة وقد عرف كل واحد منهم ما يجب ان يقول ويفعل .

• • •

٦٢

لم يرسل الملك عمرو ، الى وكيل عرشه ، واهل عاصمته ، نبأ بوصوله ، كما  
 هي عادة الملوك ، في مثل هذه الحال .  
 كأنه كان يريد ان ان يفاجيء المدينة بالجيش ، ويتبين ما على الوجوه من  
 اللوان ، وما وراء الافق من مظاهر الخيانة التي وصفت له ، ولكن اهل مأرب  
 رأوا الجيش ، فنقلوا الى البلاط خبر قدومه ، وهم متحبرون في أمر هذا الرجوع  
 الهجائي ، وكان الجيش يبعد مقدار فرسخ واحد عن مأرب ، فخرج من في  
 البلاط ، من امراء وعبيد وغلان ، يتقدمهم حراس الملك بالخراب ، وانضمت  
 اليهم طوائف كثيرة من السكان ، حتى امسوا جميعهم جيشاً يقابل جيشاً ، وينشد  
 له اناشيد النصر .. !  
 وامر شرحبيل فزين في لحظة واحدة ، باب السور ، وابواب القصر ،  
 وشدت فوقها الاغصان النضيرة الخضراء .

ثم وقفت الصفوف كلها خارج السور ، وعندما اطل الملك ، هتف شرحيل وهتف وراءه : يعيش ملك حمير ، وردد الهتاف ثلاث مرات ، ثم ارتفعت الاصوات بالاهازيج ، وكان وثار ذمر عن يمين عمرو ، وذو تبع عن شماله ، وقد خلع الكاهن عنه ثوب الفلاح ، وبدأ بثوبه الذي يعرفه اليمينيون ، والقواد الآخرون بتقديمون الفرق الظافرة ، التي تتلأأ سيوفها وحرايها كما تتلأأ البهجة والغرور في العيون .

فلما ابصر الملك شرحيل ، واميري نحلة وظفار ، ورأى الثغور المبتسمة ، والوجوه الضاحكة الطافحة بالبشر النفث الى كاهنه وهمس قائلاً : اى ملك يصدق ان الخيانة تملي على هؤلاء القوم ما زراه ...؟

فأجابه اللعين قائلاً : ان الخيانة في الصدور يا مولاي وليست على الوجوه . فقال ذو تبع : دع عنك هذا الان ايها الملك فستعرف كل شيء ، ودنا الامراء منه ، فترجل ، ومد اليهم يده يقبلونها ويقولون : لقد اصبحت ملكنا بعد موت ابيك فهذه سيوفنا نلقي بها عند قدميك ونعاهدك على الاخلاص للعرش ..!

فابتسم وهو يقول : لقد عرفنا ان والدنا الملك قد مات ونحن في مهراء . خذوا سيوفكم فانتم ابطال حمير وحراس الملك ! ولم يشأ ان ينظر الى تلك السيوف . فاطبق ذو تبع شفته وجعل ينظر الى شرحيل كأنه يسأله ان يغض طرته . ثم صافحهم بدوره ، وانشوا الى وثار ذمر يضافحونه والايدي ترتجف ... وكان شرحيل يقول : لم نعلم يا مولاي انك ستقدم اليوم .

— وكيف خرجتم من مأرب وانتم لا تعلمون ؟

— لقد قال لنا الناس انهم يرون جيشاً فأقبلنا الان .

قال : اردنا ان نرجع دون ان يعلم احد .

— لماذا يا مولاي ؟

— لاننا لا نحب ان نعكر على الناس صفو يومهم ! .

فتجاهل قائلاً : الناس يعدون قدوم الملك نعمة من السماء ، ومع ذلك



فكيف عرف وتار ذمر انك رجعت ؟

قال : كان وتار ذمر في مهرا يا ابن العم .

.. ولكن غلمانه يقولون انه في الحجاز .. وقد خيل الي انه عاد الى قصره

في الليل الماضي ، ثم ركب اليوم بغلته ليستقبل الملك ، فضحك اللعين ولم يجب .

ثم قال شرحبيل : أهو الذي نقل اليك يا مولاي خبر موت ذي القرنين ؟

— اجل وكان يجب ان توجه انت الى مهرا احد الامراء ليخبر الملك .

قال : أأرسل الى مولاي خبر الموت وهو يحارب اعداءه ؟

— بل ترسل الى مولاك تقول له وهو في الميدان انه صار ملكا .

— لقد كنت يا مولاي في مهرا قائداً وولي عهد ، فخفت ان يضطرب لذكر

الموت قلب ولي العهد ، ويتضعض فكر القائد ! .

فاشرق جبين الهمداني لجواب شرحبيل وهامس موله مرة ثانية قائلاً له :

ألا ترى يا مولاي ان هذا الحديث يفضح السر ؟

— بلى ، فقد انتهينا منه الآن .. كيف انت يا ناشر ؟

— كما تعلم وترى يا مولاي . اخلاص صادق لآل البيت الحميري العظيم ،

ووفاء للعرش لا ينطبق صدر عبد على مثله !

— هذا ما كنا نعله قبل الآن . وانت يا غثيك ؟

— اما انا فأسأقضي ايامي كلها في طاعتك ، كما قضيت ماضي في طاعة ابيك

وكما قضى ابي ايامه في طاعة جدك .

فخطرت له تلك المؤامرة وهم بان يبوح بها على مرأى ومسمع من اهل مأرب

والجيش دون ان يبالي باحد ، ولكنه عاد فذكر انه لم يتوج ، وان الحكمة

تقضي عليه بالصبر ريثما يتربع في العرش ، ومشى على رأس موكبه ساكناً لا

يقول كلمة ، حتى دخل بلاطه ودخلت صفوف الناس وراءه وهي لا تكف عن

العتاف والدعاء ، ولم يتردد في الذهاب الى قاعة العرش ، والجلوس في كرسي

ذي القرنين .

فعمد ناشر وغثيك الى التاج فدفعاه الى وتار ذمر ، فوضعه هذا باسم الالهة

على رأس الملك ، واقبل الامراء ، وشرجيل في المقدمة يسجدون للفتى المستهتر الذي رفعته الاقدار الى سماء اليمن ، ويقسمون من جديد انهم سيكونون حراساً لعرشه ، وتبعتهم طوائف الناس ففعلت كما فعلوا . ثم تراجعت الى الساحات والاسواق لتجعل ذلك اليوم عيداً تقده اليمن في كل عام . ولم تمر ساعتان حتى خرجت جميع الصفوف ولم يبق في ذلك القصر العظيم غير وتار ذمر والامراء . وكان عتيك ، قبل ان ينصرف القوم ، قد خبر امير همدان كل شيء ، ونقل اليه حديث بلقيس ورأيها في الفشل الذي فوجئوا به .

فقال : اذن فوتار ذمر حفر قبره بيده وهو يظن انه جفر قبور الآخرين .

— وكيف ذلك ؟

— سيجازيه الملك بالموت .

— ولكنك لا تستطيع ان تعلم اي خاطر يخطر لهذا الملك عندما تفصح

الاسرار .

— بل اعلم انه في يد بلقيس تفعل به ما تشاء ...

— وهل تجول في صدر هذا المغرور عاطفة حب ؟

— بل تختلج في ذلك الصدر عواطف هي الغرام المبرح الذي لم يحس مثله

من قبل .

— غير ان العرش في نظره اعظم شأناً منه .

قال : لا تخف فهو أعجز عن ان يفعل أمراً ونحن احياء ، وخلت القاعة كما

علت ، وأتت الساعة التي يعرف فيها الملك ، اعداء عرشه والمخلصين له .

\* \* \*

افتتح الملك عمرو عهد ملكه بالنظر في المؤامرات ... وكان وتار ذمر ،  
وشرحيل ، والامراء الثلاثة ، عن يمينه وشماله ، وليس في القاعة من الغلمان غير  
اولئك الحجاب الذين يحرسون بابها بالحرا ب .

فقال عمرو لشرحيل والتاج على رأسه :

الا تصف لنا يا عم تلك الليلة التي مات فيها مولانا ذو القرنين ؟

— اظن ان وتار ذمر وصفها لك يا مولاي .

— بل وصف لنا شيئاً آخر سنسألك عنه الان ، قل يا عم أكنت حاضراً

هندما أغمض الموت عيني الملك ؟

— لا يا مولاي ، بل كنت في تلك الساعة ، اصارع الموت بالخنجر ، وأنا

في الرواق وكان ابوك يصارع داءه وهو في الفراش ، فاصفر وجه الكاهن  
وارتجفت شفاته ... لقد كان يظن ان عمي لا يدخل عاصمة ملكه حتى يأسر  
بضرب اعناق الثلاثة الذين يخونونه دون ان يسمع لاحدهم كلمة .

أجل ، هكذا كان يظن وهو في مهرا ، ولم يقم في ذهنه قط ، أنه سيعمد الى  
اللين ، وهو القاسي الذي لا يعرف ليناً ، والى الحكمة وهو المغرور الذي يهزأ  
بالحكماء .. وقد قال شرحيل كلمته وهو ينظر اليه .

فأجابه الملك قائلاً : اي رواق هذا ؟

— رواق الملك نفسه يا مولاي ، فقد دعاني اليه في تلك الليلة ، وهؤلاء في

حرفته وأمرنا بان ننقل البك وصيته بشأن الزواج ، ثم عهد الي في نيابة الملك  
ربما تعود ...

— وبعد ذلك ؟

— اشار بالانصراف يا مولاي ، ولم اكن اعلم اني اخرج لأرى الموت فاهر

لاه ، وفانحاً لي ذراعيه الهاثلتين ... فعرف عندئذ ان هنالك اسراراً لم يذكرها

- له وتار ذمر ، فقال : اذن كان الموت عند باب الملك ؟!
- اجل ، فقد رأيته بعيني بلع على شفتين حادتين يحملها عتيك وناشر ، ورأيت وتار ذمر واقفاً ينتظر ان تسفح الدماء والابتسامة على شفتيه !
- أي ان الثلاثة كانوا يريدون قتلك ؟
- وكان الملك يصغي الى صوت الاستغاثة ثم الى حشجة الموت .. فتظاهر عتيك وناشر بالخوف وخفضا رأسيهما ينظران الى الارض ، فالتفت الملك الى الثلاثة قائلاً : ماذا تقولون ؟ فتلجلج صوت عتيك وهو يقول : لا نستطيع الا ان نعترف بما جرى يا مولاي .
- وفعلتم ذلك بامر الملك ؟
- نعم وهذا ما املاه عليه وتار ذمر نفسه ، فاكتمى الملك بان يقول : انه امر الملك ، وليس في اليمن من يحسر على ان يعرض له ، ولكن كيف نجوت من الخنجر يا شرحيل ؟
- كنت البس درعين يا مولاي .
- قال : انس ما مضى فحسبك انك نجوت .
- لقد نسيت يا مولاي وهذا عتيك وناشر يشهدان لي .
- كما انهما يشهدان عليك .
- بماذا يا مولاي ؟
- بانك اردت الاستئثار بالملك بعد موت ابن عمك !
- انا ؟
- نعم انت ...
- وكيف افعل ذلك وللملك ولي عهد والمملك له وحده ؟
- قال : تذهب حياة ولي العهد كما ذهبت حياة ابيه ، وعندك رجال كثار يعرفون كيف يقتلونه على رأسهم هذان الاميران الخائنان ، واشار الى عتيك وناشر ... فرفع الاثنان رأسيهما وصاحا قائلين :
- لقتل الالهة من يفكر في قتل الملك الذي لا يزيد ملكاً سواه ، اما هو فكان

يقول وهو هادىء :

ألم يطلب اليك عتيك قتلنا وقتل وتار ذمر قبل ان نلبس تاج الملك ؟  
— انها حكاية غريبة تقصها علينا يا مولاي .

— بل هي حكاية جرت كما تقول عند سرير الملك الميت وكان وتار ذمر  
يسمع ما تقولون وهو في قاعة السلاح . فوقف عتيك وقال : ليبق الكاهن وامير  
همدان في هذه القاعة وليخرج ناشر وشرجيل اذا اراد الملك ...  
— لماذا ؟

— لانى اريد ان اروي لمولاي كل ما حدث وهما لا يسمعان .  
قال : اخرجا ، ثم قال عتيك : أتاأذن لي في القول الان ؟  
— افعل .

قال : لقد كانت هذه الرواية رواية تمام كاذب اراد ان يوغر صدرك على  
المخلصين لك ليخلو له الجو وهذا التام هو هذا ...  
— ويحك انه كاهن اليمن !  
— ليكن اعز مقاماً من الملك فانا لا اعبأ به وسأبوح لك يا مولاي بكل شيء  
ولو خسرت جياتي بعد ذلك .

— قل ما تعلم فقد تحسر هذه الحياة ..  
— بل يحسرها هذا الكاهن الذي تأمر عليك بالاشتراك مع مولاي ابيك ...  
ألم تكن لك يا مولاي رغبة في بلقيس ابنة عمك وقد عرف ابوك وتار ذمر هذه  
الرغبة قبل سفرك ؟  
— بلى

— اذن فاسأل كاهن اليمن عن ذلك الاخلاص الذي اوحى اليه بان يرسل  
هلامه عباداً ليقتل تلك الفتاة التي احببت ..  
فغضب قائلاً : اخذر يا ابن روضة .

— وماذا اخذر يا مولاي وانا اقسم برأسك اني صادق . لقد تأمر ذوالقرنين  
ووتار ذمر على شرجيل وابغه يقتلانهما في ليلة واحدة ليكيدها ولي للعهد ويحرمه

الاميرة التي اراد ان يجعلها ربة قصره وسيدة قومه .

قال : أفعلتها يا وتار ذمر ؟ فتردد قليلا ثم قال : تلك هي ارادة الملك .

فقال عتيك : نعم وكانت ارادة الملك ايضاً ان تقتل شرحبيل فلم يقتله رفقاً ببلقيس التي احبها مولانا واحبته وستكون له أتعرف يا مولانا ماذا فعلنا ؟ لقد عمدنا الى شفرتين مكسورتين ضربناه بهما ونحن نعلم انه يلبس درعين ولم نذكر له حتى هذه الساعة كلمة عما فعلناه .

— ومن يضمن لنا انك لا تكذب ؟

— لقد مكثت في بلاط ابيك بضعة اعوام لم ير مني في خلاها غير الطاعة والوفاء والصدق والاباء .. ومع ذلك فستسأل ناشراً عما ا قوله لك الان . فنظر الى الكاهن وقال : ألم تكن تعلم يا وتار ذمر اننا نحب ببلقيس وزيد ان نجعلها ملكة ؟

— بل كنت أعلم يا مولاي انك تريد ان نجعلها حظية لك لتفهر أباه الذي هزأ بابيك . !

— وكنت تستطيع ان تعفو عن هذه الحظية ، خدمة لولي العهد .

ثم قال : وماذا صنع عباد يا عتيك ؟

— قتل في قصر شرحبيل يا مولاي مع الغلامين اللذين كانا شريكه ، بأمر مولاه .

قال : يظهر ان غلمان شرحبيل لا ينامون .

— لا أعلم يا مولاي كيف حدث القتل ، ولكنني عرفت ان وتار ذمر اوصى

عباداً بان يهشم بخنجره جسم ببلقيس ويرمي بها الى الكلاب في سوق مأرب .

فاصفر جبين الملك واخذ يتفرد في ذلك الكاهن الذي استخف به .

وقال عتيك ايضاً : وكان يقول لابيک خير لك ان تقتل ببلقيس من ان يخرج الملك من يد ولدك الى ايدي ابناء شرحبيل وفي هذا القول اغواء يعرفه الملك ويعرف الغاية منه .

فقاطعه وتار ذمر قائلاً :

كذبت فالملك نفسه كان يقول لي ذلك وكان يكره ان تصيح بلقيس سيدة العرب .

- وكنت انت تجاريه في هواه ولم يخطر لك ان تخدعه في مؤامره كما خدعناه أو نسأله الرحمة بالفتاة العاقبة التي لا ذنب لها في هذا العشق ، فامتلاء صدر الملك غيظاً ومد يده الى سيفه قائلاً :

لا نعلم على اي رأس يسقط هذا السيف بعد قليل .  
فقال عتيك : قلت انه سيسقط على رأس الخائن ولو كان اعز الناس عليك  
وقال الكاهن : الخائن هو الذي يرغب في قتل مولاه .

فقال الملك : اكنتم ترغب في قتلنا يا ابن روضة ، كما يقول ؟  
- بل كنت ارجب في قتل هذا الرجل يا مولاي ، وقد قلت لشرجيل ،  
هنذا اعترفت له بذنبي ، وذنب ناشر ، ان يطلب اليك بعد رجوعك ان تكفي  
اليمن شره .

فاجابه وتار ذمر قائلاً : بل قلت له ان العرش لا يثبت وولي العهد حي .  
- بل قلت ان عرش ولي العهد لا يثبت وانت جي ، فأسكتها الملك قائلاً:  
منسأل ناشر أعن هذا وسنعرف بعد قليل كل شيء ... ولكن قل لنا يا ابن  
روضة ماذا فعلتم في قصر شرحبيل بعد موت الملك ؟  
- ذهبنا اليه مع صاحبه يا مولاي لتنقذ بلقيس وكان امر عباد ، في تلك  
الساعة قد انتهى .

- وما هو السبب الذي قضى بخروج الهدهاد من القصر عند بزوغ الفجر ؟  
فابتنم قائلاً : اما هذا السبب فقد لا يريد الملك ان اذكره الان .  
- بل زريد ان تذكر الساعة كل ما تعلم ... وبدا الغضب في عينيه .  
فقال : لقد خرج الهدهاد بامر ابيه ذاهباً الى مغار .  
- صدقت ، وماذا يصنع فيها ؟

- يحمل الى اميرها خنجر شرحبيل ليعطيه ذلك الامير بعض المال ، ففقهه  
صاحبكاً وهو يقول : يخيل البنسا ان الفقر عض شرحبيل بن عمرو وجار عليه

- الزمان فجعل يسأل المحسنين من العرب ان يعطوه .
- لا يا مولاي فشرجيل من اغنياء مأرب ولكنه لا يستطيع ان يعطي كما تعطي الملوك !!
- قال : لم نفهم شيئاً من حكايتك .
- ستفهم كل شيء يا مولاي ... اتعرف امير مذحج ؟
- جابر بن مفروق ؟
- نعم ، فقد جاء الى مأرب وهو محتاج ، وقد ظفر بمذحج عامر بن الطرب وطلب الى ابيك الملك ان يكفيه مؤونة قومه .
- ومتى جاء هذا الرجل ؟
- منذ ايام يا مولاي ، وكان ناشراً في البلاط وهو الذي استأذن له ومثل معه بين يدي ابيك .
- واعطاه ما تعود ان يعطي امثاله .. ثم ماذا ؟
- لم يعطه شيئاً يا مولاي ، بل امر ناشراً بان يدعوه اليه شرحبيل ابن عمه ، ففعل ، ولعله اراد ان يمتحن اخلاصه على هذه الصورة ، فطلب اليه ان يعطي جابراً ضعف ما كان يعطيه هو في كل عام يشتد به الضيق !
- اذن فقد خرج جابر من البلاط صفر اليدين .
- نعم غير انه عرف ان للملك غاية في رده ، فتبع شرحبيل الى قصره وهو راض ، وذو مغار في ذلك القصر ، ولكن شرحبيل لم يكن قادراً على اعطاء مذحج ضعف ما كان يعطيها الملك فسأل صاحب مغار ان يرسل اليه مالا يرده اليه في العام المقبل ، وتعاهدا ، على ان يكون الهدء رسول ابيه ، وان يكون خنجر شرحبيل رسالته اليه .
- ولم يرد في ذلك الحديث ، يا عتيك ، ذكر حرثة ؟
- بلى يا مولاي ، فقد وعد ذو مغار ، بان ينقل هذا المال الى حرثة ، مع فريق من جنوده ، ثم ينقله شرحبيل بدوره منها الى مأرب !
- ولكن وتار ذمر خبرنا غير ذلك ، ماذا سمعت ايها الكاهن ؟



— سمعت ان انصار شرحبيل يقيمون بمغار حتى اذا ذهب اليهم الهدهاد جاملا  
لمخنجر ابيه زحفوا الى حرثة .

قال : لم ارقط يا مولاي رجلا يكذب مثل هذا الرجل ولد وقاحته ، أكنا  
لعلم من قبل يا مولاي ان وتار ذمر يسمع ، من قاعة السلاح ، وفي قصر شرحبيل ،  
ما فتحدث به ؟

— لا . — وهل خطر لنا ، ان مولانا الملك سيسألنا ؟ بعد رجوعه من مهرا  
مثل هذا السؤال ؟

— لا . — اذن ارجو ان تأذن لنا شر وشرحبيل في الدخول ، ثم تستعيد هذه  
الحكاية منها فتعلم من هو الكاذب ، بل اطلب اليك امراً آخر يا مولاي ،  
ارسل من تشاء من الرجال الى مغار اليوم لترى اذا كان فيها جنود لصاحبها او  
اسواه ، ثم افعل بعد ذلك ما تريد ان تفعله .

فأراد الملك ان يعين في الاختبار فقال : بل ننتظر رجوع الهدهاد من مغار  
لفرى ما له .. ونسأله عما رآه .

— ولكنه لم يذهب اليها يا مولاي ، فتظاهر بالاستغراب قائلاً : أنسيك  
ما قلته منذ لحظة ؟

— قلت انه لم يذهب لان شقيين من اشقياء اليمن سلباه ما معه وجعلاه اسيراً  
لها في مضيق عجف .

— وهو باق الى الان في ذلك المضيق ؟

— لا ، فقد عاد الى مأرب منذ يومين ، وخبرنا ان بعض رجال بينون رأوه  
ففكوه ، فرجع الى ابيه يمر اذبال خبيته .

فراى الملك عندئذ ، ان عتيكاً صادق فيما رواه ، ولكنه لم يشأ ان يصدر  
حكمه ، قبل ان يسمع اقوال الاميرين واقوال الهدهاد نفسه ، في تلك الساعة ،  
وكان وتار ذمر بهم بالكلام ، فاوما اليه بان يسكت ، وصدره يغلي من الغضب ،  
ثم امر حجابيه بان يدخلوا ناشراً وشرحبيل ، فدخل الاثنان فقال : علينا  
بالهدهاد يا عم .

قال : ليرسل الملك اليه احد الغلمان .

— متى رجع من مغار ؟

— كان في عجف يا مولاي وعاد منذ يومين .. فاشرق جبينه قائلاً : يا غلام ادع الهدهاد . وساد الصمت قاعة العرش حتى اقبل . وعند الهدهاد ، من الدهاء ، ما عند ابيه ، فهو لم يضع قدمه عند العرش حتى جثا على ركبتيه ، وقبل ثوب الملك .

فانهضه قائلاً : كنت تظن يا ابن العم ان هذا العرش سيكون لايك بعد موت ذي القرنين ، ثم لك !!

ولم يذكر بلقيس ... فاجابه الفتى دون ان يتردد : بل كنت اظن انها الملك اني سأغضب سابور تاجه ثم ازحف من ارض فارس الى الشام فأقذف بجنود قيصر الروم الى البحر .. اي شأن لابي بالعرش يا مولاي ؟  
قال : اذكر ان الحظ لم يكن عوناً لك في ذهابك الى مغار .

قال : اذكر ذلك يا مولاي واكاد ابكي شرف ابي الذي لوثنه الاقدار .  
— شرف ابيك ؟

نعم ، فقد وعد ، باسم الملك ذي القرنين ، اميراً من امراء اليمن ، بان يرسل اليه مالا يطعم به قومه ، فخانته الحادثات .  
فقال في نفسه : صدق عتيك وتربة الملك .  
ثم قال له : لقد سمعنا هذه الرواية الان .

قال : ان ابي كان قد امرني بان اكنمها جميع الناس ، ولكن الملك اراد ان يسمعها الساعة فالملك قبل ابي وسابوح له بكل شيء ، فجعل يقول ، وقد اعجبه هذا التملق : انه حديث اهل الشرف والاخلاص ... ولكن اية صلة لحرثة ، بوعد ابيك ؟

— خفت يا مولاي ان انقل المال ، مع عبدي ، فتسلبني اياه احدى العشائر ، فأراد ذو مغار ان يرسل معي بعض الجنود الى حرثه ، يحرسونه لي .  
— وهل تعلم من هو الامير صاحب هذا المال ؟

— جابر بن مفروق .

فقال : اجلس ، وليذكر لنا ناسر بعض ما ذكره عتيك .. لما ذا ضربت  
هرحibil يا امير ظفار ، بنجرك المكسور ؟  
— لاني لم ارد قتله يا مولاي ، فهو والد بلقيس ، وبلقيس امينة ولي العهد  
وامله ...

— ولكن لولا الدرعان اللتان تحفظان ظهره وصدره لخر مضر جأ بدمه .  
— لقد كنا نعلم يا مولاي انه يلبس درعين ، ومع ذلك فالحذي يضرب الصدر  
لهصيب الدرع ، يستطيع ان يضرب الرأس والوجه والعنق فيقتل عدوه ،  
ولكننا لم نفعل ذلك يا مولاي بل اكتفينا بما جرى ليعلم الملك ان شرحibil  
طويل العمر ...

— وما هو الحديث الذي جرى عند جثة الملك ؟ فوضع الفتى يده على جبينه  
كأنه يستعرض ذلك الموقف الذي ذكره الملك ، ثم قال : كنا نتحدث بامر  
العرش يا مولاي .

— اذكر كلمة واحدة مما تحدثتم به .

قال : كان عتيك يقول : ان الخطر يكمن تحت قوائم عرشك اذا بقي وتار  
لهمر في الوجود .

— وكيف انتهى الامر بعد ذلك ؟

— بان نقص عليك ما فعله مع بلقيس فترى رأيك فيه ، فأطرق الملك ساعة  
طويلة يفكر في امره ، وقد عرف امير همدان ، من اختلاج عينيه ، ان صدره  
سيفنجر بعد ذلك الاطراق .

وكان وتار ذمر خائفاً ، وكلما هم بان يبرىء نفسه ، تقف الالفاظ ، من  
الضطرابه وخوفه ، عند شفتيه ، لقد عرف المسكين في تلك اللحظة ، ان أعداءه  
الرهاء ، وانهم تهبوا لكل امر قبل وصول الملك ، فمن الصعب ان يخرج من  
مولفه ظافراً ، ولكنه عاد فذكر قوته في اليمن ، ومنزله في الدولة ، وقام في  
لهنه ان الملك لا يجسر على ان يعرض له في شيء ، الا اذا أراد ان يجعل عرشه

على شفير الهوة .

ولبت ساكتاً حتى يخرج الملك عن سكوته ، غير ان الملك لم يأذن لاحد في الكلام ، بل رفع رأسه وقال لناشر : من هو الكاهن الذي يخدم الالهة في ظفار ؟  
- هو سرح ابين يا مولاي .

- وهل هو كهل ام فتى ؟

- في ربيع العمر يا مولاي .

فقال : اكتب اليه باسم الملك ان يتعجل في مجيئه الى مأرب .

قال : سيأتي يا مولاي ليظهر خضوعه وطاعته .

- ولكن لا يزيد ان نصبر حتى يجيء . . اكتب اليوم فنحن نريد ان نرسله

الى مغار ولا نثق الا بالكهان . فابتسم عتيك ابتسامة خفية واجابه قائلاً :

ليذهب وتار ذمر بنفسه اذا اراد الملك .

قال : سنرسله في مهمة اخرى اصعب من هذه . ثم رفع صوته وقال :

انصرفوا الان واعلموا ان الملك نسي كل شيء . اما انت يا ذا تبع فابق فنحن

بحاجة اليك ، فقام الامراء وهم يقولون في انفسهم : لقد ارسلت الينا الاقدار

ملكاً آخر يشبه ذا القرنين ، في كل شيء .

ولم يستطع اجدهم ان يعلم ما يضره الملك من خير وشر .

\* \* \*

٦٤

ماذا رأيت يا ذا تبع ؟ . قالها الملك وعيناه ترسلان للنار .

فقال ذو تبع : اخشى ان اذكر ما رأيت فيغضب الملك .

- ولكن تأمرك بهذا فلا تردد ولا تكتننا شيئاً .

قال : رأيت مكرأ وخبثاً وسمعت كذباً .

— ممن ؟

— من هذا الرجل الذي يتولى امر الكهانه في دولة حير .

— اتظن انه يخدع الملك ؟

— بل اقسم برأسك انه لم يرد الا ان يفسد عليك امر ملكك .

— وتتق براءة شرحبيل ورفيقه !

— كما اتق بالشمس التي ترسل اشعتها الى هذه القاعة .. لقد تبينت الصدق

يا مولاي في حديث عتيك ، ثم لمسته في اقوال الهدهاد وناشر وكدت اخرج عن

حلي واتا بين يديك واصفع هذا الكاهن اللعين الذي يهزأ بمولاه ويعكر عليه  
صلو ملكه .

— اما نحن فقد خيل البنا ان بلقيس تطمع بالعرش !

— وهل سمعت يا مولاي ان المرء يطمع بشيء هو له ؟ الا تعلم بلقيس ، ان

العرش هو لولي العهد وان ولي العهد سيصبح زوجها وسيدها ، ويصبح له الملك

ولها ؟ أتوثر ان تلبس التاج ملطخاً بالدماء وهي قادرة على لبسه ابيض طاهراً لا

الاصاب في امره ولا اكراه ؟ ان هذا الطمع يا مولاي لا وجود له الا في صدر

وتار ذمر الذي يريد ان يبعد جميع الناس عن عرشك ليشب هو الى هذا العرش

فلما تساعده الاقدار .

قال : لا تجاوز الحد في ظنونك يا ذا تبع .

— ولكن وتار ذمر شر الناس وستعلم يا مولاي انه لا يحبك الا على قدر

هاجته اليك والى النفوذ الذي يستمد منه .

قال : لترك الان وتار ذمر فقد نسيناه ونحن لا نريد ان نفكر فيه بعد الان ،

بل قل ان هذا الرجل غير موجود وان في مأرب كاهناً آخر يخدم الالهة ويعنى

بامور اليمينين ... أفهمت ؟

— نعم يا مولاي .

— ولنتظر في امر آخر يهتم له الملك اهتمامه لنفسه .. أعلم ماذا قيل لنا في

مهرا عن بلقيس ؟

— وماذا قيل يا مولاي

— قالوا ان بلقيس عاشقاً غير عمرو بن ذي القرنين ، وانها تبذل الجهد كله لتتربع في العرش وتجعل عاشقها زوجاً للملكة ..  
فخفق قلب الفتى واجابه قائلاً :

يجب ان يكون العاشق اجمل اهل زمانه لتؤثره الاميرة على اجل فتيان اليمن  
وأعظمهم مقاماً .

قال : لعلها خدعت بغير الجلال .

— اذا كان هذا يا مولاي فقد استهوتها العظمة والشرف وليس في العرب  
رجل اعز منك واشرف نسباً .

— اذن فالرجال الذين يعيشون في ظلنا لا يسمعوننا غير الاكاذيب !

— اتعني جميع من حولك يا مولاي ام وتار ذمر نفسه ؟

— هو وسواه فقد قل وجود المخلصين في هذا الزمان ... الا يخطر لك ايها  
الهمداني ان الملك يعرف ما في صدور رجاله ، من حب وبغض ، وصراحة  
وخبث ، واخلاص ورياء ، فخطب نفسه قائلاً : يخطر لي انك لا تعرف شيئاً  
ايها الملك ولا تبالي بشيء .. وقال له :

بل اعلم يا مولاي انك تعرف ما تعرفه الالهة والويل لمن يظهر لك الطاعة  
وهو يضمر العصيان .. ولكن كيف ذكروا لك يا مولاي ما ذكروه عن  
بلقيس وانت تعلم اي خفقان يخفق قلبها على الغرام ؟!

قال : الملك لا يعلم من امر بلقيس الا ما تصفونه له .

قال : يظهر انها تكاد تذوب غراماً يا مولاي !

— ومن قال لك ذلك ؟

— عتيك امير نخلة .

— اليوم ؟

— نعم في هذا الصباح عندما كان الناس يهتفون لك في هذه القاعة ويمخثون

هند قدميك ..

— اعد علينا قوله .

— لقد بكت بلقيس يا مولاي عندما نقلوا اليها ان اباك الملك اوصى يجعل الزواج في العام المقبل ! فأطل هواه من عينيه وجعل يقول : ما سمعنا منذ تركنا مهرة ، خبراً يعيد البهجة الى القلب مثل خبرك اتقول ان امير نخلة قص عليك هذا ؟  
— اجل يا مولاي وكان ابوها يقول لها : لقد جعلني الملك شاهداً فلا حيلة لي في رد وصيته .

قال : سنستعيد هذا القول من فم شرحبيل نفسه ، ولكن ماذا نستطيع ان نفعل بوصية الملك والامر كما ذكرت ؟  
— لا نستطيع اليمن كلها ان تفعل شيئاً يا مولاي .. ان الكلمة التي ينطق بها الملك المائت تخرج من فم الاله .

— واذا رأينا ان نمحو ، بامرنا ، هذه الكلمة ؟

— يثور الكهان والامراء في جميع الاقاليم ، بل ثور العرب كلها من الشام الى الحبشة ، وتردد الاسنة في كل قطر ان الملك عمرأ بن ذي القرنين انتهك حرمة ابيه .

قال : سنفعل ذلك ولا نبالي اذا رضيت بلقيس .

— ولكنها لا ترضى يا مولاي فأبوها من الاشراف بل هو من سلالة حمير ، وسليل الملوك لا ينتهك حرمة الملوك !

قال : يصعب على الملك ان يصبر مكرها على امر ، وهو سيد اليمن .

— اما انا فأرى ان تصبر يا مولاي، لان بلقيس لك ، وستبقى على عهدك ما بقيت لا يغيرها شيء .. ألم يتقل اليك ما فعله سابور قاهر العرب ، بعد موت ابيه ؟ لقد لبس تاجه ، ثم خرج وهو متوج الى القبر ، واقسم لابيه النائم تحت التراب انه سيحترم وصيته ويفتك باعدائه .. فافعل انت مثله يا مولاي ، اخرج الى قبر ذي القرنين وخاطب الملك الذي يرقد فيه قائلاً له :

ليعلم العالم كله اني اقدس الكلمة التي لفظتها شفتاك قبل ان يغمض الموت

عينيك واني سأكون جلاداً لأولئك الرجال الذين هم اعداء العرش .. افعل ذلك يا مولاي ليهابك القوم ، وتعلم اليمن ان عمرأ الذي خلف اباه ، لا ينسى شيئاً . فسكت الملك سكوت تردد وضعف وقال له : لم يقل لنا احد ان ولي العهد يزور قبر ابيه ، بعد ان يصبح ملكاً .. سنفعل ذلك يا ذا تبع .. سنفعله اليوم .. وسننظر ، بالاشتراك مع شرحبيل والاميرين الاخرين في امر الزواج .  
— ولا تنس مولاي ان تشاور وتار ذمر .

— قلنا لك ان وتار ذمر غير موجود .. وهذا ما اراد ان يعرفه امير همدان فقال :

ان للكاهن رأيه في الوصية يا مولاي .

— ولكن الملك يستطيع ان يستعين برأي سواه ..

— وهل وثقت يا مولاي باخلاص شرحبيل ؟

لم تثق بعد باخلاص واحد من الامراء ، كلهم خونة يبتسمون لنسا برباء ، ولولا هذا الزواج الذي يعلل شرحبيل نفسه به ، لكان اول رجل يشهر السيف في وجه مولاه ، وينفخ في صدور قومه ، روح العصيان ، فقال وهو لا يريد ان يغضبه : وناشر وعتيك ؟

— اما ناشر فلا نشك فيه ، واما عتيك فقد قضى ايامه في البلاط وهو ساكت ، والناس لا يعرفون عنه الا ما يعرفونه عن الاموات ... ومع ذلك فقد كان يطيب له ان يرى شرحبيل على العرش . وجعل يهز صولجانه ويقول : اما وتار ذمر فالويل له .. وكاد ذلك الصولجان يصبح في يده قطعتين لشدة غضبه . فلم يعبأ الفتى بذلك الغضب ، بل كان يريد ان يقرأ جميع اسراره ، ليتدبر رفاقه الامر ، ويحتاطوا له من جميع نواحيه ولو كان غضب الملك ناراً قاتلة .

لقد عرف ذو تبع هوى ذلك العاشق وعاطفته ، ودرس حياته في خلال الشهرين اللذين قضاهما معه في مهرة فهو قادر بقوة هذا الدرس ، ان ينتزع الاسرار من صدره ، دون ان يبدو على وجهه اثر واحد من اثار رغبته . كان هادئاً في طلبه ، هادئاً في حديثه ، وذلك الاخلاص البادي في عينيه ، يدفع الملك



الى الوثوق به . فلما ابصر غضب مولاه ، قابله بابتسامة هي ابتسامة الخضوع والاستسلام وقال : اذن قضي على كاهن اليمن .

— اجل وعندما تنتهي منه يجيء دور سواه .

قال : لقد ثبت لك يا مولاي ان اولئك الامراء ابرياء فن هو هذا الرجل الذي استحق غضب الملك ؟

— هو عليك امير نخلة ، الذي سمعنا عنه ما نكره ، ونحن لا نعلم عن ماضيه ما يمحو حاضره . !

— ولكنك لم تجد عليه ذنباً يا مولاي ، نعم سأضرب عنقه بهذا السيف عندما يأمرني الملك بذلك ، غير اني اخشى ان يخلق موته للعرش اعداءهم اليوم انصار له . . أنسيت يا مولاي كيف كان ابوك يجاري اعداءه ويتملقهم وهو والقي بانهم لا يحبونه وليسوا اوفياء للملكه ؟ اكان ابوك يخاف الابطال في ساحات المعركة وهو الذي خاض الميادين ظافراً ببسم له النصر في كل مكان يضع فيه قدمه ؟ بلى يا مولاي كان يخاف شيئاً هو الثورة تستعر نارها في الاقاليم ثم تمتد الى مارب وتسيل دماء اليمنيين .

فقاطعه قائلاً : اي انك تخشى ان تخرج نخلة عن الطاعة ويجرد ابناؤها السيف ...

— نعم يا مولاي وقد يخرج غيرهم كما يخرجون وتخفق اعلام الثورة في كل انحاء ...

قال : احذر يا ذا تبع فانت تدافع عن الرجل .

— بل ادافع عن الملك الذي ابذل دمي في سبيل هنائه وظفره باعدائه ، مرني يا مولاي بالموت تجد اني لا اتردد في اقتحام غمراته ليكون مولاي الملك راضياً وعمي عرشه ثابت الاركان يهزأ بالحادثات . ثم قال : اريد يا مولاي ان اخرج الساعة الى الرواق فاقتل شرحبيل وعتيكاً وامسح السيف بثوبيهما ؟

— بل نريد ان تقتل عتيكا وحده اذا طاب لك القتل الان .

فنهض قائلاً : أفعل ؟ ومد يده الى سيفه .

فابتعم وقال : لقد عرفنا من قبل انك تتصدى للموت حتى لا تصل يده الى مولاك كما فعلت في ميدان مهرة .. انك وفي المللك وطائع له .. ولكنك لم تخف ان يموت وتار ذمر وهو الكاهن الاعظم ، كما خفت ان يموت عتيك وهو أميراً — ان وراء عتيك مخالفاً فيه الجيوش يا مولاي .  
— ووراء وتار ذمر كهاناً يملأون المخاليف .  
— ولكنهم لم يكونوا قط من رجال السيف .  
— بل كانوا اصحاب نفوذ يوغرون الصدور عندما يشاؤون .  
— اما النفوذ يا مولاي فلا يملك احد منه شيئاً وانت ملك حمير ، الا تعلم يا مولاي ان هؤلاء الكهان يأخذون نفوذهم من صاحب السلطان الاكبر الذي هو الملك ؟.

اذن تأمر بقتل وتار ذمر ولا نبالي ؟  
— اذا اراد الملك ان يفعل فهذا السيف يحمي اصوات الكهان الى الابد ، ومع ذلك فأنا اضمن لمولاي انه لا يرتفع لاحدهم صوت بعد موت سيدهم وتار ذمر .

قال : سنأمر بقتله بعد حين وليبق عتيك .. انك انقذت حياتنا من سيف ذلك الحبشي فنحن ننقذ لك حياة من تشاء .. ولكن لاتنس ان تضمن اخلاص صاحبك اذا اردت ان يعيش .

قال : وهبت لي حياته يا مولاي ؟  
— اجل فليتأمر على الملك ما طابت له المؤامرات ، ونهض عن العرش وهو يقول : نسألك الان عن الحب الذي يملأ هذا القلب ، الا يستطيع ان يرى من يجب ؟

- وكيف لا يستطيع ذلك والعالم كله بين يديه ؟
- واين نرى بلقيس وهي في قصر ابائها لا تخرج منه ؟
- في هذا القصر نفسه يا مولاي ؟
- ولكن يقولون ان الملك لا يزور احداً .

- بل يزور من يشاء عندما يشاء .

- وهل تجيء بلقيس الى البلاط اذا دعوناها اليه ؟

- لا اظن يا مولاي فالاميرة مثل بلقيس لا تدخل بلاط الملك الا عندما يصبح هذا البلاط ملكاً لها كما تعلم ، وما الذي يمنعك يا مولاي من الذهاب الى قصر شرجيل وشرجيل ابن عمك وهو سيد النبلاء ؟ فاستند الى عرشه قائلاً : ادع شرجيل وناشراً فقد نسينا الان كل شيء . ومنظر في امر هذا الحب ليس غير .

- وهل عولت على الصبر الى العام المقبل يا مولاي .

- سنصبر اذا كان لا بد لنا من الصبر . . فخرج الفتى الى الاروقة ، لينقل الى الامراء بشرى الحكم بالموت على وتار ذمر ، والعفو عن عتيك ، ورغبة الملك في تأجيل الزواج ، وقد عاد الامل الى صدور القوم عندما سمعوا تلك البشري ، ومشى شرجيل وناشر وراء الامير ليمثلاً من جديد بين يدي الملك المستسلم لهواه ، وكانت الابتسامة في تلك الساعة تغمر ثغره المقدس وقد صبغ الغرام وجهه بلونه العجيب الفتان .

\* \* \*

٦٥

قرأ ذو مغار كتاب شرجيل الذي يحمله نائل ، والدهشة تملأ نفسه ، وهو لا يصدق ان امل ابن يعفر بالملك قد ضاع ، وكيف يضيع ذلك الامل وقد هباً له القوم كل شيء ؟ بل كيف تخسر بلقيس العرش وقد كادت الايدي القوية ان ترفعها اليه ؟؟ ان في القضية اذن واحداً من امرين ، اما ان تكون هنالك خيانة فضحت الاسرار ، واما ان تكون قوة غريبة جديدة ، خلقها القدر لعمر وبن ذي القرنين ووهبها له الزمان !

ولولا ذلك لما تراجع شرحبيل ومن معه من الميدان ، ولما خطر لبليقيس ، وهي التي لا يلوى لها عود ، ان تترك الساحة .

وكانت مغار ، في ذلك الحين ، تغص بالانصار ، من براقش وبينون وما حولهما من مخاليف ، على رأسهم جبار والغوث ، ينتظران قدوم الهدهاد ، فتحرير ذو مغار في موقفه ، أيقول للناس انصرفوا وقد تركوا اهلهم وارضهم وتيسأوا للحرب ، ام يزحف نائراً غازياً ليسحق الجالس على العرش ولا يسأل عن شيء ! ولكن امر شرحبيل صريح لا ابهام فيه ولا الغاز ، وليس من الرأي ان يخالف الرجل الذي عاهدته على الوفاء ، فيما يرد عليه منه ، فقال للغلام : ماذا جرى يا نائل في مأرب ؟

— لا تسألني عما جرى يا مولاي فاننا لا اعلم شيئاً ، ولكني رأيت ان السحب السوداء تحجب وجه الافق .  
قال : اذكر ما رأيت .

— رأيت مولاي الهدهاد اسيراً في عصف !

— ابن شرحبيل ؟

— نعم يا مولاي وكان ابوه قد ارسله اليك حاملاً خنجره ومعه عبدان له .  
وقص عليه حكاية انقاذه من ذلك المضيق وذكر له تلك الرسالة التي حملها رعين من مهرة ، فقال : ليس في مهرة من يكتب الى شرحبيل غير ذي تبع ؟  
— اجل يا مولاي فقد كانت الرسالة منه ويخيل الي ان يد وتار ذمر في كل ما جرى .

قال : اصبت فتلك آثار الكاهن الاعظم الذي لا يطيق ان يرتفع في اليمن رأس قبل رأسه . ودعا الغوث وجباراً فقال لهما : لقد استولى عمرو على عرش ابيه وانتهى الامر . فذعر الغوث قائلاً : ومتى رجع من مهرة ؟  
— انه لم يرجع بعد ولكن خائناً من مأرب مهد له سبيل الظفر باعدائه وهو بعيد ...

— ومن هو هذا ؟

— كاهن اليمن الاعظم الذي كان عوناً لذي القرنين والتفت الى ناثل قائلاً :  
أحد حكايتك ، فأعادها الغلام ثم قال : ولكن سمعت مولاتي بلقيس تقول لأمير  
ظفار : اصبروا فسيخسر ابن ذي القرنين العرش بعد قليل ، فقال جبار بن دوير :  
وماذا نصنع الان يا ذا مغار فتاولة رسالة شرحبيل وهو يقول : يعود الجيش الى  
المخالف التي خرج منها وانصرف انا الى مأرب كما ترى في رسالة ابن يعفر ،  
فقرأها قائلاً : وبعد ذلك ؟

— ومن يعلم ماذا يحدث بعد ذلك ، ان السر في مأرب ، وسأحل ليكما منها  
المهيار هذا الفشل الذي فوجئنا به .

قال : اخشى ان يتزوج الملك بلقيس ، فتسكت مطاعمها ومطامع اييها وتدور  
الدائرة على اولئك الانصار الذين حملوا السيف للدفاع عنهما !  
قال : لو استطاع ابن ذي القرنين ان يهب لبلقيس تاج سابور لما رضى به ؛  
انها تريد ان تكون هي الملكة ، ويكون الفتى الذي تختاره زوجاً لها خاضعاً لسلطانها  
كما يخضع له كل يمني .

— وهل انت واثق بهذا ؟

— نعم واثق لكما ان الحوادث لا تستطيع ان تمحو جرحاً واحداً مما كتبه  
شرحبيل بن عمرو .

— اذن فنحن باقون على عهده حتى يرد علينا خبر آخر منه .

— وماذا تفعل اذا سكنت المطاعم التي ذكرت ؟

— تستيقظ في صدري وصدور الغوث مطاعم اخرى لا تسكت .

— أتجرد السيف يا جبار في وجه الملك ؟

فأجابه الغوث قائلاً : بل نجرده في وجه كل يمني ، يطيع ابن ذي القرنين ولو  
كان شرحبيل نفسه !

— اي ان براتش وبينون لا تعترفان بعمرو ؟

— لا ، وسيخرج من براتش علم العصيان ثم يحقق في كل فضاء حتى يصل الى

مأرب وهو يظلل الالوف من رجال الحرب ... انتظن ان بني سعد ينسون شرفهم

الذي داسه الملك قبل موته ويعترفون بولده ملكاً ؟

— ولكن تعدني انك لا تفعل شيئاً قبل ان اعود .

— اعدك بهذا وليعلم شرحبيل اننا خصوم له اذا اصبح هو عوناً للملكه .

— قال : وسيكون ذو مغار نفسه خصماً نه اذا فعل ذلك .

— اذن فقد تعاهدنا من جديد ... متى تعود انت ؟

— من يعلم فقد امكث بمأرب شهراً كاملاً أعود بعده حاملاً ارادة الامير

التي لا تتغير بعد ذلك ، ثم قال لنائل : أما انت فخبّر مولاك ان الغوث بن راهط

لا يعترف بالملك اذا هو اعترف به ولا يضع قدمه في مأرب الا يوم يزحف عليها

على رأس رجاله ليحطم العرش المخضب بدماء الابرياء .

قال : اذا اعترف مولاي بان ذي القرنين كان اعترافه هزءاً به ودهاء يتبعه

السيف الذي لا يغمد !

— ومع ذلك فلا تنس ان تقول له ما ذكرت ، وقل لبليقيس ان الضعف لا

يبنى الملك الذي تطمع فيه ..

— ان بليقيس لا تعرف ضعفاً ، ولكن بقاء مولاي الهدهاد في عصف تحت

رحمة الرجلين اللذين اشتراهما وتار ذمر هو الذي ابقى العرش لصاحبه .

قال : يبقى هذا العرش اليوم ثم يسقط غداً !

— اجل يا مولاي وهكذا كان الامراء يقولون قبل خروجي من مأرب وهم

في قصر مولاي شرحبيل ، فأراد ذو مغار عندئذ ان يسبر غور الغوث وجبار

فقال : سنبذل براقش وبينون الكثير من المال ايها الامير .

— وكيف ذلك ؟

— سيرجع الجيش اليوم ثم يتهياً للحرب من جديد وهذا هو البذل .

— ولكن الذي يحارب الملوك لا يسأل عن الذهب ... ان في براقش وبينون

من المال ما لا يوجد مثله في بلاط ذي القرنين .

فقال لنائل : انقل ايها الغلام ما سمعت ، ولتثق بليقيس بان الغوث وجباراً

هما الرجلان اللذان سيرفعانها الى العرش .

فقال جبار : والآن ؟ فأجابه قائلاً : اما الآن فلم يبق الا ان ينصرف الجند.

— اليوم ؟

— نعم اليوم فقد يخطر لعمرى ، عند وصوله الى مأرب ان يرسل الى مغار من يحمل اليه اخبارها .

— وهل تظن ان شرحبيل أراد ذلك ؟

— اجل وهذا معنى رسالته التي قرأت .

فنهض الاميران وهما يقولان : ليبعث الملك من يشاء فهو لا يجد في مغار هندية واحداً بعد هذا اليوم ، وخرجاً ، ثم تبعهما ذو مغار ونائل ، وطافت الغلمان بين الصفوف تحمل امر الاميرين بالرحيل ، في ذلك الليل ، ولم يطلع صباح اليوم الثاني ، حتى كان الجيشان في طريقهما الى براقش وبينون ، ولم يبق في مغار ، غير رجالها الاشداء ، فقال ذو مغار عندئذ لرسول شرحبيل : ارجع انت الآن وقل للامير اني ذاهب اليه ، فانصرف نائل ، وفي تلك الساعة نفسها كان الامير يتهياً للرحيل الى مأرب ، لينظر مع القوم من جديد في امر الحرب .

\* \* \*

٦٦

عندما أصبح الامراء في قاعة العرش ، نهض الملك قائلاً لهم : امكثوا هنا لساعات بعد ساعة ! قالها ولم يتردد في الخروج .

فقال ناشر : ان في خروج الملك الان سرا من الاسرار .

فقال ذو تبع : ليفعل ما يطيب له ولتكن حياته كلها اسراراً فنحن لا نعبأ بما يصنع .

فهم بان يخرج وراءه ليتبين امره ، ففنه الفتى قائلاً :

لا تمازح الاسد يا ناشر فهو لا يحب المزاح . ولكن الملك لم يلبث حتى عاد

وهو يقول لشرحبيल : لقد ثبت لنا الان يا عم - من ناحية واحدة - انك تحب الملك وتطيعه . ولكن بقيت هنالك ناحية أخرى لم نعلم عنها شيئاً .

— ما هي يا مولاي ؟

— سنقولها لك بعد حين !

— بل أسأل مولاي الملك ان يذكرها الساعة لانيث له امام امرائه اني

اشد وفاء له من جميع اليمينين !

— ولكننا سنعرف هذا الوفاء دون ان نسألك .

قال : كلمة واحدة يا مولاي .

فابتسم وقال : يريد الملك ان يسمع باذنه ويرى بعينه ، جميع ما جرى في مأرب وهو بعيد عنها .

— اجمع اهل مأرب كلهم تعلم كل شيء .

قال : لقد جرت بعض الحادثات خسارح مأرب فأتقرب ملياً ثم قال :

يخيل الي اني عرفت ما اراده مولاي . أتأذن لي في القول ؟ — افعل .

فقال : بقيت مغار التي قبل للملك ان فيها اعداء عرشه أليس كذلك ؟

— ثم ماذا ؟

— وقد احببت ان تبعث اليها احد رجالك لترى اذا كان وتار ذمر صادلاً

فيما نقله اليك . فابتسم مرة ثانية ولم يجب .

فقال : ولكنني اقول لك من الان انه كاذب وسيرى رسولك الى مغار ان

صاحبها من اخلف الناس لمولاه !

— اما نحن فنخشى ان يجد فيها جنوداً .

— وماذا تصنع الجنود في ذلك المخلاف يا مولاي؟ أتظن ان شرحبيل المنمره

يجمع جيوشه في ذلك البلد النائي الذي تفصل الجبال والادوية بينه وبين مأرب ؟

وهل يطيب لي يا مولاي ان اجعل انصاري في اقصى اليمن ، وانا اريد ان اخلف

مليكي عن عرشه كما يزعم وتار ذمر ؟ ! اني اسألك يا مولاي ان تجود علي بوجه

لا اسألك سواء .



قال : اسأل ما تشاء .

— اطلب ان يضرب الملك عنقي في ساحة قصره اذا كان في مغار جيش !  
— بل تفعل غير ذلك يا عم . .

— وانا خاضع وراض بما تفعل ، ولكن اذا لم يجد رسولك جيشاً ؟  
فادرك الملك معنى طلبه فقال : نضرب اذن عنق رجل آخر .

فقال : هذا ما التمسه من مولاي الملك فاما ان اموت او يموت وتار ذمر  
الكاذب الذي سعى بي . فالتفت الى ذي تبع وناشر وقال لها : أسمعان ؟  
فقال الحمداني : وهل تعد يا مولاي بقتل وتار ذمر اذا ظهر كذبه ؟  
— لقد وعدنا الان وانتهى الامر .

— اذن لم يبق الا ان يختار الملك كاهناً سواء فهو سيموت .

— اي انك واثق بكل ما يقوله شرحبيل

— نعم يا مولاي فابن عم الملك لا يكون خائناً .

— وماذا يقول ناشر ؟ .

— مثلما قال ذو تبع يا مولاي وأزيد عليه ان وتار ذمر يريد ان يستأثر بنفوذ  
الخلاط ليكون سيد اليمن .

— بقي ان تقول انه يطمع بتاج حير !!

— لقد كرهت ان اقول هذه الكلمة يا مولاي .

قال : كان الكاهن الاعظم ملكاً صغيراً يعيش في ظل ملك آخر هو ذو  
الفرنين افلا يرضى بأن يبقى كما كان ؟

قال : تأبى نفسه ان يظل بدون تاج !

— ولكنه سيلبس تاجاً لم يلبس مثله ملك . . . ثم قال : اتركوه الان فسيأتي  
يوم نحدث فيه بأمر الكهان . . . وقال لشرحبيل : اتأذن لنا يا عم ان نسألك  
عن بلقيس ؟ .

— ان في سؤال الملك نعمة لآل شرحبيل !

قال : انسيت بلقيس انها عاهدت ولي العهد على الوفاء ؟ .

— وهل تستطيع يا مولاي ان تنسى ملكها الذي شرفها بحبه . انها كانت  
تلعن الحبشة التي سعرت نار الحرب وقضت بذهاب ولي العهد الى مهرة !!  
قال : لقد وعدنا ابن ذي القرنين بالزواج وهو ولي عهد ، ولم يعلم انه  
سيعود من مهرة وهو ملك ، وحاول عندئذ ان يكون ملكاً في غرامه فلم يقدر ،  
فقال :

ولكن وصية ذي القرنين تحت ذلك الوعد واكرهتها على الصبر عاماً آخر لم  
يكن لنا رأي فيه ... ماذا تقول يا عم ؟  
— ليس لاجد ان يقول كلمته في هذا الامر غير الملك .  
— ألم تذكر بلقيس هذه الوصية ؟  
— بلى يا مولاي ؛ واذكر انها بكثت عندما نقلت اليها حديث ابيك وكان  
بكاءوها بكاء عاشقة برح بها الغرام !  
فقال في نفسه : لقد صدق هؤلاء في كل ما يقولون .. واطرق ملياً ثم قال :  
لقد رأينا ان ننسى وصية الملك ونزوج بعد شهر فهل ترى انت ما نراه ؟  
— يقدر ان يفعل الملك ما يشاء دون ان يكون لاحد رأي ، ولكني اخشى  
ان تستخف بنا العرب وتقول : لقد انتهك ملك حبر حرمة ابيه !  
— اذن فالملك بفعل ما تراه بلقيس وسنذهب اليها في الليل عندما ينام من  
في البلاط .

قال : سمعتها تقول يا مولاي انها لا تطيق البقاء في مأرب بعد وصية الملك !  
فجعل يتفرس فيه وهو يقول : والى اي بلد ترحل !  
قال : قد يطيب لها ان تسير الى الحجاز وتمكث به سنة .  
— وماذا تصنع في بلاد لا تعرف من اهلها أحداً  
— تزور البيت الذي زرته قبلها مرتين :  
— ولكن نساء العرب لا يفعلن ما تقول .  
— الا تستطيع المرأة العربية ان تسجد لآلهة الكعبة كما يسجد الرجال وتنذر  
لها النذور كما يندرون .

— ومن يذهب معها الى ذلك القطر ؟

— انا والهدهاد يا مولاي . . !

— ولا يبقى في القصر احد ؟

— يبقى العبيد والغلمان ليس غير .

قال : اما الملك فلا يأذن لها في هذا .

قال : اشكر مولاي الملك وأسأله ان يمنعهـا من الذهاب ، فاهتز الهمداني

لهذه الحكاية الجديدة التي لم يذكرها له عتيك ، . . ولكنه لم يشأ ان يقول كلمة

طوقاً من ان يعثر لسانه فيفضح نفسه ، غير ان الملك لم يقف عند هذا الحد ،

بل كان يقول : نصبر عاماً آخر على ان تبقى بلقيس في مأرب ، واما ان ترحل

هنا الى الحجاز فهذا لا نسلم به .

فقال شرحبيل : اريد الملك ان انقدمه الى القصر الان ؟

— لا ، بل تذهب معنا وسيقدمنا احد الحجاب . . . وكان ذلك دهاء من

الملك ، فقد اراد ان يفاجيء بلقيس بذكر المؤامرة وحديث الغرام ، وفاته انها

سيده المتآمرين وان القوم اشد دهاء منه . وقد عرف الامراء ما يعنيه ، فسكتوا

وهم يهزأون ببلاهة التي بطنها دهاء . ثم قال ذو تبع : من هو رسول الملك

الى مغار ؟

— انه معدي كرب وسيترك البلاط عند الصباح .

قال : رسول امين صاجة لا يذكر الا ما يراه .

— وهل يطيق الملك ان يكون في بلاطه غير الامناء ؟ ان هذا الشهر يمر وسترى

بعده كيف ينحي الملك الخونة ويقرب المخلصين . . وامت عيناه فاصبحتا مثل

هفي الذئب . . وارتسمت على جبينه دلائل القسوة الوحشية التي كان يراها الناس

هل جبين ابيه . فايقن القوم بان ظلم الولد سينسيهم ظلم الوالد ، وان صدر ملكهم

الجديد لا ينطبق على عاطفة انسان ! ! ولكنهم كانوا مكرهين على احتمال ما

يرون ويسمعون والظهور بمظهر الاوفياء المخلصين ، وهم الاعداء المتآمرين .

مسكين ملك حمير ، كان غريباً في بيته ، وعدواً بين رجاله . وهو يظن انه

قادر على تقريب الاصدقاء وابعاد الخونة عن العرش ! . وكان واثقا ، كما قرأت ، بذلك الامير الهمداني ثقته بنفسه ، يستشير في شؤونه ويطلعه على اسراره ، و مير همدان اشد اعدائه خطراً وابعدهم عن الوفاء له ! على ان وثوقه بالآخرين الذين حوله ، كان قلقا واضطرابا ، بل كان وثوق الذئب « بابناء عمه » . . بل هو وثوق الرجل الذي يعد جميع المظاهر مظاهر كذب ورياء .

وقد اعمى القدر بصيرته فلم ينظر الى ذي تبع نظره الى هؤلاء ، ولم يقم في ذهنه انه سيد المتآمرين . وكانت نفسه في ذلك الحين ، نفساً ثائرة ! . ثائرة على ابيه ذي القرنين الذي قتل قبله بوصيته ، وعلى وتار ذمر الذي هزأ به ، بتلك الروايات الكاذبة التي قصها عليه ، وعلى شرحبيل بن عمرو الذي جعلته الالهة أها لبليقيس ! وعلى ذلك الغرام نفسه ، الذي يمنعه من ارشال صواعق غضبه الى الرؤوس ، بل كان ثائراً على جميع اليمينيين الذين لا يعدونه الها ، وكانت نفسه ظمأنة الى الدماء . دماء المجرمين ، دماء الارباء ، كأنه يريد ان يبدأ عهد ملكه بالترويع والقتل .

اجل ، لولا تلك العاطفة التي كان يسميها غراما ، لكان في قسوته وحشا ضاريا يفترس كل من يدنو منه ، وليس في ذلك شيء من الغرابة ، بل الغريب ان ذلك انفتى الطائش ، استطاع ان يخفي ما في نفسه ، ويكتم رجال بلاطه ، تلك الثورة التي تجيش في صدره .

كان يبتسم كأن شففيه ألفتا الابتسام . وكان هادئاً كأن الهدوء من طبعه ، واللين شيمة له . !

ولم يخطر لآلهة اليمن ، ان تنزع الحجاب عن ذلك الهدوء الكاذب ليتبين الناس ما وراءه . . . انه هدوء الليث يتحفز للوثوب . . . وانه سيكون يتقدم العاصفة ! . ذلك هو الملك الجديد الذي عصب رأسه بتاج حمير ، وذلك هو اليميني الذي يجلس مع الآلهة على عرش واحد .

لقد قال له وتار ذمر ان شرحبيل وعتيكا يسعيان لينحياه عن العرش ، فصدق اولاً ذلك القول ، ثم تغلل الشك في قلبه . . ثم لمس كذب وتار ذمر

بهديه . . .

ولكن يكفي ان يصبح شرحبيل وعتيك متهمين . . . بل يكفي ان يظن وتار  
لهمر ، وهو يمني ، ان في اليمن رجلا يحسر على التفكير في اغتصاب العرش .  
ألم تكن تلك التهمة الكاذبة من الذنوب التي لا تغفرها الالهة !! وهل يجوز  
في نظر الملك العادل . . . ان يبقى المتهم حيا ، وان يكن بريئا ، لا !! فوتار ذمر  
هيب ان يموت ، وشرحبيل وعتيك يجب ان يموتا !! ثم يبعد ناشر عن البلاط فهو  
لحي لا خير فيه !

ولكن الحكم لا ينفذ بشرحبيل الا عندما تصبح بلقيس داخل البلاط ، وتملأ  
قاعاته أنسا وبهجة !.

واما الآخرون ، فليرحل بعضهم عن مأرب ، وليحصد السيف البعض الآخر  
ولو ثارت اليمن ، تلك هي الفكرة الهائلة التي خطرت للملك عندما قال كلمته .  
وقد امتزجت تلك الفكرة بعاطفة غرامه ، كما رأيت 1 غير ان تلك السحابة ما  
لهت حتى اضمحلت ، ورأى القوم ذلك الجبن المكفهر ، يزهو ويعود الى اشرافه .  
لم سمعوه يقول : ابطيب لك يا امير ظفار ان ترافق الملك الى قصر شرحبيل في  
هذا الليل ؟

قال : افعل ما يأمرني به مولاي الملك .

— ولكن الملك يخشى ان تطعنه بخنجرك من وراء . . . فلأ الرعب قلب  
الرجل وهو يقول : ان الملك يريد ان يمازح عبده واصدق المخلصين له .. أليس  
كذلك يا مولاي ؟

— بلى يا ناشر بلى ، لقد اردنا المزاح . . . ومع ذلك فنحن لا نخافك ولا  
لهالي بما تضرمه لمولاك .

قال : يعلم الملك اني لم افكر الا في طاعته ، ولا اضمر له الا ما يضره  
الجهندي الشريف لقائده البار .. فأوماً اليه بالسكوت قائلاً لشرحبيل : ليق  
لاشر فلا حاجة لنا اليه وليذهب معنا ذو تبع فهو الذي انتقد حياة الملك في الميدان  
والملك لا يطيق ان يفارقه .. لقد جعلناك يا ناشر حارساً للبلاط حتى نعود . . .

اسمع . جعلناك جارساً ولم نجعلك نائباً لنا !! وهذا معناه ان نائب الملك يفكر كثيراً في العرش ونحن لا نريد ان تمتد الافكار الى العروش .! فرفع شرحبيل رأسه وقال : ألم يقل الملك اني بريء مما نسب الي ؟  
— اجل ولكننا نردد قول وتار ذمر الذي سعى بالابرياء .

فلم يشأ شرحبيل ان يجيب بـل كان يقول في نفسه : الويل للرجال الذين يعيشون في ظلك يا ابن ذي القرنين . ثم ذكر الملك حديثه مع امير همدان فقال : انهضوا . فسنزور قبر ذي القرنين قبل ان تغيب الشمس ، فاجابه ذو تبع قائلاً : صبراً يا مولاي حتى يتهيأ الحراس ورجال البلاط .

فقال : بل نزور قبره غداً بعد ان نسمع رأي بلقيس .. ولكن لا ! انذهب الساعة ولنترك الحراس

وتقدمهم خارجاً من القاعة وهو لا يلتفت الا الوراء فتبعوه وقد خفضوا الرؤوس وهم يتبادلون النظرات ، ويبتسمون ابتسامات السخرية والاستخفاف ، حتى جاوز الباب الخارجي ولا موكب له ، ولا حراس حوله ، كأنه رجل من رجال البلاط ذاهب الى الصيد !

وكان القبر وراء القصر ، على قمة تشرف على مأرب من الجنوب ، وحوله طائفة من الحراس يحملون الخراب .

وتلك هي عادة من عاداتهم ، يجعلون الجنود عن جانبي القبر من الشرق والغرب ويقف قائدهم في الجانب الشمالي ، ويبقى الجنوب ممرأ للامراء ، يفعلون ذلك شهراً كاملاً ، ثم يعودون ليناام الملك وحده في حضرتة ، فلما دنا عمرو من الضريح رفع الجنود حراهم الى العلاء ، ثم جثو على ركبهم امام المههم ، والعيون تنظر الى الارض .

فوضع الملك سيفه عند الباب ، كما اثار عليه شرحبيل ، وهامس ذا القرنين قائلاً : نقسم اننا سنغمد هذا السيف في صدور اعدائك وستلقي الرعب في قلوب الرجال الذين يترددون في الطاعة والخضوع لولدك .

والتفت الى الامراء وهو يقول : لقد حلفنا الان يمينا لم يحلف مثلها ذوالقرنين  
هذه قبر ابيه ولا تزيد كلمة .

فهامسه ذو تبع : والوصية يا مولاي ؟  
فقال وقد رفع رأسه : لا نذكر هذه الوصية قبل ان نرى بلقيس . فخاف  
الفتى ان يعدل الملك عن رأيه ، فقال له : خير للملك ان يذكرها الساعة لتردد  
أرب هذه اليمين التي حلفت .

فتناول سيفه وقال : ليس في اليمن كلها من يجسر على ان يقول كلمة ! نحن  
اليوم نفعل ما نشاء رضىت اليمن ام لم ترض . أليس لعمر بن ذي القرنين ،  
هو وارث التبابعة وملك سبا وريدان وحضرموت ، ان يخاطب اياه بما يشاء ؟  
فسكت الامير على غل وقلبه يضطرب في صدره ، اما هو فشئ راجعاً والزهو  
في برديه ، فلم ير القوم الا ان يمشوا مطرقين خلفه ، كما فعلوا عند مجيئه .  
وكان الناظر اليه في تلك الساعة ، يحسبه في عيد .

\* \* \*

٦٧

أملى الدهاء على الملك ان يفاجئ بلقيس في ذلك الليل ، بتلك الزيارة التي  
لم يذكرها لها احد ، حتى انه ابى ان يرسل اليها احد حجابيه كما هي عادة  
العظماء والملوك ، وقبل ان يغادر البلاط وضع يده على كتف ناشر قائل :  
ابق مع عتيك الليلة ولكن لا تتأمر على مولاك .

وهكذا بدأ بالقاء الرعب ، دون ان يكون واثقاً بخيانة رجاله ، ودون ان يشك  
في امين شره الاول ورفيق صباه .

فقال ناشر : الا ترى يا مولاي ان القتل خير لي من هذا ؟ فضحك وقال :  
وهل تظن ان الملك لا يعرف الرجال الذين يستحقون القتل ويستحقون الحياة ؟ .

ابقي .. واحذر ان يمسك سيف الملك عندما يخرج من غمده ! وخرج ولم بأذن له بالجواب ، وكان يمازح شرحبيل وذا تبع وهو يمشي بينهما الى ان امسوا في فناء القصر ، فقال لشرحبيل : قل لاحد عبيدك ان يخبر بلقيس وكان غرضه الا ترى بلقيس اباها قبل ان يراها هو .

ان الشك الذي تشتعل ناره في داخله لا يزول الا اذا سمع كل شيء من فم بلقيس . ففعل شرحبيل ما امره به ورفع صوته مخاطباً احد عبيده : قل لولدي ان مولانا الملك في القصر !

ولكن دهاء الملك المغرور لا يدكر مع دهاء بلقيس ، فلم ينقل اليها العبد خبز وصوله حتى عرفت غايته من هذه المفاجأة ونادت اخاها الهدهاد قائلة : تبياً لاستقبال تبع ! .

ولم تشأ ان تقول للعبد كلمة فقد احست ان حبيبها يرافق مليكه وهذا ما تريد ان تسأل عنه ، ثم ركضت ركضاً الى قاعة الجلوس فראت الملك واقفاً بين اييها وذلك الحبيب ، فتلعثم لسانها بالدعاء له كأن الغرام يعقد ذلك اللسان ، او كأنها لم تستطع ان تدفع تلك الروعة ، روعة اللقاء .

وارتجفت ركبها ملك حير عندما رأى ذلك المظهر الغريب الذي يدل على الجنون بالعشق ! .. ومد يده المضطربة ليهز يدها . ويلس ذلك الهوى الجاري مع دمها ولكنها لم تلتفت اليه ، بل سجدت عند قدميه قائلة : مرحباً بملككم الظافر الذي رقصت لظفره قلوب اليمينين .

فانهضها قائلاً : لقد اظفرتنا بلقيس باعداء اليمين ! وجعل يمدق اليها وهو يكاد يفترسها بعينه .. ثم قال :

أكنت تظنين يا بلقيس ان عمراً يعود من مهرة وهو ملك ؟ فاجابته وهي تبسم : الالهة ارادت ان تنظر الي .. ولكن يكفي انك عدت حيا يا مولاي . ورفعت نظرها الى حبيبها قائلة له : اذكر ايها الامير انك صاحب همدان وقد زرت هذا القصر من قبل مع ولي العهد !

فقال الملك : اصبت يا بلقيس انه ذو تبع الهمداني وهو الذي انقلدنا من



الموت ولو لم يفعل لخسرت حمير ملكها .

فقات : سلمت يد الامير المخلص للملك ، ودخل الهدهاد في تلك اللحظة وفعل كما فعلت اخته ، فأمره الملك بالنهوض ثم جلس وأوماً اليهم فجلسوا وجعل يقول ، وهو لا يعلم ما يقول : يقسم الملك بترية ذي القرنين ان عينه لم تقع على مثل بلقيس ... وخرج غرامه عندئذ من صدره فلأً وجهه وعيابه ، وجعل لصوته نغمة اشد وقعاً في النفس من صوت المزمار .

فقات دون ان تتردد : وانا اقسم برأس ابي اني لم ار احداً يشبه مولاي الملك !.

— ولكن ... قيل لنا انك تؤثرين عليه فتى آخر لا نعرف من هو ! فنظرت اليه وفي عينيها العتاب واللوم ثم قالت : لا اصدق يا مولاي ان ملك حمير نفسه يقول هذا القول .

— ومع ذلك فقد سمعناه ونحن نعيده الان .

— لقد كذب قائله .

— لو كنت تعرفين قائله كما يعرفه الملك لما خطر لك انه من الكاذبين .

— من هو يا مولاي ؟

— هو هذا .. وأشار الى ذو تبع !

فأيقنت انه يعبث بها ، ولكنها تظاهرت بالغضب قائلة : ومتى كان امير همدان يعلم الاسرار ويقرأ ما في القلوب يا مولاي بل كيف يجوز له ان يتحدث بأمر بلقيس وهذا الامر لا يعني غير الملك الذي له وجده ان يسأل عن ابنة همه ...

— ولكن نحن الذي سألناه .

— اذن يأذن لي الملك ان اقول انه من الوشاة الذين لا يطبقون ان يروا المخلصين

حول ملكهم ! فقال له : ماذا تقول يا ذا تبع ؟

— مولاي الملك يتولى عني امر الدفاع ، قالها الامير وهو لا يحسر على الابتسام

فقات : هل تدافع انت عن نفسك وتذكر الان ، ذلك الفتى الذي أثرته انا

على مولاي ..! فتحبر الامير في امره وجعل ينظر الى الملك والملك لا ينظر الا الى وجه بلقيس الذي يطفح جمالا ، غير ان الاميزة لم تسكت عند ذلك الحد ، بل كانت تقول : اما ان يعرف صاحب همدان بأنه كان واشياً او يذكر اسم الرجل .

قال : لا افعل الا اذا امرني مولاي ، فاجابه الملك قائلاً : اسكت فقد علم الملك ما أراد ان يعلم .

قالت : ولكني لا ارضى بهذا .

— اما الملك فقد رضي بما سمع وانتهى الامر ، فأطرقت ، وخيل الى الملك ان الدموع تتلألأ في عينيها الصافيتين ، فقال والفرح بملأ نفسه : اتبكين يا بلقيس ؟

— وكيف لا ابكي يا مولاي وقد بدأ الوشاة ينفثون سمهم ويختلقون الاكاذيب ليعبدوا غني الرجل الذي احببت .

— ان امراء اليمن جميعهم اضعف من ان يغيروا رأي الملك .

— ولكنهم يهكرون الجور والملك ساكت عنهم وهذا يكفي .

— وماذا تريد ان نصنع ؟

— اسأل مولاي الملك ان ينحي هؤلاء الكذبة .

قال : امير همدان بريء وقد نقل الينا رجل آخر ما خبرناك اياه الان وزاد عليه انك تطمعين بالعرش ، وانك أرسلت اخاك الهدهاد الى مغار ليدعو انصار عرشك الى حرثة ، ومنها الى مأرب ليفصلوا بيننا وبين التاج . فامست تلك الفتاة الفتانة لبؤة جرحت عزتها وانتهكت حرمتها ، وجعلت تنظر اليه بعينين ملتهبتين يلمع فيهما الغضب والكبرياء ، ثم قالت : اي عرش هذا الذي اطمع به ايها الملك ؟؟

فقال هادئاً : عرش حمير !

— ولكن عرش حمير لي ... لي انا ... ولا تستطيع فتاة من العرب ان

تسبقني اليه . ! فكاد الملك يفتح ذراعيه ليضمها الى صدره ، ان ذلك الجواب

كان في نظره ، ابلغ وصف للهوى الذي تتأجج ناره في قلبها العاشق ، ولكنه  
لجأه لئسمع من فمها كلمات الحب ، فقال :  
اذن فانت تعترفين بما قيل .

— نعم اعترف بأنني لا اريد ان يكون العرش لسواي ، ولكنني لم اطمع به  
ولم افكر فيه ، بل احببت صاحبه . وطمعت بان اقيم بقصره ، اسمع صوته  
العذب ، وارى وجهه الوضاح كل يوم ، واكون له جارية صادقة مخلصه لا  
فاهلي في حياتها الا بما يرضيه . ، اتريد ان تسمع يا مولاي اعترافاً آخر؟ .. اني  
طمعت بالعرش ، لا لاتربع فيه ، بل لاصونه من اعدائه الذين يكيّدون له ،  
واطرد من البلاط اولئك الخونة الذين لا يحبون الملك الا اذا كانت لهم وراء  
ذلك الحب اغراض وغايات ، وسكتك قليلا وهي ترسل الزفرات ، ثم قالت :  
وكيف تستولي الفتاة مثلي على العرش الحيري اذا طمعت فيه ، أبالجيوش وانا  
في قصر ابي لا جيوش لي ولا قوة ، ام بالسلاح أضعه بين ايدي الجن فتحطم  
العروش وتغتصب التيجان ؟ ان الرجال الذين يسمع لهم الملك لا يصلحون لخدمة  
الملوك بل يجب ان تسفح دماؤهم على مرأى ومسمع من الناس ليهاب اليمثيون  
ملكهم ويعلموا ان الموت جزاء للذين يثمنون ويكذبون .. قتمادى في نجاحه قائلا:  
من هم هؤلاء الرجال الذين تذكرين ؟ .

— لا اعرف احداً منهم غير صاحب همدان المائل بين يديك . ! اليس هو  
الذي قل لك ان لي جيوشاً في مغار ؟

— لا ، بل خبرتنا اعظم رجل في اليمن بعد الملك هو وتار ذمر سيد الكهان .  
— بل قل ايها الملك سيد الكذبة .

— ولكن الا تذكرين لنا غاية الهدهاد من ذهابه ؟

— بلى اذكرها .. انها غاية رجل شريف امره ابوك الملك بان يهـ لمل كل

ماله في سبيل الاخلاص له ، ففعل .

قال : كفى لقد صدقنا الان والويل لكاهن مأرب .

— ولكنني اريد ان اقص عليك حكاية الهدهاد .

— لقد قصها علينا هو نفسه وقصها سواها ، فأخذت تهز رأسها ونقول :  
هذه اول خطوة بخطوها بعض المقربين الاندال . اني خائفة يا مولاي .

— تخافين ماذا ؟

— ان يسعى بي وبأبي وتار ذمر مرة اخرى فتضيع حياتي وحياته ، واستغل  
من غرامي الموت ، كما يموت المجرمون .

— انت ؟ . نعم انا ، فالذي قدر ان يصرف عني وجه الملك في المرة الاولى  
يقدر ان يوغر صدره علي في المرة الثانية .

— بـ هو اعجز عن ذلك يا بلقيس . لقد قال لنا كلمة لا يستطيع ان يقول  
سواها بعد الان وسيعرف الملك كيف يجازي الخونة ويكافيء المخلصين ، ثم هم  
بان ييوح لها امام القوم بما يجول في صدره ... ثم تردد في امره ، ولم يشأ ان  
يتأدى قبل ان تشرح له هواها ويسمع من فمها نغمت ذلك الهوى ، فقال  
لشرحيل : يريد الملك ان يحدث بلقيس حديثاً لا يسمعه احد ، فنهض القوم  
فخرجوا وقد خلا الجو للاثنتين ، فقال : ايطيب لك الان يا بلقيس ان ننظر في  
امر الزواج ؟

— قالت : لينس الملك اليوم هذا الزواج اذا شاء . . — لماذا ؟

— لان اباك ذا القرنين اوصى بان تموت عواطف العاشقين في هذا العام . .  
ورفعت يدها لتمسح دموعها الكاذبة .

فايقن في تلك الساعة ، بانها بكت ، عندما نقلوا اليها خبر الوصية كما قالوا له ،  
فأجابها وهو يتسم : ذو القرنين يوصي ، وعمرو يمحو وصيته .

— ولكنك لا تقدر يا مولاي فوصية الملك امر تلفظه الالهة كما تعلم وكل كلمة  
يقولها عند موته تقدسها العرب .

— غير اننا لغضب الالهة والعرب اذا رضيت بلقيس ولا نبالي .

— مولاي ؟ .

— نعم ان رضى بلقيس قبل رضى الالهة .

— وهل تأمر بان يكون الزواج بعد شهر ؟

— بل نأمر بان يكون الليلة ، بل الان ، فقولي كلمتك .  
فقالت في نفسها : لقد انت الساعة التي نستاثر فيها بارادة هذا المغرور وعقله  
لم قالت له : أما انا فلا اريد الا ان اصبح زوجة لك .  
— ومتى تريدن ذلك ؟

— اريده الساعة ... وصبغ دم الخجل وجنتيها ، ثم اخفت ثينك الوجنتين  
بهديها وجعلت تقول: ويل لي لقد اغضبت آلهتي ونسيت نفمي .. لا يامولاي.  
التي لا اريد الا ما اراده ابوك .. فلتكن مشيئته وليخنتني غرامي في صدري عاماً  
كاملاً ولو كان وراء ذلك القبر .. فحاول ان يجيب ، فاسكتته قائلة :  
لا ترد يا مولاي بلقيس لا تستطيع ان تغضب آلهتها وتجعل ملكها مضغة في  
الهواه العربان .

— ولكن الملك لا يعبأ بهذا كما قلت لك الان ، فلترقد تلك الوصية في حفرة  
ذي القرنين الى الابد .  
— بل تجعل تنفيذهها فاتحة ملكك ليقول الناس ان ابن ذي القرنين طعن قلبه  
بهده ولم يشأ ان يغضب روح ابيه .

قال : ليس لي طاقة على الصبر يا بلقيس . فهزت رأسها قائلة : وماذا تفعل  
بلقيس اذن ؟ ان هذا الغرام الذي تضطرم ناره في الاحشاء ليس في صدر عاشق  
شيء منه .. انه غرام قاتل يا مولاي تمر الايام والاعوام وهو باق لا تغيره  
الحادثات ، ومع ذلك فسأصبر .. كما يصبر الظمآن يحف الماء من حوله ، وكما  
يفعل اليائس من حياته ، عندها يجور الزمان .

فخدع الملك . ومن لا تحدعه تلك المظاهر الخلابه ، تعالجها فتاة مثل بلقيس  
لقال : اتخميننا يا بلقيس مثل هذا الحب ونحن لا نعلم ؟.

— وهل حسبت يا مولاي ان حبي يشبه حب اولئك الرجال الذين قربتهم  
الك قبل ان تتربع في العرش ؟. الا تعلم يا مولاي ان بلقيس اذا احبت ذاب  
قلبها مع هذا الحب وبذلت نفسها في سبيل الحبيب ؟.  
قال : ان قلباً تحف في هذه العاطفة لا يستطيع ان يصبر .

— ولكن عظمة الملك ومجده قبل عاطفتي ، ولا تلمع العظمة ، وبتلالاً المجد ،  
الا اذا احترم ملك حبيب وصية ابيه .

قال : العام اطول مما تظنين .

قالت : تقدر يا مولاي ان تقضي ايامه باللهو والصيد حتى يذهب ، فتبسم  
لنا الحياة التي يعبس وجهها اليوم .  
— وانت ؟

— اما انا فقد كنت منذ ايام بين عاملين ، عامل الشرف وعامل الغرام ، وقد  
انتصر شرفي على غرامي ، الآن .. لقد كدت انسى ، في هذه شرف مولاي ،  
فأرضى بأن أؤلف اليه وتداس ارادة ذي القرنين ، ولكني عدت الى نفسي ،  
وخطرت لي تلك الفكرة القاسية ، التي خطرت لي ليلة اغمض الموت عيني ابيك  
العظيم ؟

قال : ما هي ؟

فقالت وهي تتنهّد : هي ان ارجل عن مأرب .  
فلعر الملك وقال : لقد سمعنا اليوم من شرحبيل هذه الكلمة .. أترحل بلقيس  
عن مأرب ويبقى الملك فيها ؟

— بل ترحل والملك راض ، وكأن بلقيس لا وجود لها في اليمن !

قال : هذا حديث لا يريد الملك ان يسمعه .

قالت : لقد نذرت للآلهة يا مولاي وانتهى الامر .

قال : يظهر ان الالهة لا يطيب لها الا ان تتصدى للملك في غرامه كأنها لا نجد  
في اليمن احداً سواه .

— وما حيلة بلقيس في امر لم يكن لها فيه رأي ؟ لقد اراد ابوك ان اشقى  
عاماً كاملاً فليكن ما اراد وليس للملك ان يمنعي من الاستسلام الى امر فيه  
حياتي وهناؤه .

— لا يهنا الملك الا بالقرب من بلقيس .

— سينقص هذا القرب عيش الملك ، اني لا اطيق ان ابقى في مأرب وانا لا

استطيع الدخول الى البلاط .

— ولكن الملك يجيء كل يوم الى قصر بلقيس .

— وهذه هي اللوعة والالم يا مولاي ، اتريد ان اراك ساعة ، في كل يوم ،  
تمجيك جدر البلاط عن عيني ساعتين ؟ ام تريد ان تقضي ايامك كلها في قصر  
شرحيل وانت ملك اليمن الذي لا ترحل الوفود من بابه ولا يستطيع ان يترك  
قاعة جلوسه الا اذا جن الليل ، اعلم يا مولاي اني سأعيش بالذكري ، وانا بعيدة  
هناك ، وسأعزى بذرف الدموع حتى يمر العام فأعود اليك .

وكانت في تلك الساعة ، اعظم عاشقه عرفتها التواريخ .. النار على خديها ..  
والغرام في عينيها .. وألحان الحب الكثير الفياض تخرج من شفثيها .. فتستهوي  
العاشق المغرور .. واما عمرو ، فلا يستطيع قلم الوصاف ان يكتب عنه شيئاً ،  
لقد كانت حاله حال ملك يحدو بتاجه ليسمع كلمة ، ويبدل ملكه في سبيل تلك  
الساحرة التي جعلته اسير الهوى .

وقد احس في ذلك الحين ، انه ملك لا سلطان له ولا قوة ، بل احس انه عبد  
ذليل خاضع لبلقيس ، حسناء اليمن .

اجل ، ان ذلك الملك الجائر ، الذي تغذي نفسه فكرة الانتقام ، والذي  
يلتهب صدره عطشاً الى الدماء ، كان بين يدي بلقيس غلاماً سهل المراس ،  
مستسلماً الى عاطفة الحب الذي يخفق عليه قلبه ! ولكنه اراد ، على رغم ذلك  
الاستسلام ، ان يثبت وجوده بالاصرار على القول انه لا يأذن لها في الرحيل .  
غير ان بلقيس لم تعبأ باصراره ، بل كانت تقول : سأذبح في هذا العام ثمة  
ذبيحة للآلهة ليبقى الملك لي .

قال تستطيعين ان تفعلي ذلك وانت في مأرب .

— بل اذبح ذبائحي وانا عند كعبة العرب في مكة !

قال : لا تنسي انك من النساء ، والقوم في الحجاز لا يأذنون لنسائهم في  
الدخول الى الكعبة .

— لا يجسر القوم على ان يمنعوا النذور .. ومع ذلك فقد سمعت غير مرة

ان بعض نساء العرب يرافقن ازواجهن الى البيت .

قال : في مأرب هيا كل واصنام !

— ولكن لا يطيب لي الا ان اسجد عند قدمي هبل .

— واذا منعك الملك من الذئاب ؟

— خير له الا بفعل لانه اذا لج في طلبه خسر بلقيس !

قال : اتعاهدبنا على الرفاء ثم تنكثين العهد ؟

— لا يا مولاي ولكني اقتل نفسي وانا وفية فتخسرني الى الابد .

— وما الذي يدفعك الى هذا ؟

— بدفعني اليه امران ، اولهما اني لا اطيق فراقك لحظة واحدة وانا قريبة

منك ، وثانيها اني نذرت .

قال : لنعلم الآلهة هذه الوصية التي تفصل بين حبيبين .

— اما انا فاقول : لتبارك الآلهة هذه الوصية التي تحفظ لملك حمير شرفه

وشرف آباءه ، اسمع يا مولاي الا تريد ان تكون بلقيس زوجة لك ؟

— لا زريد غير ذلك .

— اذن دعني اذهب الى حيث اشاء ، لتغمرك الآلهة بفيض من النعم ،

وتجلس على العرش طاهر العرض عالي الجبين .

قال : نخشى ان تذهبي فيتغير الملك على جميع من حوله من الرجال والغلمان .

— لماذا يا مولاي ؟

— لانه ظمآن الى الدماء وهذا الوجه الفتان وحده ، يحمد الزار التي تحرق

حشائه .. فنظرت اليه ، فاذا عيناه مخضبتان بالدماء .. فدبت قشعريرة الخوف

في جسم بلقيس .. ان عاشقها نمر شرس يلبس ، في غرامه ثوب انسان . . .

ولكنها ابتسمت قائلة : ومن هم الذين حولك يا مولاي ؟ هم ذو تبع امير همدان

الهام الذي اراد ان يحول وجه الملك عن بلقيس .. وامير ظفار الذي كنت اسمع

من قبل انه اصدق الامراء في خدمة ولي العهد ، وعتيك بن روضة الذي قضى في

بلاطك الاعوام ساكتاً هادئاً لا يقول كلمة .. ووتار ذمر الذي شرفني بتلك



التهمة الغريبة تهمة طمعي بعرش الملك . هؤلاء هم الرجال الذين هم وزراء الملك . اعوانه .. ولكن لا ، فقد بقي معدي كرب وعبد شمس اللذان لم ارهما وجهاً . اذن فليتغير الملك على جميع من ذكرت فاذا لا ابالي ، بل ليقتل منهم من يشاء وليبق من يشاء الا ابي الذي ارجو ان تحفظ حياته ، كي لا تزف بلقيس الى لائل ابيها فتقول العرب انها الفتاة التي لا كرامة لها ولا شرف .. نعم يا مولاي لك ان تضع النطع في ساحة مأرب وتطرح بين يدي الجلاد امرء اليمن كلهم واحداً بعد واحد .. بل لك ان تملأ السوق جثثاً ، وتجري الدماء حول قصرِكَ انهاراً ان كل هذا لا يغير بلقيس ولا يبعد هذا القلب عن الملك قيد ذراع ... وجعلت تحديق اليه وتقول : اجل اشرب دماء اليمنيين يا مولاي .. وكن سفاحاً نهاب اليمن ان تنظر الى وجهه ، واتزع اكتاف الابرياء كما فعل سابور الفارسي . بل ابن القصور من حاجم البشر وارفع أبراجها الى السحاب ان كل هذا لا يمنع بلقيس ابنة عمك من ان تبقى لك ... فاشرق جبين الملك لهذا الاعتراف البليغ الصريح الذي املاه الغرام ، ثم ارتجفت شفاته .. ثم نسي نفسه ... فجثا على ركبتيه وجعل يقبل ثوبها كما تقبل الرعية ذيل رداؤه .. فـتراجعت الى الوراء قائلة : مولاي الملك ماذا تفعل .

قال : نجتو عند قدمي الحبيبة الساجرة ملكة حمير ، ونخضع لها كما نخضع لنا اليمن .. فخافت ان يتأذى في وصف غرامه .. فقالت له : انهض يا مولاي فالملك لا يسجد لجاريتيه ولا يخفض رأسه الا لتاجه الذهبي الذي تركه له التبابعة العظماء .

قال : انك يا بلقيس أعز علينا من التاج ..

— انهض يا مولاي فقد يمر بالرواق احد الغلمان ، فيرى سيد اليمن يخاطب هديته وهو ساجد لها ..

قال : سأدع صاحب همدان وشرحيل فأقول لهما : انظر ماذا يفعل الحب بالملوك ...

— : ولكن الملوك لا يبوحون بحبهم لجميع الناس بل يعترفون به في ساعات

تشبه هذه الساعة .، وكانت متحيرة في امر هذا الملك الذي تعقب عاطفة غرامه ، عاطفة انتقامه ونجيء مظاهر انسانيته ، وراء مظاهر الوحشية التي تتجلى في وجهه وعينه . ثم قالت : اي رجل من رجالك يستحق الموت ؟ وهي تريد ان تعلم جميع اسراره قبل ان يخرج من القصر .

فنهض عندئذ ، وقد تجهم وجهه ، واختفى غرامه ، واخذ يقول : سلبداً بوتار ذمير الكاذب الذي استخف بسيده .

— اُتقتله يا مولاي .

— أجل ، وكما تقتل العبد الخائن الذي يزعم اركان العرش .

قالت : لانتس ان في البلاط طوائف كثيرة من الكهان ، يتبعها جيش من أبناء اليمن هم انصار له ، فضحك ضحك الساخر الهازئ وأجابها قائلاً : ان اليمن كلها ، لا تستطيع ، اذا اجتمعت ، ان تقف في وجه عمرو بن ذي القرنين . — يكفي ان تستبدله بسواه وتبعده عن البلاط .

— بل يزيد ان نقذف بكل خائن الى هوة الموت لننشر الدعر في الاقاليم ونملأ قلوب الناس خوفاً ورعباً ؟ قمادات في الدماء قاتلة : الا يهب لي الملك حياة هذا الكاهن ؟

فقطب حاجبيه وقال : نفعل على ان تنسي مكة وتوافقني الملك في قضية الزواج .

— لو كان الامر في يدي لما ترددت في الطاعة .. اني لا استطيع ذلك يا مولاي .

— والمملك لا يستطيع ان يهب لك حياة وتار ذمر .

— وماذا تصنع بعد أن ينتهي امره ؟ فقال يهدوء : نعد الى عتيك بن روضة  
فنضرب عنقه .. فأجابته بمثل هدوئه دون ان يطرف لها جفن : وهل خان  
عتيك الملك ؟

— قالوا انه خائن وهذا يكفى .

— كذلك قيل لك يا مولاي ان بلقيس وأباها يخونان .

قال : ليس لعتيك جمال مثل جمال بلقيس ، وثغر مثل ثغرها . . . فعرفت ان غرام ذلك العاشق غريب في نوعه ، فقالت : اذن قضى عليه يا مولاي .  
— نعم وليس هنالك من يمنع سيف الملك من السقوط على رأسه ، ثم قال : وفي البلاط رجل آخر يستحق الموت . . ولكن الملك يذكر ان هذا الرجل كان خادماً له .

— من هو يا مولاي ؟

— امير ظفار .

فرددت : امير ظفار ؟ انه من اقرب الناس الى صاحب التاج .

— لقد كان كذلك قبل ان يصبح عمرو ملكاً .

— قلت لك يا مولاي ان جميع الناس يقولون عنه انه اشد اخلاصاً للعرش

من جميع الامراء المقيمين بالبلاط .

— لو كان صادقاً لما تأمر مع ذي القرنين وتار ذمر على شرحبيل الذي هو

والد بلقيس ، ولما سلح بالاشتراك مع عتيك ، يد الغلام عباد ، ليقتل بلقيس نفسها

في ظلام الليل

— اما انا فقد عفوت .

— واما الملك فقد عفا عن حياته ، ولكنه لم ينس ذنبه ، فخير له ان نسلبه

امارة ظفار ، ونطرده من اليمن ، من ان يموت .

قالت : بل الموت خير من هذا .

— وكيف يهاب القوم ملكهم ويخشون غضبه ؟ ان السيف وجده جزاء الخونة

فليشكر امير ظفار ملكه على هذه النعمة .

قالت : والآخرين يا مولاي ، وخفق فؤادها خوفاً على ذي تبع .

فقال : ليس بين الآخرين من يخون الملك . . . ان معدي كرب وعبد شمس

كانا في طليعة الجيوش التي هزمت الحيشة ، وصاحب همدان كان رفيقاً للملك في

ساحة القتال وهو الذي انقذه من السيف .

— ولكنه نمام وانا اخافه على غرامي .

— قلنا لك بريء وقد اردنا بما ذكرناه عنه ، ان نعبث به ٠٠ آه يا بلقيس  
ان امرأه اثلا يشغل بال الملك ولكنه لا يحسر على الماضي فيه .  
قالت : ابن ذي القرنين لا يخاف شيئاً .

— بلى ، فهو امر يقشعر له جعم بلقيس ويضطرب له القلب ! فبذلت جهدها  
كله لتخفي مظاهر الرعب والبغض وقالت له :

لقد عرفته يا مولاي . ان الملك كان يفكر في قتلي قبل ان يجيء الى هذا  
القصر . ولكن يجب ان تعلم يا مولاي اني استلذ الموت اذا كنت راضياً . ولا  
خير في الحياة اذا غضب علي الرجل الذي اعيش لاجله .

قال : اتظنين اينها الحبيبة ان الملك يطعن قلبه بيده ؟ اننا لم نفكر قط فيما  
تقولين ولم يخطر لنا الا ان نعد لك تاج الملك .  
— اذن ماذا ؟

— خطر لنا ان نرسل عمنا شرحبيل الى الهوة التي يسبقه اليها وتار ذمر ،  
فخيل الى بلقيس ان ارض القاعة تنحدر الى الاعماق ، اجل ، ان تلك الفكرة  
الهائلة التي خطرت للملك الظالم خطرت لها من قبل ، وكانت تخاف ان يلجأ عمرو  
الى السيف قبل ان تراه ، فتخسر اباه . وتضيع الامل الذي عللت نفسها به :  
ثم اصفر وجهها وتمتمت تقول : أقتل ابني يا مولاي ان شئت فاجسام اهل  
اليمن وارواحهم للملك ولكن ضع جثة بلقيس عند جثته فهي تؤثر الموت بعده  
على البقاء ساعة واحدة . آه يا مولاي ، ان في قتل شرحبيل سهمين يخترقان  
قلب الفتاة التي تخاطبك الان . سهم الردى الذي يصرعه ، وسهم الهوى الذي  
يخنق غرامي ويبعدني عنك . نعم يا مولاي ، يموت شرحبيل بن عمرو كما يموت  
سواه ، ولكن .. لا ذنب له ، ولا ذنب لهذا الحب الذي لم يبرز فجره حتى  
خنقه الملك الحبيب بيديه ، ثم داسه بتعليه !

وكانت تحاول في تلك اللحظة ، ان تجعله مرة اخرى ، انساناً . . له شعوره  
وعاطفته . وساعدها الحظ في ذلك فقد سمعته يقول :

نقسم بتاج حمير ان شرحبيل سيبقى ولكن دون ان يكون له مقعد في البلاط

ودون ان يكون له رأي في شؤون الملك .

قال هذا وهو واثق بانه ارضى غرامه .

فاكتفت بلقيس بما سمعت ورفعت يديها الى السماء تسأل الآلهة ان تصون  
عرش الملك وتحفظ حياته . ! ثم خطر للملك ان يعود من جديد الى ذكر مكة  
وكان يفكر في ان يمنعها من الرحيل ، ثم يخاف ، اذا فعل ، ان تقتل نفسها كما  
قالت ، فتحرمه الاقدار اجل فتاة عرفتھا العرب ، في ذلك الجيل ،

فقال : والآن قد عولت على الرحيل أليس كذلك ؟

— نعم يا مولاي ارحل مكرهه كأني ذاهبة الى الموت .

— وكأن في هذا الرحيل موت الملك . ومتى تذهبين ؟

— بعد شهر يا مولاي ، اي بعد ان يطمنن الملك ويرى حول عرشه الرجال

الامناء الذين لا ينمون ولا يكذبون !

قال : نهب لك من الان غلامين من غلمان البلاط يذهبان معك الى مكة  
ويكونان عوناً لك على قضاء الحاجات ، فخافت ان ترفض هذه الهبة فيسوء  
ظنه فاجابته قائلة : سأذكر مولاي كلما نظرت الى غلاميه .

— ونعطيك الاموال لتبذليها لخدام الكعبة وتذبجي الذبائح الكثيرة كما تفعل  
الملكات ، فكرهت ان تأخذ ماله ثم تخونه . فقالت : لا احتاج الى شيء من  
هذا يا مولاي .

— وهل كان ذو القرنين محتاجا الى مال شرحبيل عندما امره بان يحسن الى

جابر بن مفرق ؟

— كان يمتحن في ذلك اخلاص ابني يا مولاي ، اما انت فقد امسيت واثقا

باخلاص بلقيس وحبا للذين ليس لهما جد .

— ومع ذلك فنحن نريد ان نخلي الباب القوم بما تبذلين ليعرف اهل

الحجاز ان الفتاة التي تعطي بدون حساب ستصبح ملكة الحيريين .

— التمس من مولاي ان يبقي ماله لابتناء قومه . ان البذل يطيب لي ولك

هندما أزف اليك .

— عندنا مال نبذل منه كل يوم دون ان ينقص ، وماذا تقولين يا بلقيس اذا خطر للملك ان يزور البيت في هذا العام ؟ فذعرت قائلة : اتريد ان تفضحني بين العرب يا مولاي ، وهل يخرج الملك العربي الاكبر الى الحج مع فتاة ليسه زوجة له ؟ انك لا ترضى بهذا وليس من الرأي ان تزور الكعبة قبل ان يمر العام الاول على جلوسك في العرش .

قال : تسبقينا الى مكة ثم نتبعك اليها والناس لا يعلمون شيئاً .

قالت : لقد عمدت الى السفر كي لا اراك وانت تحاول ان تلحق بي الى حيث اذهب ... كأنك تريد قتل الفتاة التي اذابها هواك .. لا يا مولاي ، اني سأبتعد عنك عاماً كاملاً لا ترى في خلاله وجه بلقيس ولا تقع عين بلقيس على الملك . فقال في نفسه والفرح يملأ قلبه : فقد اذابها الغرام كما تقول وهي تطمع بان تبرد الغليل بالبعد والاسفار .

ثم قال لها : ليكن ما تريدن ولكن الملك لا يعلم كيف يستطيع العيش وانت بعيدة عنه .

قالت : ليتعلم من هذه العاشقة كيف يجب ان يصبر . وكانت بدورها تقول في نفسها : هنيئاً لمن هو بعيد عنك ايها الظالم السفاح ، وسكتا قليلاً وهما يتبادلان النظرات ، وقد قال في ذهنه . ان بلقيس « اذابها الغرام » لا تلبث حتى تعدل عن الرحيل وتسلم اليه .

ثم قال : ليرجع القوم الان فسنحدث عننا بما جرى .

— اتقول له يا مولاي انك تريد ان تقتل من حولك ؟

— لا ، بل نقول له ان وصية الملك سننفذ كما هي وكما ارادت بلقيس ، واصدر أمره برجوع شرحبيل والاميرين ، فأقبلوا ، وصاحب همدان ينسم ابتسامة اليأس الذي منعه الاقدار من ان ينظر الى حبيبته ويسمع نغمات الحب وقلب بلقيس يكاد ينقطع لوعة وغراماً .

• • •

لقد ارادت بلقيس يا عم ان يكون الزواج في العام المقبل كما أراد ذو القرنين  
لعل موته .

فقال شرحبيل : ومولاي الملك ؟.

— وأراد الملك ان يتم القول الذي تقوله ملكة حمير ... ولكنها قصت علينا  
حكاية ذلك النذر الذي ذكرته لنا ونحن في البلاط وسترحل الى مكة بعد شهر  
وهذا ما لا نحب ، فجعل صاحب همدان يصني الى حديث الملك وقلبه يرتجف  
لي داخله ... ان ذلك الفراق الفجائي معناه القضاء على امله اذ لا يستطيع ان  
يكون بعد الان من الصابرين .

اما شرحبيل فكان يقول : مُر بلقيس بان تبقى يا مولاي وتقي بندرها في  
هام آخر لانه لا يطيب لي ان احج في هذا العام .

قال : لقد انتهى هذا الامر فلنتظر في أمر آخر ... ماذا تعلم عن صاحب  
مغار يا عم وما هو رأيك في صاحبي براقش بينون ؟.

فأدرك الاميران الشك يدب في صدر الملك ، فقال : أي امر يريد مولاي ان  
اصفه له ؟

— يريد ان تصف له اخلاص هؤلاء للعرش !

قال : اصف لك الماضي يا مولاي فقد كان ذو مغارب بعيداً عن ابيك ذي القرنين  
ولكنه لم يضم له قط ما يضمه الامير الخارج عن الطاعة .

— وما هي اسباب هذا البعد ؟

— لا اعلم يا مولاي فقد بقيت هذه الاسباب سرّاً بين الاثنين .

— ولكن ذا مغار لم يكن يزور البلاط ولم زه قط في مجلس الملك مع امراء  
المخاليف الذين كانوا يجيئون من جميع الاقطار .

— اصبت يا مولاي وهذا هو البعد الذي ذكرت .

— وكيف كان ذو القرنين ساكناً عنه ؟  
 — أسألني ابن ذي القرنين نفسه عن هذا وهو اعلم مني ، باغراض ابيه  
 الملك واسرار ملكه ؟  
 — نعم نسألك عن هذا لاننا نعلم ان ذا مغار احب الناس اليك .  
 قال : اعترف يا مولاي اني احب ذا مغار ولكن هذا الحب لم يكن مهنيّاً  
 على غاية لاحدنا بل يرجع عهده الى زمان الشهاب الذي قضيناه في مأرب ، وفي  
 جهال اليمن ، نصيد الحيوان والطير .  
 — وماذا تقول عن حاضره ؟  
 — لا اقول غير كلمة واحدة هي انه سيكون اقرب الناس الى مولاي الملك  
 واصدق الاشراف في الخضوع له .  
 — وكيف يقولون انه سيمحمل لواء العصيان ؟  
 قال : اضرب يا مولاي عنق شرحبيل عندما يحمل ذو مغار هذا اللواء .  
 — اذن تضمنه يا عم وانت غير خائف ؟  
 — اجل يا مولاي ، واطمن قومه ، وكل من ينتمي اليه .  
 قال : انسمعين يا بلقيس ؟  
 — نعم يا مولاي ولم يبق الا ان يثق الملك بما سمع .  
 — ولكن نخشى ان يضيع رأس شرحبيل بعد حين .  
 قالت : لو لم يكن ابي وانقأ باخلاص ذي مغار لما اقدم على هذا . ان بلقيس  
 نفسها تضمن جميع الرجال الذين يضمنهم ابوها وتضع عنقها تحت سيف الجلاد  
 اذا خان احدهم الملك .  
 قال : وماضي الغوث وجبار .  
 فقال شرحبيل : اما الغوث فلا اعرفه كما اعرف ذا مغار ولكني اعلم ان اهاك  
 قتل اثنين من سعد براقش دون ان يسأله فعد عمل الملك استخفافاً به وبقومه .  
 قال : اريد ابن راهط ان يشاوره الملك كلها حكم على مجرم بالموت ؟ انه  
 اذن شريكاً له في تاجه وليس له الا ان يجلس معه على سرير الملك .



— لقد كانت هذه عادة ابيك يا مولاي .

— ولكنها عادة لا نرضاها ولا نريد ان يرفع احدهم رأسه الا اذا اذن له

الملك في رفعه .

فدت بلقيس اصبعها قائلة : لا اظن ان بين ملوك العرب واحداً يرضى بمثل ما كان يفعل ذو القرنين أ يكون الملك في بلاطه مقيداً بارادة امراء العشائر المنتشرين في الاقاليم ؟ لا يا مولاي انك اذا فعلت ذلك طمعت بك العرب وقال الناس عنك ان الملك الذي يخاف قومه ولا يحسر على المضي في امر له الا اذا وافقوه فيه . وكانت غايتها ان توغر صدره ، فيثور ، وتتناقل الافواه المحار ثورته فيكثر خصومه .

فارتسم الغضب على جبينه وقال : نقسم بتاج حير انه اذا خطر لاحد الامراء ان ينقل من بلده الى بلد آخر بدون اذن الملك كان الموت جزاء له .

فنظرت بلقيس الى حبيبها وابتمت له ابتسامة خفية كأنها تقول له : ان ملكاً يقول هذا القول لا يثبت التاج على رأسه .

ولكن ذا تبع ، كان في تلك الساعة ، ذاهلاً عن كل ما يجري حوله ، وقد القل بقلبه وروحه الى مكة التي سترحل اليها بلقيس ، وهو يعد شهور العام التي ستمر دون ان يرى فاتنة له .

ثم تبادى الملك في غروره فقال : سنصبر الان على جفاء هؤلاء الامراء ثم ننظر في امرهم بعد ذلك ، فضمن شرحبيل الفوث وجباراً كما ضمن ذا مغار وهو يقول : سيري مولاي الملك ان هذا الجفاء لا وجود له .

قال : لا يزول جفاؤهم حتى يطرحوا سيوفهم على قدمي ملكهم الجديد ويعاهدونه على الخضوع والطاعة .

— وهكذا سيفعلون يا مولاي .

قال : احذر يا عم فالملك لا يعفو اذا خدعته !

— لقد جعلت رأسي رهناً وانا غير مكره .

— اذن لا بد من الصبر شهرين اثنين حتى يقدم اصحابك ويقسموا يمين

الاخلاص .

— بل يقدمون بعد شهر ، اي قبل ان نرحل الى الحجاز واني موجه اليهم رسولا عندما يطلع الصباح .

— افعل والويل لهم اذا عمدوا الى العصيان ، وكان الليل قد ذهب نصفه ، فقال بلقيس : لقد رأينا الان ان نفي بالندر ثم نعود الى قضاء العام في مأرب حتى تم وصية الملك .

— سأفعل ذلك اذا لم يستطع هذا القلب ان يصبر على الفراق .  
فقال : قلب العاشق لا يعرف الصبر ... ونهض وهويكاد يفترسها بعينه .  
اما هي فقد عجبت لذلك الهدوء الذي أبداه في حديثه معها وعهدها انه الفتى الطائش الذي يستحل كل شيء ، واستطاعت ان تهامس امير همدان وهو يتبع الملك قائلة له : لن اذهب الى الحجاز ، وستنقل اليك غداً جميع الامرار .  
وخرج الملك من القصر ، وهو يفكر في تلك الحسنة الساحرة التي جعلته أسير الهوى ، ويلعن في سره ، وصية ذي القرنين .

\* \* \*

٦٩

انه ملك مجنون يامولاي ... ولولا هذا الغرام الذي نخلج عاطفته في صدره ، لكان جنونه اجدى عجائب الزمان .

فأجابها ابوها قائلاً : وماذا نصنع الآن ؟

— خير لنا ان ننصح لعنتك ونأشر بالفرار من بلاطه ، ونرجل نحن عن مأرب لننتهياً للحرب من جديد ! .

— ولكن الى أين ترحلن يا بلقيس ؟ لقد قلت للملك وانا في قاعة عرشه ، كما قلت له الان ، انك ستحجين مكة وانا لا اصدق انك تفكرين في هذا

الحج ؟ ...

— سنذهب الى مغار يا مولاي ونقيم بها حتى تأتي ساعة الملك !

— ولماذا لا نبقى في مأرب الى ان تأتي هذه الساعة ؟

— لاننا لا نستطيع ان ندعو اليها رؤساء العشائر والمملك يسمع ويرى ...  
ولان هنالك أمراً آخر اشد خطراً مما ذكرت .

— وما هو هذا الامر ؟

— هو ان هذا المجنون سيعمد الى سيفه بعد قليل فيضرب رقاب بعض  
الرجال الذين حوله ، ويبعد البعض الاخر ، سيتغير على جميع الناس وقد يتغير  
هل بلقيس !

— ومن اين لك ان تعلمي ما يحول في صدره ؟

— لقد باح لي بما في نفسه ، وسيكون وتار ذمر اول رجل تزهق روحه ،  
تحت سيف الجلاد !

— اذن فالمملك يساعد بلقيس في امرها وهو لا يعلم .

— بل يرضي قسوته ويبرد غليله بالدماء .

— وبعد وتار ذمر ؟

— يجيء دور عتيك بن روضة فيضعه في حفرة تجاور حفرة الكاهن الاعظم ،  
ثم يسلب ناشر امارة ظفار ويقذف به الى قطر غير القطر اليمني ، فاستولى  
الدهشة على شرحبيل وجعل يقول : لم تر العرب قط مثل هذا الجنون ؟

— ولكن الامر لم ينته عند هذا الحد ، فقد كان يفكر في قتل شرحبيل نفسه  
وجعل بلقيس بعد ذلك القتل زوجة له !

— ثم عدل عن رأيه ارضاء لزوجته ؟

— نعم ، على ان يلزم شرحبيل قصره بعد زواج ابنته دون ان يكون له  
الحق بدخول البلاط .

قال : انها نعمة لا اغمطها ولن انسى فضل مولاي الملك . وماذا يحدث اذن  
للك المسكين صاحب همدان ؟

— لقد انقلبك الاية يا مولاي فاصبح ذو تبع اميناً لسره وموضع ثقته ، بعد ذلك الاخلاص الذي اظهره له في حرب الحبشة فانا لا اخاف الملك عليه ، ولا اظن ان يد يده بسوء اليه .

— وهل يرضى هذا الامير العاشق ان تهتدي عن مأرب ؟

— لقد رضي الملك بذلك ، وهو صاحب العاطفة الوثابة ، والشعور الوحشي والغرور الذي ليس له حد ، وجسبي هذا .

قال : اخشى ان يعمد الى ما لا تريدن .

— ماذا ؟ أيقتل نفسه ام يفر من البلاط ؟ انك ستقول له كل شيء وانسا واثقة بانه سيستسلم الى مشيئة الاقدار . ثم قالت : ولكن يجب ان يحذر الملك ويخاربه في هواه .

ولم تشأ ان تصف لايها ، تلك اللوعة التي تسود فؤادها المضطرب ، وذلك الالم الغريب الذي يتمزق له الصدر .

فقال شرحبيل : وفي اي يوم يفر عميك وناشر ؟ ففكرت قليلا ثم قالت : يبقى عميك حتى يهدرج رأس وتار ذمر ، ثم يعمد الى الفرار في ظلام الليل لاهجاً الى مغار لانه صاحب رأي ويجب ان نستشيريه في كل امر . . . اما ناشر فليبق فلا خوف عليه ، وليخرج من البلاط بعد ذلك طريداً مغضوباً عليه ، وليقم باي بلد شاء .

— واهل ظفار ؟

— يأمرهم سيدهم منذ اليوم ، بان يتحفزوا للوثوب ، وينهضوا لحل السيف عندما يرد عليهم امر شرحبيل بن عمرو .

قال : بقي امر آخر لم اسألك عنه .

— هات يا مولاي ؟

— كيف نستطيع الوصول الى مغار دون ان يعلم الملك ؟

فضحكت قائلة : تلبس بلقيس ثوب رجل ويلبس ابوها واخوها ثياب اهل نهامة ، ثم يسيرون في طريق الحجاز مع عبيدهم وغلامي الملك يوماً كاملاً تضع

بعده الاثار ...

— واي شأن لغلامي الملك ؟

— لقد وهب لي اثنين من غلمانه يرافقاني الى مكة .

فاستغرب شرحييل امر تلك الهبة ، اما هي فاستطردت قائلة : ولكن هذين الغلامين لا يصلان الى مغار بل يموتان في واد مظلم لا تبصر ارضه نور الشمس ! قال : لنفرض ان واشيا من اهل مغار انفسهم خبر الملك اننا مقيمون بين قومه في ذلك الخلاف فماذا يصنع ؟

— يرسل من يدعوننا اليه فنقول : لا نرجع حتى ينقضي العام .

— واذا ارسل جنوده ؟

— تقتل اولئك الجنود وتدعو الملك الى البراز في مغار .

ولكن نسيت يا مولاي ان ذا تبع باق في البلاط وانه سيبحث الينا كل شهر باخبار مليكه ، مع غلماننا الذين تتركهم في مأرب ، لهذه الغاية ، فاشرق جبينه وقال : لقد وثقت الان بالنصر فسنكون في مغار احراراً نروح ونجيء ونجمع الالباع والانصار ، ثم ذكر حديثه مع الملك ، فقال :

لقد نسيت اني وعدت الملك باستقدام ذي مغار والاميرين الاخرين .

اما انا فلم انس ، ان ذا مغار سيصل مع نائل بعد ايام وسرسل غداً غلاماً آخر يدعو ابن راهط وابن دوير .

ولكني احشى ان يقتل الملك الامراء الثلاثة .

قالت : لقد امسيت كثير الظنون ، وكثير الخوف يا مولاي !

قال : اخاف ثورة الهجانين يا بلقيس . فلمعت عينها وهي تقول : سترى

اليمن ان ملكها المحنون في يد بلقيس تعبت به كيفما تشاء ، عندما تشاء ...

وخرجت من القاعة وهي تحاطب نفسها قائلة : صبراً ايها الحبيب ولو جار

القضاء وطال الزمان .

\* \* \*

خرج رسول شرحبيل عند الصباح حاملاً امره الى الغوث وجبار ،  
 وخرج شرحبيل نفسه من قصره ذاهباً الى البلاط ، ليقص على انصاره ، تلك  
 الحكاية الغريبة التي قصها الملك على حبيبه ، وكان وتار ذمر قد سبقه اليه ، فهش  
 له الملك وأجلسه عن يمينه ، وهو يمازحه ويسمعه كلمات التكريم والاحترام .  
 وكانت الوفود تتبع الوفود ، الى ذلك القصر العظيم الذي هزأت آثاره الباقية  
 الى اليوم ، بالاعوام ، والاجيال ، وتوار ذمر لا يعلم شيئاً ، ولكن نفسه كانت  
 تشعر من حين الى حين ، باضطراب لا يعرف اسبابه ، ولو استطاع ان يقرأ  
 سطور الحكم عليه ، تلك السطور الحمراء المكتوبة في صدر الملك لفاضت نفسه  
 وهو عند العرش .

اجل ، كان يحس ان الملك لم يطمئن الى الحديث الذي حدث به وهو في مهرة  
 وقد حاول غير مرة ، ان يثبت له صدقه فيما رواه ، فلم يأذن له ، غير ان القلق  
 الذي يستولي عليه من اجل ذلك ، كان يضمحل عندما يتسم له مولاه تلك  
 الابتسامات الكاذبة التي تخدع الناظرين ، وكان يقوم في ذهنه ، ان عمرأ لا يعرف  
 الدهاء ، وان مظهر وجهه ، صورة لما في قلبه ، وهذا ما يحمله على الرجاء فلما  
 وصل شرحبيل ، مد الملك يده اليه وهو يقول :

اجلس وحدث الوفود بما يطيب لك لان الملك يريد ان يخاطب الكاهن الاعظم  
 بأمر لا يعني سواه .

فقبل الامير تلك اليد المقدسة الممدودة اليه وجعل يستقبل الناس ويحدثهم باسم  
 الملك والملك لا ينظر الا الى كاهنه ، وكان عتيك بين القوم ، وقد ايقن بان الحديث  
 الذي يدور بين الاثنين ، حديث قتل جديد ، وجرائم ودماء .

ثم لم يلبث حتى رآهما ينظران اليه نظرات الغضب والاستهزاء .  
 فخفق قلبه ، وأخذ يقول في نفسه : يظهر ان ساعة عتيك بن روضة قد

دلت الان .

ثم ذكر قول امير همدان : ان الملك لا يريد قتله ، فهدأ قلبه الخافق ، وارخى لظفره الى الارض بصغي الى اقوال الرجلين .

ولكنه لم يستطع ان يسمع كلمة لانها كانا يتهاامسان .

غير ان شرحبيل سمع الملك يلفظ اسم عتيك ، ورآه يتسمم لذلك الاسم ابتسامة هربية معناها القضاء على صاحبه ، فلم يبال بما رأى وسمع ، بل كان يتسمم بدوره لوفود الناس ، وبينها وفد ظفار ، ويسأل رؤساءها عن حاجات قومهم وامير همدان يكتب هذه الحاجات .

وكان الملك غير موجود ... الناس يدخلون ويخرجون وهو لا يخاطب أحداً ولا يلتفت الى احد ، حتى غضب القوم لكرامتهم الجريحة واستغربوا هذا الاستخفاف .

وقد ظهر ذلك الغضب على وجوه اهل ظفار ، وهم اشرافه ان يدكروا ذلك لاميرهم ناشر الجالس بين الامراء فأولماً اليهم ينهاهم عن الكلام ، واستطاع ان يهامس احدهم قائلاً :

سأراكم بعد ساعة خارج البلاط .

وظل القوم يروحون ويحيثون كما رأيت ، حتى وقف الحجاب بالباب يقولون : لقد انصرفت الوفود ولم يبق في الرواق أحد يريد الدخول .

فنهض الملك عندئذ قائلاً : ! اكنثوا هنا فقد يجيء وفد آخر . وتقدم وتار ذمر الى قاعة الشراب ، ثم لحق بهما عبد شمس .

فقال عتيك وهو يخفض صوته : الملك وكاهنه يحفران القبور للابرياء .

فاجابه شرحبيل قائلاً : بل يحفرانها للمتأمرين على الملك واوليهم انت !

فقال ذو تبع : لقد وعدني الملك بانه سيعفو عن عتيك ولو لمس ذنبه بيديه ،

اما وتار ذمر فسيموت .

— ثم يموت عتيك وراءه .

— ولكنه كان صريحاً في وعده وعفوه .

فجعل شرحبيل يقول : لقد قال لك انه سيعفو ، ثم قال بلقيس في الليل الماضي انه سيقتل . فلا نستطيع الا ان نصدق قوله بلقيس لانه قول ملك عاشق لا يكتم حبيته الاسرار .

واعاد عليهم حديث الملك كما روته له ابنته ، ثم نصح لعتيك بان يهرب بعد قتل وتار ذمر ، ولناشر بان يبقى خوفاً من ان يسيء الملك ظنه بلقيس فتسوء العاقبة .

فاسود وجه عتيك في بادئ الامر واطرق بفكر في امره ، ثم انطلق لسانه فقال لهم وعيناه مملعتان : كذب الملك فابن روضة لا يقتل كما يظن ثم قهقهه ضاحكاً كأن ذلك الملك يدعوه الى شرب الخمر .

اما ناشر فلم يعبأ بما يضمرة له مولاه بل كان يقول : يطردني ابن ذي القرنين من هذا الباب فارجع الى اليمن من الباب الاخر وشهر في وجهه السيف .  
واما ذو تبع فكانت نفسه حزينة حتى الموت ، لانه سيبقى في بلاط الملك وحده ، ولو بقيت بلقيس في مأرب لكان الامر .  
زكان شرحبيل يحادثه بلسان بلقيس ويبعث الى قلبه الامل والرجاء .

\* \* \*

٧١

مرت ايام ، كان الملك فيها يشرب الخمر مع امراء قصره كل مساء ، وكان ناشر يسقيه ، فقد تغير على حاشد ، بعد ان اصبحت ملكاً ، ليس لذنوب جناه ، بل لانه لم يكن يثبت على امر ، حتى امسى حاشد في القصر رجلاً لا شأن له .  
ألم يكن عمرو ، وهو ولي عهد ، يعد عبد شمس ومعدى كرب جاسوسين لاييه قبل موته ، ثم وثق بهما بعد موته وجعلهما اقرب الناس اليه .  
لقد عرف رجال البلاط ملكهم وخبروه ، فهم لا يستغربون مظهراً من



مظاهره الكثيرة ، ولا يبالون بما يرون .

لبينا هو يشرب ، استأذن الحجاب لمعدي كرب الذي رجع من مغار ، في ذلك المساء .

فقال لهم والكأس في يده : ادخلوه فنحن ننتظر وصوله ، فدخل الرجل وسجد له فقال : اذكر كل ما رأيت الان دون ان تخفي شيئاً . ماذا رأيت في مغار ؟

وكان شرحبيل في القاعة ، فقال لمعدي كرب : رأيت اهل مغار يحرقون ارضهم وليس في ذلك الخلاف رجل واحد يحمل سلاحاً ، كما قيل لك ! فشرب كأسه قائلاً : واين اولئك الجنود الذين سيحرقون الى خربة ومنها الى مأرب ليخلصوا الملك عن العرش ؟!

فأجابه شرحبيل قائلاً : لقد ابتلعتهم الارض يا مولاي .

قال : بل ارتفعوا الى الغمام ... اين وتار ذمر اللعين بل اين كاهن ظفار سرح أبين ؟ .. ان الملك يريد ان يرى الاثنين في هذا الليل ، وكان ناشر قد أوصى اهل ظفار بما يجب ان يفعلوه بعد ان يطرده الملك ، ودعاهم الى الهدوء ، فقال : لم يصل سرح أبين الى مأرب يا مولاي ، فخرج من صدره صوت يشبه زفير الاسد وسمعه القوم يقول :

ولكنه سيصل غداً او بعد غد .

ثم وقفت الفاظ اخرى ، هم بان يقذف بها .. عند شفثيه ... فلأناشر قدحه وتاوله اياه ، فخرج ما فيه قائلاً : وهل خطر لك يا معدي كرب ان ترى ذا مغار ؟ .

– اجل يا مولاي ولكني لم اراه بل رأيت ولده غالباً .

– وبأي امر حدثته ؟ . سألته عن ابيه فقال : انه في ارض له وشيذهب بعد

رجوعه منها الى مأرب ، ليظهر خضوعه للملك حمير !

– أغالب قال ذلك ؟

– نعم وقد اردت ان اخذعه بقولي له : لقد ابصرت جيشاً خارجاً من مغار

وذاهباً الى حرثة فهزأ بي قائلاً : انه اذن جيش من الجن يظهر لك ويستخفي عن عيون الناس .

— وكان ياسر موجوداً ؟

— قيل له اني في قصر اخيه ، فأقبل يرحب بي ، ويسألني ان امكث بمغار ريثما يعود اخوه .

— وتلك المخاليف التي مررت بها ؟

— مثل مغار لا سلاح فيها ولا جيش ؟

فقال : لقد اكتفينا بما سمعنا فاجلس واسقه يا ناشر فقد طابت الخمر ...  
وأما اتم فاشربوا جميعكم اذا اردتم ان تشاركوا الملك في افراحه ! ونظر الى ذي تبع فقال له :

قم ايها الهمداني واذهب الى قصر عمنا شرحبيل وقل لبلقيس ان معدي كرب قد عاد وان وثار ذمر أكذب الناس . فنهض الفتى وهو يشكر الخمر التي اسكرت مليكه واملت عليه ان يعهد اليه في قضاء ذلك الامر .

وخروج وهو لا يدري في اي مكان يضع قدمه .. حتى دخل القصر ووقعت العين على العين ..

وأي قلم يصف الان لقاء الحبيين .

لقد كانت ساعة قصيرة ، شكا فيها الحبيب غرامه ، الى تلك الحبيبة القاسية التي حجب طمعها وطموحها ذلك الهوى المبرح ، عن عيني امير همدان .  
ركادت بلقيس تضع بين الشكوى والنجوى ، ثم عادت الى نفسها وقصت عليه كل شيء ، ثم سألته أن ينصرف قبل ان يظن الملك الظنون ، فخرج ، وهو يظن انه يبكي ، ولكن الدموع لم تظهر في عينيه .

وكان الملك قد ارتوى من الخمر ، فلم يسأله عما فعل ، بل نهض متثاقلاً ومشى يريد حجراته وتفرق القوم ، ولم يحسر شرحبيل على ان يحدث انصاره ، خوفاً من معدي كرب وعبد شمش اللذين هما على غير دعوته .

\* \* \*

كان القضاء الغادر ، الساخر بجميع الناس ، يدفع الملك من الوراء ، بيديه  
الاثنتين ، ليدخرجه عن العرش .

ان صفات الملك الحبري ، لم تكن صفات ملك يحبه شعبه ، ويفديه بالروح ،  
هندما يحور الزمان

اجل ، كانت الايام تمر ، وهو يزداد عطشاً الى الدماء وميلاً الى القسوة ،  
والظلم والجفاء ، كانوا يقولون له : هذا رجل سرق بغل جاره ، وهذا آخر  
لطم جندياً من جنود الملك على خده . فيعمد الى السيف دون ان يسأل الرجلين  
من الذنب ، او يبحث عن الامر ، قاتلاً لجلاده : اقتل الاثنتين لئلا يرى الدم جارياً  
هل ارض هذا الرواق .

واذا نطح ثور احدهم رجلاً ، او عجز يميني عن دفع بعض ما عليه لبيت  
المال ، فصاحب الثور وهذا العاجز يستحقان القتل ، لا يشفع لهما احد بالنجاة !  
حتى انتشر الذعر في كل بلد ، واضطربت الافكار الحرة ، واثارت النفوس  
الابية ، ولكن ... وراء الجدران .

وبلقيس ! اما بلقيس فكانت توغر صدره على رعيته ، وتنفخ فيه ، بقوة  
الدهاء وقوة الغرام ، روح التشفي والانتقام ، وهو الملك الصعب الشديدمراس ،  
مع كل الناس ، والرجل الضعيف العاجز مع ابنة عمه الفاتنة المحاسن ، الخلاصة  
الجمال .

ولم يبق لاميير من امراء البلاط نفوذ ساطان ، بل لم يبق لاحدهم ظل ، مع  
ظله ، ووجود مع وجوده ، كأن اليمين كلها ملك له ، الاجسام والارواح  
والمال ، بين يديه الحديديتين .

وذلك كله باغراء بلقيس التي كانت تقول له كلما اجتمعوا : اريد ان تكون

أيها الحبيب ، إله اليمن الأكبر ، لا تسقط شعرة من رؤوس أهلها إلا بامرك . !  
وسمع الملك واطاع ، وتغللت الثورة في النفوس .

• • •

## ٧٣

لم يجرؤ سرح أبين كاهن ظفار ، في بادىء الامر ، على المجيء الى مأرب ،  
ليمثل بين يدي الملك ، انه لم يكن يعلم ما الذي يريده مولاه ، من دعوته اياه ،  
الى البلاط .

بلى لقد اراد من قبل ان يرأس وفد المهثين ، ويكون اول الهاتفين بمدح  
مليكه العظيم . ولكنه عدل عما هم به ، عندما بلغه الامر القاضي بسفره .  
ثم اوصى وفد ظفار ، بان يستشير ناشراً في ذلك ، فدعاه ناشر مرة اخرى  
الى التعجل في المجيء . ولم يترك بلده الا بعد ان رجع الوفد .

فلما وصل الى البلاط ، لم يأذن له ناشر في ان يراه ، بل طلب اليه ، ان  
يستأذن على الملك ، قبل ان يرى احداً . وكان الملك بين حظاياه ، فأقبل والغضب  
على جبينه وقال له : أنت سرح أبين أيها الكاهن ؟

- نعم يا مولاي .

- لماذا لم تحضر وقد دعوناك ؟

- كنت اذبح الذبائح للآلهة لتبارك الملك !

فاشرق ذلك الجبين المكفهر والتفت الى حجابها قائلاً :

ليحضر وتار ذمر الساعة وليحضر الامراء ، ودخل القاعة واوماً اليه بالدخول  
مخفق قلب المسكين من الخوف وجعل ينظر الى هانبيه لعله يبصر أحداً فيسأله  
عن الذنب الذي جناه ، ورأى الملك مظاهر خوفه ، فابتسم وقال : قل لنا الان

من هو الرجل الذي يصلح لامارة ظفار بعد ناشر ؟ فلم يدر المسكين ماذا يقول .  
هدير أن الملك أعاد سؤاله وزاد عليه : لقد نحينا ناشرأ عن الامارة ونحن نريد ان  
نستبدله بسواه .

فقال : ان في ظفار ابن عم لناشر .  
— لا تذكر لنا ابناء عمه فقد قضي على هذا البيت !  
فتردد قليلا ثم قال : وفيها ذرعة بن حهاة وهو احد الاشراف الذين نهايهم  
ظفار .

— أكان في الوفد الذي جاء الينا منذ ايام ؟  
— نعم يا مولاي وكان من رؤسائه .. ولم يقل كلمة أخرى ، لان الامراء ،  
وهل رأسهم شرحبيل كانوا قد دخلوا ، ثم دخل بعدهم وتار ذمر ، وقد اصفر  
وجهه عندما ابصر سرح ابيين ، ولكن ، لم يقم في ذهنه قط ، كما علمت ، ان  
الملك ، وان يكن اظلم الملوك ، يحسر على ان يستخف به .  
فبدأ الملك حديثه قائلا لشرحبيل :

اتعرف سرح ابيين يا عم ؟  
— نعم يا مودي كما اعرف معظم قومه .  
— وهل تعلم لماذا دهاه الملك ؟  
— لا يحق لاحد من امراء اليمن ان يعلم ما في نفس الملك .  
— دعوناه ليجتمع مع وتار ذمر ففري ايها افضل لكهانة اليمن !  
فجحظت عينا الكاهن الاعظم وأخذ يقول :  
اريد مولاي الملك ان يعزلي عن الكهانة وقد ورثتها من ابائي وخدمت آلهتي  
خسة عشر عاما لم انكث لابيک عهداً ولم اخلفه ما وعدت ؟  
قال : اخفض صوتك ايها الكاهن وخبرنا من جديد كيف ارسلت عباداً  
لفعل بلفيس ، امينة ولي العهد .

— ابوك الذي ارسله !  
— ولماذا لم تفعل كما فعل عتيك وناشر ؟

- لاني لم اخن مليكي ولم أأمر عليه وعلى ولي عهده .
- انذ كر بعد هذه المؤامرة وقد رأيتها حكاية كاذبة اخترعتها نفسك ؟ .
- قال : لا تعجل ايها الملك فهؤلاء هم الكذبة وقد استطاعوا ان يخفوا الاثار قبل رجوعك من ميدان الحرب .
- ولكنهم لم يعلموا انك ستفضحهم وتسعى بهم ! .
- قال : لقد خطر لي خاطر يا مولاي ارجو ان تنظر فيه .
- انها اذن حكاية اخرى يا وتار ذمر .
- لا يا مولاي .. خطر لي ان ذلك الفتى الذي سمع باذنيه حكاية المؤامرة في مهرة ، كان ايضاً من المتآمرين !
- وبلك من هو هذا ؟
- الا تذكر يا مولاي ان صاحب همدان كان في خيمتك عندما مثلت بين يديك ، ولم تشأ ان تأمره بالانصراف ؟؟ . انه شريك هؤلاء وهو الذي أرسل اليهم ليخفوا جميع الاثار .
- فابتسم الحمدي ابتسامة استخفاف ، ونظر الى مولاة ، اما الملك فقال :
- كانت غاية هؤلاء ان يقتلوا الملك او يخلعوه عن عرشه كما تقول ، أليس كذلك ؟
- نعم يا مولاي .
- وكانت هذه الغاية نفسها ، غاية ذي تبع ؟
- نعم .
- قال : كذبت فلو كانت هذه غايته يا لعين لتخلي عنا عندما هوى سيف القائد الحبشي فوق هذا الرأس ، ولما اقتحم الموت بصدرة لينقذنا منه ، فخانت الالفاظ وتار ذمر وترددت في حلقه .
- فقال الملك : دلنا على امر واحد يثبت هذا القول .
- قال : لقد سمعت كل شيء - ورأيت كل شيء ، قبل ان اذهب الى عجف ، ثم الى مهرة ، ولكن الملك لم ير بعد رجوعه شيئاً مما ذكرت ، فقام في ذهني ان امير همدان جذر القوم كما قلت .

فهز رأسه قائلاً : ولكنك لم تذكر لنا في مهرة ، ان ذا القرنين وامراه  
وانت منهم ارادوا قتل شرحبيل وبلقيس !

— لا يا مولاي لم افعل هذا ... لاني ...  
— لانك ماذا ؟

— لاني رأيت الا ابوح لك بهذا الامر الا في مأرب .  
— ومع ذلك فقد رجعتا اليها ولم تبج بشيء الا عندما سألتناك .. والتفت الى  
اميته وهو يقول : انها تهمة توجه اليك يا ذا تبج .  
وكالت عيناه تحتلجان كأن الشك تغلغل في نفسه .  
فقال : ليس لي ان اقول كلمة يا مولاي فقد دافع الملك عن عبده بما يعلم عن  
ماضيه ، وبما يراه في حاضره .

قال : اصبت فانت البريء بين هؤلاء ، قل يا وتار ذمر اين وضعت مالك  
الذي جمعته من اليمن ؟

— ويريد الملك ان يسلبني مالي ؟

— بل نريد ان نعيده الى خزانة الهيكل التي تمد يدك اليها في كل حين .  
فكره وتار ذمر — وهو سيد الكهان الذي كان ذو القرنين نفسه يستشير به في  
اموره — ان يستسلم الى الضعف فقال : ولكنه مالي ايها الملك .  
— وهل تستطيع ان تملك شيئاً ايها اللعين والمملك لا يريد ؟ قل اين خبأت  
او نهدم القصر الذي جعلته مثل قصر مولاك .

فعمد الى الاستعطاف فقال : اذكر يا مولاي اني كنت اقرب الناس الى  
ابيك ، بل اذكر اني حملتك على ذراعي وانت طفل ، وان ابي كان يدعوك  
ابن الاله .

— لا نذكر غير امر واحد هو انك اردت ان تقتل الفتاة التي ستجلس على  
هرش حمير ، ثم رحت تسعى بها وبابيتها بعد ان نجيت من الموت .

قال : اقسام بتربة ذي القرنين ورأس الملك عمرو اني كنت صادقاً فيما رويته  
لك ! ونحن نقسم بشرف التاج الجبيري انك كاذب .. اصمم لقد ولينا مرح أبين

منذ الان امر الكهانة الاولى في اليمن، ووهبنا له قصر ك . وارضك واموالك وجميع ما هو لك دون ان يبقى لآ لك شيء مما جمعت في حياتك !  
فسجد سرح ايين قاتلا : اني لا استحق هذه النعمة يا مولاي .  
ولكن النار اشتعلت في صدر الكاهن المغضوب عليه وجعل يقول : لا تقدر ايها الملك ان تنزعني من منصبي لان آبائي لم يأخذوه من آباءك بل ورثوه كما ورثت ملكك .

— اذن تبقى لك كهانتك على رغم الملك ايها اللعين .  
— قال : للكهان وحدهم ان يولوا سيدهم ويعزلوه .  
— ولكنك قلت الان انك ورثت هذا الخلد الذي يحيط بك .  
— اجل ، فقد اراد الكهان ان اكون وارثا له !  
— اما نحن فسنفعل ما يطيب لنا ولا نبالي بآرثك .. ادخلوا ايها الغلمان ..  
وقد تحول هدوء الملك الى جنون . بل قل رجع الوحش الى طبيعته !  
فدخل الحجاب ، فقال : قيدوا هذا الرجل الذي يعد نفسه من الملوك ...  
قال : احذر يا عمرو فستغضب اليمن لكرامة كاهنها وستندم بعد ايام على ما فعلت ، فقال : قيدوه فهو يهذي كما ترون .  
فالتفت الكاهن الى الامراء قاتلاهم : لقد كنت اميناً فقتلت ، وكنتم خونة فنجوتم من الموت ، ولكن الزمان لا يصفو لاحد في ظل هذا الفتى المجنون الذي يقتل انصاره ويبقي على اعدائه ... وقال للملك : اما انت فتستطيع ان تقتل الان ثم يقتلونك بعد ذلك .

فنهض الملك وهو يتميز غيظاً ويدها ترتجفان ، واوماً الى الحجاب بان يخرجوه الى الرواق ويخرج الامراء خلفه . ثم مشى ساكناً لا ينظر الى شيء ووتار ذمر يلحن تلك الساعة التي اظهر فيها اخلاصه للملك لا يعرف الوفاء ، حتى توسطوا الرواق الكبير الذي يؤدي الى جناح الملك فقال : عليا بالجلاد ، وليحضر من سكان البلاط من يشاء .

فهامس عتيك ناشراً قاتلا له :



سيتنهي امزنا غداً او بعد غد كما انتهى امر وتارذمر ، فقال ذو تبع : وسيجيء  
هور امين سره الذي يقول انه احب الناس اليه وأقربهم الى قلبه .  
قال : الى الرحيل ، قال : مهلاً وسننظر الليلة في هذا الامر .  
وكان الجميع مطرقين الا الملك الذي كان يروح ويحيى ، حتى ان الكاهن  
الذي يرى الموت بعينه ، لم يشأ ان يزيد على ما قاله كلمة واحدة فقد احب ان  
يموت كما يموت الابطال .

وجاء الجلاذ .. واطلت الجوارى والغلمان ، ثم خرج عا شد الى احدى  
الشرفات ينادي بأمر الملك : لقد قتل وتار ذمر خائن العرش .  
فأقبل القوم حتى ملأوا الرواق ، وكان الموت قد بسط جناحيه وفصل رأس  
الكاهن العظيم عن جسده !

ووقف الملك يقول : يا اهل مأرب : انظروا الى هذا الكاهن القتل واعلموا  
ان كل من تحدته النفس بخيانة الملك يقتل مثله ... ثم قال لحراسه :  
احملوا جثته الى السوق ، ثم ادفنوها عند المساء خارج السور فليس في ارض  
مأرب موضع لقبر الخائن ، وفي لحظة واحدة فعل الحراس ما امرهم به ، وحنى  
للقوم رؤوسهم عندما سمعوا ملكهم يلفظ خطاباً القصير .. ثم تفرقوا ، والثورة  
في النفوس .. واللوعة في القلوب ، وهم لا يعلمون ما هو ذنب ذلك الكاهن الذي  
كان رأسه ثمناً له .

وعند المساء ، سدل الستار كأن وتار ذمر لم يكن موجوداً ، ولم يبق غير  
لواجح الاسى والنار المضطربة في الصدور .

\*\*\*

أصبح سرح ايبين بين ليلة وضحاها سيد الكهان .. ولكنه كان يعلم انه عبد الملك القاسي الذي لا يجسر ان يخطو خطوة واحدة بدون اذنه ، بل كان يعلم ان كهانته اسم لا سلطان لها ولا نفوذ ، وان الاقامة بظفار ، عند هيكلها الجليل الصغير ، خير من الاقامة بمأرب عند هيكلها العظيم العجيب !

كان في ظفار حراً ، فصار في مأرب اذل من عبداً ! وكان سيدقومه فاصبح محادماً للملك ، فليت الملك لم يجد بعطفه ولم يخصه بنعمته ورضاه ، وماذا يفعل سرح ايبين بغد الان ؟ ايفر ، وسيف الملك يتبعه كالظل ، وطوائف الناس بيا به ؟ ام يسأل مولاه ان يولي سواه وليس بعد ذلك السؤال غير الموت ؟

خير له ان يبقى ، ويخضع لمشينة الاله القوي القادر على كل شيء ... بل خير له ان يستسلم استسلاماً تاماً الى الطاغية الذي لا يلين ... حتى تخاف الآلهة الحادثات، وتجد بالفرج .

ذلك ما قاله له ناشر عندما انصرف من البلاط الى قصره الجديد .

وانت ترى ، ان القدر كان يخون الملك في كل ما يفعل ، فان كاهن ظفار الذي رفعه الى المنصب الاول ، أصبح عدواً له ومن المتآمرين عليه ، الذين يرغبون في خلعه عن العرش ، لقد جرب الملك ان ينام ليلته فلم يقدر ، ليس لان شبح الكاهن القتل كان ماثلاً أمام عينيه ، بل لان الشك في جميع رجاله ملأ نفسه ، حتى انه استلذ في آخر ليله ، فكرة رهيبة هائلة ، هي القضاء على كل امير في البلاط ، ما عدا معدي كرب وعبد شمس ، أجل ، وكان يستعيد في ذهنه تلك الكلمة التي قالها . وتار ذمر في قاعة الجلوس : ان ذاتي بماشي المتآمرين .

فالويل اذن للذي تبع اللابس لباس المخلصين !

ولكن لماذا أنقذه في الميدان ؟ بل لماذا كان خادماً له في مهرة ، يعالج جرحه ،

ويسهر على حياته ، وهو قادر على قتله في ظلام الليل ؟

ان وتار ذمر يكذب حتى عند الموت .. !  
ومع ذلك ، فليس له ان يفكر في قتل هذا الهمداني ، الا اذا شاور بلقيس !  
أليست هي التي تغذي حقدته ، وتوغر صدره ، وتدفع وحشيته الى صفك الدماء ؟  
أليست هي التي أرادت ان تجعله الها ، مستبداً ، قاهراً يحيي ويميت بكلمة واحدة  
تلفظها حفتاه المقدستان .  
اذن فلينظر في امر هذا الخائن الجديد ، على مهل ، بعد ان يشاور ابنه عمه  
صاحبة السلطان !  
وتعب ملك حمير من التفكير .. فأغض عينيه عندما بزغ الفجر ، وظل نائماً  
حتى استيقظت مأرب ، وطلعت الشمس .

\*\*\*

٧٥

في تلك الليلة نفسها ، خرج ضرجيل وعتيك من البلاط ليقصا على بلقيس  
حكاية ذلك الحادث الذي سيهز اليمن .  
وكانت تعلم من قبل ، ان وتار ذمر سيموت في ذلك اليوم ، فلم تستغرب  
حكايتهما ، ولم تختلج في صدرها تلك العاطفة الراقية عاطفة الرحمة والاشفاق ..  
ولكن ، عندما خبرها عتيك بتلك التهمة التي وجهها الكاهن الى صاحب  
همدان ، تجمهم وجهها وجعلت تقول :  
هذه هي الريبة تدب في صدر الملك ، وهي لا تزول حتى يزول امير همدان  
من الوجود !  
قال : ولكن يد بلقيس توقف يد الجلاد عند رأسه .  
— وهل تريد ان ادافع عن ذي تبع ليلتهب صدر الملك بنار شك جديد تحرق  
احشائه وتثير جنونه ؟

— وماذا تصنعين اذن ؟

فأطرقت ، ثم اصيبت بذهول غريب نسيت معه العرش والتاج ، واليمن ، وكل ما على الارض من عظمة ، وطموح ، وعز . فخيل الى عتيك انها نسيك لنفسها فقال :

أتستطيعين يا مولاتي ان تنزعي الريب من نفس هذا السفاح ؟ فصحت من ذهولها قائلة :

— لا ، فانا أخشى ان انتزعه اليوم ، ثم يعود فجأة الى تلك النفس ، في ساعة سوداء تذهب بعدها حياة الحبيب .

— اذن لم يبق الا ان نترك البلاط الليلة ، على ان نلتقي في مغار ، بعدشهور ، او بعد اعوام !

— الليلة يا عتيك ؟

— نعم يا مولاتي فقد نستفيق عند الصباح والجلاد في الرواق .

فهزت رأسها وهي تقول : ولكن الى اين ؟

— اقسم لك اني لا اعلم الى اين نذهب . اترين ان نلجأ الى جابر بن مفروق صيد مذبح في اسفل نجران ؟

— لا ، فنجران بعيدة وبينها وبين مغار مراحل وايام .

— اذن نسير الى مغار نفسها فنمكث بها حتى نرحلوا اليها جميعاً .

قاله : لقد ضيعت الرأي ايها الامير .. الا تعلم ان الملك سيوجه جنوده عند الصباح الى مغار التي قيل له انها ملجأ اعدائه .

— وفي اي مكان نستخفي ونحن لا نثق الا بمن ذكرت ؟

فلمعت وينها قائلة : في هذا القصر ! ونظرت الى ابيها لتسمع جوابه فقال :

ليس لهم الا ان يلجأوا اليه اذ لم يبق امامهم سواه . وقال عتيك : صدقه

يا مولاتي فنحن لا ننجو من الموت الا اذا حجبنا قصر شر حيل عن العيون ... ولكن ماذا تقولين للملك ؟

قالت : دع عنك هذا فهلقيس لا تتردد في الجواب ، عن كل سؤال يوجهه

اليها ملكك العاشق .. ووضعت يدها على جبينها كأنها نسيبت امرأة آخر ثم قالت : بقي ان نبحث عن رجل نجعله عينا على الملك .. ان ابي وحده لا يكفي وامير همدان سيرك البلاط .. ومعدي كرب وعبد شمس اللذان سيقيان بين يديه هما اخبث الناس .

— وهل نسيبت ان الملك لا يفعل امرأة الا اذا كان لك رأي فيه ؟  
— لو كان هذا صحيحاً لما كنا نحتاج الان الى احدهم . ان هذا الملك يتغير في كل ساعة .

قال : ادلك على رجل عظيم قادر هو احد الانصار .  
— اذكر هذا الرجل .

— سرح ابين .

— ومن يضمن وفاءه ايها الامير ؟

— امير ظفار نفسه فقد كان من اتباعه .

— ولكن الملك جعله اعظم الناس في اليمن .

— ومع ذلك فهو يؤثر كهانة ظفار على هذه العظمة الجوفاء التي لا يملك من امرها شيئاً .. قالت : لقد بدأ الحظ يحون الملك .. قل لناشر ، اذا كان واثقاً به ، ان يطلعه على كل شيء ، وان يوصيه الليلة قبل مجيئه ، بكل شيء .  
قال : الاترين ان جنود الملك وحراسه سيدخلون عند الصباح قصور مأرب واكوأخها مقتشين عن الاءراء النخونة الذين فروا من البلاط !

— بل اري ان هؤلاء الجنود سيطلبونكم غداً في الاودية وعلى رؤوس الجبال ثم يفرقون في كل اقليم وهم يحملون في حراهم الموت .

— وهل يمرؤ المجنون على ارسال جوندته الى هذا القصر .

— لو طاف هو وجنوده في جميع حجراته ودهاليزه لما غثروا على احد ...

ان بين السرايب التي اعدّها جدنا يعفر لمثل هذه الغاية ، واحداً ينتهي عند الوادي العظيم القائم جنوبي مأرب ولا يستطيع الساحر ان يقبّين بابه من الخارج .  
-- اذن سنخرج عندما نشاء الخروج من هذا الباب .

— نعم وقد زحل في هذين اليومين عندما يصل الغوث و ذو مغار ، و جبار ،  
ويظهرون خضوعهم للملكهم ، زوج بلقيس .

فنهض قائلاً : اني راجع الان على امل ان نكون في هذا القصر قبل ان  
ينقضي الهزيع الثاني من الليل .

قالت : احذروا الحراس ايها الامير فكلمة واحدة تقولونها لهم تبعث بنا  
جميعنا الى القبر في ساعة واحدة .

— سلتدبر الامر فليس بين الحراس من يخطر له اننا نخون الملك ، وخرج  
وشرجيل يقول لابنته : اخشى ان ينتهي بنا الامر الى غير ما نحب .

— بل ينتهي كما نحب يا مولاي فقد بدأت نار الثورة تستعر في صدر القوم  
كما رأيت .

قال : عجباً ، لقد عاد معدي كرب من رحلته ولم يحضر ذو مغار .

— اظن انه يقرأ ، وهو قادم ، اسرار الامراء في المخاليف ولا يلبث حتى  
يجيء ، ثم يلحق به الغوث وابن دوير ، ولم تنتظر جوابه ، بل دعت نعمى ونائلة  
وامرتهم بان تنهيا لاستقبال ثلاثة اضياف من الامراء .

ثم هامستهما قائلة : علي ان يبقى امر هؤلاء الاضياف غير معروف وعلى  
ان تحذرا جميع الناس .

وجعلت تتمشى مع ابيها في الرواق حتى انتصف الليل واقبل الحجاب  
يستأذنون لثلاثة من عبيد صنعاء .

فعرفت بلقيس ان هؤلاء العبيد امراء البلاط ، وأذن لهم في الدخول .

\* \* \*

عندما استفاق الملك من نومه ؛ بعد طلوع الشمس ، خطر له ان يداعب امير همدان ، ويعيث به ، على مرأى ومسمع من القوم ، وكان معدي كرب وعبد شمس امام قاعة الجلوس ، وقد دخل شرجيل في تلك الساعة ، ووقف حيث يقفان . فاقبل الملك فقال : ادع رجال البلاط يا عبد شمس فقد ترون اليوم ايضاً سيف الجلال مخضياً بالدماء .

ومشى الى القاعة وهو يقول : سنسمع يا عم اعتراف ذي تبع في بادىء الامر ثم يجيء بعد ذلك دور عتيك بن روضة .

— وبأي شيء يعترف الاثنان يا مولاي ؟

— ألم تسمع وتار ذمر يتهمة امس ؟ انه اذن شريك لكم فيما فعلتم وقد نبهكم لتتنبأوا للامر .

وضحك ضحك الساخر الذي لا يعبأ بأحد .

فقال شرجيل : خير لك ان تقتلنا جميعنا يا مولاي لبزول هذا الشك الذي يهكر عليك صفو العيش .

— اما انت فقد وهبت حياتك لبليقيس ، ! واما الآخرون فلا نظن انهم ينجون من الموت ولو كانوا ابرياء .

قالها بوقاحة لم يسبقه الى مثلها ذو القرنين ، فعرض الامير على شفثيه وعمد الى الدهاء فقال : سمعت بليقيس تقول : ان ذا تبع يستحق الموت لانه نمام يريد ان يفسد على الملك امر غرامه ! فلم يشأ الملك ان يثبت له براءته من هذا وهو يعلم انه بريء ، ودخل في تلك اللحظة عبد شمس وانحنى قائلاً :

لم اجد احداً من الامراء يا مولاي ! .

قال : اينرجون من البلاط بدون اذن الملك ؟

— لا اعلم ، كما ان الغلمان لا يعلمون .

— وملك وويل الغلمان .. اسأل الحراس ، فمخرج ليسالهم ثم عاد والحراس معه وجعل يقول :

لم يخرجوا من البلاط كما يقول هؤلاء .

فقال : من كان يقوم منكم بباب القصر امس ايها الفتيان ؟

فأجابه أحدهم : نحن الاربعة يا مولاي .

— وهل تعرفون جميع من في البلاط من امراء .

— نعم يا مولاي .

— وكيف لم تر واحداً وقد خرجوا جميعاً ؟

— اقسام برأس الملك انه لم يخرج من الباب غير العبيد .

فقال : اجمعوا يا عبد شمس عبيد القصر الساعة ، فدعاهم فحضروا وملأوا

القاعة ، فقال لرئيسهم : اي عبد منكم خرج الى مأرب في الليل الماضي ؟

فقالوا جميعهم : لم يرسلنا احد الى الخارج يا مولانا ولم تغادر البلاط قط ..

واقسموا برأسه كما اقسام الحراس .

فقال : صف لنا ايها الحارس اولئك العبيد الذين رأيت .

قال : كانوا ثلاثة يا مولاي ، خرج احدهم اولاً ثم تبعه الآخران وهما

يحملان بضعة سيوف ! فجعل يضرب مقعده بيده والدار تنبعث من عينيه وهو

يتمتم قائلاً : لقد فروا ورب اليمن ، فويل لهم .

ثم قام فتناول احدى حراب الحراس واخذ يطعنهم بها وهو لا يبصر اين

تقع ضربته حتى صبغت ارض القاعة وتخضب رداؤه بالدماء !

وهم يصيحون من الذعر ويشون الى الرواق فراراً من تلك الحربة الحادة بل

من تلك الصاعقة التي انقضت عليهم من سماء قاعة العرش !

ويظهر ان الدماء بردت غليله فرمى بالحربة والتفت الى شرحبيل قائلاً له :

أتستطيع ان تعلم معنى ذلك يا عم ؟

— معناه انهم خافوا غضب الملك فأثروا الفرار .

— والى اي بلد يفرون ؟



— من يعلم الى اين يا مولاي ؟ ان في مأرب رجالا كثاراً فارسل من تشاء منهم الى المخاليف واملأ بيوت مأرب جنوداً حتى تعرف الموضع الذي لجأوا اليه ...

— بل نرسل الجن فتغوص في الارض وترتفع الى السحب حتى تضع الاليدى على هؤلاء الجبناء .

فقال معدي كرب : اظن انهم خرجوا في هذا الصباح ثم لا يلبثون ان يعودوا بعد قليل .

قال : اسكت ، أفلم تسمع الحراس يقولون انهم لم يروا احداً ؟ لقد صبغوا وجوههم كما يفعل اللصوص والصعاليك وتركوا قصر سيدهم كما يتركه الاندال . أما والذي جعل الحير هذا الملك لنعلقن رؤوسهم بالحبال فوق باب مأرب ، ونهدمن قصورهم ونسأب اهلهم جميع ما يملكون .

وقال لمعدي كرب : قم الان ، واجعل مدينة الملك ضمن نطاق من الرجال ، وادخل بيوتها بيتاً بيتاً وإذا رأيت ان تضرب الاعناق وتصلب الرجال والنساء في شليل غايتك فافعل ولا بأس عليك !

وانت يا عبد شمس ! خذ من تشاء من الجن ، وابدأ بظفار حتى تنتهي الى براقش وبينون وإذا اكرهت على الطواف في اليمن كلها فلا تتردد في ذلك ... اخرجوا ! . فقبل الامير ثوبه وانصرفا .

فقال : لم يبق في مأرب من نستشير في شؤون الملك غير شرحبيل وبلقيس فإذا ترى انت ؟

— لقد سلمت اموري كلها الى بلقيس يا مولاي كما تعلم لاني لست ممن اصحاب الراي في الحادثات .

قال : اصببت فسئري بلقيس الليلة ونسألها عما دفع هؤلاء الاندال الى الفرار .

— وهل تعلم بلقيس ذلك يا مولاي ؟

— اجل ، فقد قام في ذهن الملك الساعة انها باحت لهم بما خبرها اياه منذ

ايام ! .

قال : مولاي .. أتمنيء ظنك ببلقيس وهي انتي قالت لاييها ان اليمن كلها لا تساوي في نظرها قلامة من ظفرك ؟ فاشرق جبينه قائلاً : أهى قالت هذا ؟ — نعم ورددت قولها امام اخيها وجميع من في القصر من الجوارى والغلمان . ومع ذلك فالفتاة التي لا تبوح لاييها بما قاله لها الملك لا تجد من الرأي ان تبوح به لجميع الناس .

— ومن هو الفاعل اذن ؟

— لياذن لي الملك ان اسأله سؤالاً ألم تخبر أحداً غير بلقيس يا مولاي ؟

— بلى ، قلنا لذي تبع ما اردنا ان نفعله .

— اذن هو الذي خوف ، رفيقيه وبلقيس لا تخون ملكها الذي تحبه ، وبينما هما يتحادثان دخل الحاجب يقول للملك : هذا ذو مغار بالباب ، فنظر الى شرحبيل وعيناه تلمعان .

فقال له : ألم اذكر لمولاي ان هذا الرجل من المخلصين ؟

— سنرى اخلاصه عندما نسمع اقواله ونرى وجهه .. أدخلوه ..

وكان ذو مغار قد مر بقصر شرحبيل وقصت عليه بلقيس جميع ما حدث في مأرب بعد رجوع الملك من مهرة ، وهي التي اوعزت اليه بالذهاب الى البلاط في تلك الساعة ليظهر للملك ذلك الاخلاص الذي لا وجود له ، فدخل وابتنامة الفرح والاستبشار على شفثيه ! وكانت عينها الملك ترسلان أشعة الهيبة وعظمة الملك ..

فجثا ذو مغار على ركبتيه ووضع سيفه عند قدمي مولاه وهو يقول :

ليحيى ملك حمير .

وردد هتافه ثلاث مرات ، فد الملك اليه يده فقبلها ... وتلك احدى مظاهر الرضى . ثم امره بالنهوض قائلاً : اكنت تعلم من قبل يا ذا مغار ان في مأرب ملكاً ؟ !

فقال : وكيف لا اعلم ذلك يا مولاي وانا من عبيد العرش الحميري .

— ولكن لم نرك قط في هذا البلاط ولم نسمع لك في سبيل هذا العرش صوتاً

واحداً يثبت قولك .

— اصبت يا مولاي فقد كنت بعيداً عن البلاط ولكني لم اخن ملكي ولم افكر في الخروج عن طاعته .

— ونحن نسألك عن اسباب هذا البعد .

— قال التمس من مولاي ان يترك ماضي ويسألني عن حاضري .

— وما هو حاضرك ؟

— خضوع لارباب فيه واستسلام لاحد له !

قال : نسمع هذه الالفاظ ثم نلس الخيانة والمؤامرات بيدينا الاثنيتين ...

أعرف امير همدان ، وناشراً امير ظفار وذلك اللعين امير نحلة ؟

— اعرفهم يا مولاي .

— وهل تعلم ماذا صنعوا ؟؟ انهم خرجوا من هذا القصر ، في الليل الماضي ،

كما تخرج اللصوص ، وهم الذين قربهم ذو القرنين من قبل وجعلناهم نحن سادة البلاط وسادة الناس واحطناهم بالنعم ! فاخذ الرجل ينظر الى شرحبيل والدهشة في عينيه . ثم قال الملك ، ومع ذلك فقد كانوا امس يقولون : ان استسلامهم لاحد له وان خضوعهم لارباب فيه .

— اما انا فاذا قلت كلمة فاليمين كلها لا تستطيع ان تمحو منها حرفاً ... اني

مخلص يا مولاي وهذا السيف الذي تدوسه قدماك يشهد لي .

قال : خذ سيفك . فأخذه ، فقال : اقسم بالآله انك ستضرب به اعداء

الملك ؟.

فقال : اقسم بهذا العرش الذي رفعه حمير اني سأضرب به اعداءك ولو كانوا

احب الناس الي .

قال : اضرب هذا فهو عدو العرش !

وأوماً الى شرحبيل .. فتراجع الى الوراء قائلاً : عم مولانا الملك ؟!

— اجل ، فاضرب اذا كنت من المخلصين ، فجرد الامير سيفه ورفع قائلاً :

لهمك ولو كان من ولد يعفر .

وكان شرحبيل هادئاً ، وقد رأى الملك ان السيف سيسقط على رأسه ، فقال :  
مهلاً يا ذا مغار فاتماً الاثنين من الانصار . وقال لشرحبيل : الاتخاف الموت  
يا عم ؟

— ولماذا اخافه وهو اذا لم ينجى اليوم جاء غداً .  
— ولكن كان عليك ان تدافع عن نفسك في هذه الساعة .  
— ليس للعبد ان يفعل غير ما فعلت . . ثم قال : والبريء لا يخاف يا  
مولاي .

قال : لقد انتهينا من هذا الان ... حدثنا يا ذا مغار بما كان بينك وبين  
شرحبيل منذ شهرين .

— بيني وبين شرحبيل يا مولاي ؟ لقد كنت منذ شهرين في مغار ولم اره الا  
الان ! ماذا حدث يا مولاي ؟

— سمعنا انك انتهياً للحرب مع صاحبي براقش وبينون ، فجعل يقول :  
اجلف برأس الملك اني لا افهم شيئاً مما يذكره لي .  
قال : خبرنا بهذا رجل ضربنا عنقه امام هذه القاعة فهل تظن انه كان  
كاذباً ؟

— أيقول اني انتهياً للحرب وهو صادق ؟ من هو الرجل يا مولاي ؟  
— هو الكاهن الاعظم الذي قص علينا حكاية غريبة لم يثبت منها كلمة  
واحدة . . كان يقول انك حملت مع شرحبيل لواء العصيان وان الجيش الخارج  
على ملكه مقيم بمغار وسيزحف منها الى مأرب ليستولي على العرش !  
— وقتل وتار ذمرا يا مولاي ؟

— اجل وقد همنا بقتل عليك بن روضة لو لم يعمد الى الفرار ، فلم يشأ  
الامير ان يتأذى في الاستغراب ، بل قال له : وهل كان ناشر وامير همدان من  
رجال ذلك الخائن ؟

— لا بل وجهت اليهما تهمة الخيانة وليس من الرأي ان تعلم اكثر مما علمت .  
ثم يا عم والحق بعبد خمس قبل ان ينصرف وقل له ان يولي ذرعة بن حبة ،

باسم الملك ، امر ظفار ، ويسلب ناشراً جميع ما هو له من عبيد واموال ، فخرج شرحبيل حاملاً امر مولاة ، وقد وضع يده على صدره ليسكت قلبه المضطرب وعاطفته الثائرة ، وعزه الجريح .

فقال الملك عندئذ لذي مغار : لولا هذا القلب الخافق على الغرام لضربنا عنق هذا الرجل الذي ينتمي الى حمير والذي يقال انه عم الملك !  
قال : مرني يا مولاي بان اضرب هذا العنق الساعة ..

قال : صبراً ايها الامير فسيأتي يوم يخسر فيه هذا اللعين رأسه ولو مدت بلقيس نفسها يدها لاناذاه .. لقد وثقنا بك الان .. وسرى الليلة ماذا يحدث في مأرب أيقبض معدي كرب على الخونة الثلاثة ام يخرجون منها كما خرجوا من البلاط .. انك امين الملك منذ الان يا ذا مغار وسنعهد اليك في ادارة الامور التي كانت في يد ذي تبع ا . نعم كنت في نظرنا يا ذا مغار خائناً فاصبحت الان احب الناس الى الملك . أفهمه ١٩ ألا ترضى بان تكون السيد الاول في البلاط لا يشهر سيف في سبيل مولاك قبل سيفك ولا يرتفع صوت في اليمن قبل صوتك ١٩ . ولكن لا .. لا يا ذا مغار .. لقد جعلناك قائد الجيش الحميري في السلم والحرب وسيكون جناح ولي العهد في القصر مقراً لك ولولدك غالب وأخيك ياسر اذا اراد ان يترك خلافه ..

هكذا كان الملك الحميري ينقل في لحظة واحدة ، من ريب قاتل الى ثقة هيماء وهو مجنون في الحالين لا يعلم في اي موضع يضع قدميه .

فذر ذو مغار لتلك الصراجة الغريبة التي لفظتها شفتا المجنون وظهرت على وجهه دلائل التردد والخوف .. ولكنه كان مكرهاً على الجواب ، بل كان مكرهاً على الاستسلام الى تلك الارادة المقدسة التي خرجت من فم الله ا .

يقول له : لا ارضى بهذا فلا يبقى بينه وبين الموت غير ذراع ام يقول لقد رضيت فيأمره الملك بالبقاء في اللطاف ثم يدعو ولده غالباً ليكون الى جانبه ٢٠ . ان في الجوابين خطراً وليس من الحكمة ان يقلد بنفسه الى الهوة فقال : ليس لي ان اخالف مولاي الملك في كل ما يأمرني به .. ولكني التمس منه ان

يصغي الى هذا الرجاء الذي اذكبه الان .

قال : ماذا ؟

— اعود الى بلاد قومي فأنظر في امر مغار ثم اسلم الى اخي ياسر امر  
الولاية وارجع مع ولدي غالب لتعيش الى الابد في ظل الملك  
— اتعاهد مولاك على هذا ؟

— نعم فلا يمر شهران او ثلاثة حتى يصبح ذو مغار وولده من رجال البلاط .  
وكان شرحبيل قد عاد وهو يقول : لقد اوصيت عبد شمس بما اراد مولاي .  
— ونحن قد اوصينا ذا مغار بما يجب ان يفعل .. الا تعلم ماذا جرى الان .  
لقد انعم الملك على صاحبك فجعله قائداً للجيش وسيقم بهذا القصر ، فانحنى ابن  
يعفر قائلاً : انه احسان لا تنساه مغار ، قالها وصوته يرتجف .  
ثم قال الملك : ولكنه سيعود الى مخلافه ليتدبر امر قومه .

فأيقن الامير بان هذا العود حيلة يستعين بها ذو مغار ليهرب من الملك ، فقال :  
ومتى يرجع الى مأرب يا مولاي ؟

— يرجع حينما يشاء فقد عاهدنا الان على الوفاء وانتهى الامر ، فصافح  
شرحبيل الرجل وجعل يقول : لقد عرف مولانا الملك كيف يختار رجاله ..  
وماذا تصنع بمعدي كرب وعبد شمس يا مولانا ؟

— يكفي ان الاثنين من رجال البلاط .. ومع ذلك فالملك ينحي من يشاء  
ويبعد من يشاء ولا يسأله احد ... لقد فكرنا الان في امر يا عم .  
— ما هو يا مولاي ؟

— هو ان نزور بلقيس الساعة ثم نسألها رأيها في ناشر ورفيقه ... ثم نطوف  
في أروقة القصر ودهاليزه فقد نعثر على الثلاثة !  
قال : مر الجند بأن يفعل ذلك يا مولاي .

— بل يفعله الملك نفسه فجند مأرب لا يدخل قصر شرحبيل والملك حي .  
قال : ايشك الملك في بلقيس ؟

— بل يشك في عمه الذي يخاطبه الان !

ونظر الى ذي مغار قائلاً : لقد دب الريب في صدر انك جئتي ليظن ان جميع الرجال الذين يحيطون به يمدعونه بمظاهر وفائهم ولا يحدثونه الا بالا كاذيب .. لم يا عم وامش مع الملك اما انت ايها القائد فاحمل سيفك واتبعنا الى الدهاليز . وضحك ضحكاً ملاً القاعة ثم اكفهر وجهه فجأة واخذ يقول :

ويل لك يا صاحب همدان وويل لقومك ..  
وتقدم الاميرين خارجاً الى الرواق ثم الى الباب الخارجى ، وهو لا يلتفت الى احد حتى توسط ساحة القصر فقال :  
يخيل الينا اننا سنرى اعداء الملك وراء الجدران السوداء .. فاذا تقول يا هرجيل اذا صدقت هذه الظنون ؟ .

— اضع عنقي تحت قدميك ليبريه السيف .  
— فشئ ولم يجب حتى دخل الثلاثة القصر ومثلت بلقيس بين يدي عاتقها لهتسم له ابتسامة الاعجاب والحب !  
فخمدت في تلك اللحظة نار صدره ، واجس بالحب الفياض يغمر قلبه ونفسه ، ثم هامسها قائلاً : أعلمين يا بلقيس اى خبر يحمله اليك الملك .  
فرفعت صوتها قائلة : يحمل الى هذا النور الذي ترسله عيناه ، وهذا الجمال الخلاب الذي يتدفق من وجهه .

فرفعت الخيلاء الى السماء ، وجعل ينظر الى عطفه ويقول : بل يحمل اليك نبأ خيانة جديدة ابطالها رجال البلاط المقربون .  
— لا تذكر الخيانة يا مولاي ، ان الذي يخون الملك يطعن بلقيس في هذا القلب .

— ولكنهم خانوه .. وجعلوا الليل ستاراً لهم في فرارهم من البلاط .  
— من هم يا مولاي ؟ فذكرهم لها ثم قال : وقد اصبح الملك واتقيا بان وتار ذمر كان بريئاً وان هؤلاء الثلاثة — مع عم الملك — كانوا متآمرين .  
— وندمت يا مولاي على قتل كاهنك ؟  
— اجل فقد مات وهو يقول انه بريء .

فاطرت وهي تقول في نفسها : لقد عرفت داءك ودواءك ايها المغرور .  
ثم تهمت قائلة : اذن لم يبق الا ان تأثر به يا مولاي .. هذا ابي فاقتله الساعة  
أمام عيني بلقيس وذئ مغار ، ولتدخل جنودك قصور اليمن واكواخها حتى  
تقبض على الامراء الكذبة وتجعل جثثهم طعاماً لثعالب الليل .

— ولكن الملك لا يقتل شرحبيل لانه ابو بلقيس !  
فلعت الدموع في عينيها وقالت له : لا خير في بلقيس اذا كان أبوها عدواً  
للعرش .. اني سأموت الليلة يا مولاي فافعل بشرحبيل ما تشاء !  
فذر قائلاً : ماذا ؟

— وهل يطيب العيش للفتاة التي تصبح ملكة اليمن وهي ابنة خائن ؟؟ اين  
خنجرك يا ابي خذه واغمده في صدرك فوترك خير من حياة العار .  
قال : اصبحت فليذهب شرحبيل وولده من الوجود وليهنا الملك بعدهم  
بالعرش الذي تركه له آباؤه .

ومد يده الى حزامه فأخرج خنجره وهو يقول : اشهد يا ذا مغار ان شرحبيل  
ابن عمرو يموت الان وهو اشد اخلاصاً للعرش من الملك نفسه .  
فعمدت بلقيس الى الخنجر وانزعته من يده قائلة :  
لا تستطيع بلقيس ان ترى أباهاً مخضباً بدمه .. اموت انا الان ، ثم تلحق بي  
انت بعد ساعة فيصفو عيش الحبيب .

ونظرت الى ذلك العاشق نظرة التوديع ، ثم اغضت عينيها على شبح الموت  
يتراءى لها بصورته المروعة .. ورفعت يدها لتغمس خنجرها في القلب .  
فجحظت عينا الملك من الخوف وقبض على تلك اليد الناعمة بيده القوية  
وصاح قائلاً : خير للملك ان تحطم الاقدار عرشه من ان تحطم قلبه .. لقد نسينا  
الان كل ما جرى ونقسم بتاجنا ان الرب لم يبق له ظل في هذا الصدر .  
قالت : دعني يا مولاي فأنا لا اخشى الموت وقد رأيتة بعيني .

ولكنه لم يسمع ، بل اخذ الخنجر من يدها ورمى به بين الوسائد وهو يقول :  
نريد ان تبقي ويبقى شرحبيل فكل شيء قد تغير الان .



فارتحت نظرها الى الارض والبكاء يتردد في صدرها المضطرب .  
وكان الملك في تلك الساعة انساناً .. حياً .. كامل الخلقة .. تخفق في فؤاده  
هواطف الحب ، ويبسم على وجهه شرف الملوك .. ومروءة الرجال .  
ولم يتردد عندئذ في الجلوس ، ويده بيد بلقيس يدهوها الى القعود بالقرب  
منه ، ثم اوماً الى الاميرين بان يفعلوا كما فعل ، فاطاعاه ، وساد السكوت .

ثم قال : امسحي دموعك يا بلقيس وحدثينا بما ترين .  
- وماذا ارى يا مولاي .. بلى رأيت الدنيا تسود .. ثم رأيت جناحين هائلين  
هلان جانبي هذه القاعة .. ثم رأيت .. آه يا مولاي ، ثم رأيت مولاي الملك  
هاسطاً لي ذراعيه . فأغمضت عيني لاموت ولكنك صفعت الموت فقر من بين  
يديك كما يفر الجبان .. ولم احس الا وقد عادت الحياة الي .  
قال : انسي ما مضى كأنه لم يكن .. ماذا ترين ان نصنع بأعداء الملك الذين  
جأوا الى الفرار خوفاً من الجزاء .

فخفضت صوتها قائلة : لا يستطيع الطير ان يفلت من يدي الملك .. اجعل  
يا مولاي بيوت مارب مقراً لجنودك ، وابدأ بقصر شرجيل بن عمرو !  
- اي انك تريد ان يظهر الملك لقومه انه يشك في زوجته .  
- بل اريد ان يقول لقومه : انظروا فقد بدأت بنفسي .. انهض يا مولاي  
وادخل قاعات القصر ودهاليزه وأبراجه وابحث عن اعدائك فقد تجدهم في  
السقوف او وراء الجدران .

- لقد كنا همنا بان نفعل هذا قبل ان نجيء .  
- وستفعله الساعة لتزول الريبة .. ولكني اسألك ان تدفع الي اعدائك اذا  
كتب لك الظفر .

- لماذا ؟

- لان بلقيس التي احببتها تريد ان يكون لها يد في التعذيب .  
قال : لقد اعددتنا لهم عذاباً لم يخطر لعربي .. قومي الان .  
ونهض، فنهض الجميع وراحك بلقيس تدله على الحجرات والاروقة والشرفات

عيناه زسلان النظرات الحادة وهي تقول له :

انظر يا مولاي هذا قصر شرحبيل لم يبق فيه دهليز لم تره . بى بقي ممر بناه  
جدنا يعفر يمتد في جوف الارض ونحن لا نعلم ما في داخله اتريد ان تراه ؟ .  
فبرقت عيناه قائلاً : والى اين ينتهي ؟

— الى الجبل الشرقي التي تطلع الشمس من ورائه . هكذا يقولون لنا يا  
مولاي وليس في هذا القصر من يعرف ما فيه .

وكانت ركبنا شرحبيل ترتجفان فقد قام في ذهنه ان الجنون فاجأ ابنته ...  
ولكنها كانت نبسم وزاد ابتسامها عندما قال الملك . يكفي فأولئك الانذال لا  
يحصرون على الاستخفاء في قصر عم الملك . . . تم قال : ولكن الى اي مكان  
يلجأون والجنود من ورائهم وهم لو ارتفعوا الى السحب لما وجدوا لهم نصيراً .  
اسمعي يا بلقيس لقد امرنا معدي كرب بالطواف في مأرب وبعثنا عبد شمس الى  
الاقاليم يقيمها ويقعدها مع جنوده حتى يستسلم الثلاثة او تخرب اليمن .  
— اجسنت يا مولاي .

— وسيتبع عبد شمس ، قائد جيشنا ذو مغار الذي وثقنا به .

— متى جعلته قائداً لجيشك يا مولاي ؟ .

— في هذا الصباح وسيتربخ خلفه ليعيش في بلاط مولاه .

وكانوا عندئذ ، في برج يطل على مأرب فقالت بلقيس : لو كنت انا الملك  
لما وهبت له القيادة الا اذا قاد الامراء الى البلاط كما تقاد الافراس ! .

قال : اسمعت يا ذا مغار ؟

— سمعت يا مولاي .

— وماذا تقول ؟

ان القول للملك فليأمر بما يشاء .

قال : لقد عزلناك الان ، على ان تبقى القيادة لك ! فعرف ذو مغار غايبة  
بلقيس ، فقال : ولكن الملك لا يعزل قائده بدون ذنب ، ولا يمنع احسانه الا  
اذا ضاع هذا الاحسان ، وجعل يتظاهر بالرغبة في القيادة ويستحلفه الا يفعل ،

غير ان الملك لم يئن ، بل كان يقول : هكذا ارادت بلقيس ..  
 قال : ارجو ان تستعطف الاميرة الملك على القائد الذي لم تجلس في كرسيه ،  
 لاجابته قائلة : لا يستحق القيادة في نثار بلقيس فير الذي يتبعض على الزهائن  
 الالهة الذين ثمطوا نعمة ملكهم واستخفوا به .  
 وملأت الخيلاء بردتي الملك فقال : هذه هي ارادتنا التي لا تردها الهة ما  
 نقوله بلقيس ولا ترد .

— ولكني مقيم بمأرب ولا جنود لي .  
 — واذا امرنا اهل اليمن كلهم بان يكونوا جنوداً لك .  
 — استعين عندئذ بالالهة واجعل اهل اليمن رسلا لي حتى اظفر .  
 — اذن سنرسل الى عمالتنا بان يطيعوك كما يطيعون الملك ارضيت الان .  
 — اني لراض يا مولاي وانا اعاهدك على الاخلاص حتى اجعل جميع  
 اعدائك عبيداً اذلاء واجعل رقابهم موطئاً لقدميك .  
 فقالت بلقيس : ولكني اخشى امراً واحداً لا اجسر على ذكره !  
 — بل تقولينه الساعة .. ما هو ؟  
 — سيقولون لك يا مولاي ان ذا مغار يجمع الجنود ..  
 — ثم ماذا ؟  
 — وانه سيزحف بجنوده الى مأرب ليخلع ملكه عن العرش .  
 قال : أیظهر في اليمن وتار ذمر آخر يقول هذا ؟  
 — اجل يا مولاي وقد يصدق الملك هذا القول فيقبل قائده ! .  
 — اما الملك فلا يصدق شيئاً بعد الان ، ولكن لماذا يجمع ذو مغار الجنود  
 وليس في اليمن حرب ؟  
 — لانه سيعلم ان خونة البلاط لجأوا الى احد الامراء وان هذا الامير الذي  
 جعلهم جيرانا له لا يسلمهم الا بقوة السيف .  
 فقال ذو مغار : أصابت الاميرة يا مولاي فسأضطر عندئذ الى دعوة قومي  
 ومن يجاورهم من الانصار ثم اغزو أعداءك بالجيش كما يغزو الملك الحبشة .

قال : لك ان تفعل ذلك بأمر الملك .

— ولا تسمع للواشين يا مولاي ؟

— لا نسمع لاحد فقد وعدناك .. متى ترحل ؟

— عندما يأمرني مولاي بالرحيل .

— سيرجع الليلة معدي كرب من طوافه وسيقص علينا ما حدث له في مأرب

ثم نأمرك بعد ذلك بالرجوع الى قومك .

— وتأذن لي يا مولاي في ان اقتل واهدم واشعل النار ؟

— نأذن لك في كل شيء .

فسجد الامير الداهية ، وهو يتسم ابتسامة الحقد ، ثم قبل رداء الملك ثلاثاً وجعل يقول : اذا طال الزمان ولم يرد على الملك خبر من مغار فعنى ذلك اني

اطوف في الاقاليم مستخفياً عن العيون .

— وهل تبتلع الارض الخونة حتى يطول هذا الزمان ؟

— لا اعلم شيئاً ولكني استأذلك قبل ان أنصرف .

قال : ليمر الزمان كله على ان تقود الثلاثة الى مأرب ليراهم القوم قبل ان

تعلق جثثهم فوق السور .

— سيتم كل ذلك يا مولاي او اخسر القيادة .

فضحك قائلاً : القيادة في يد بلقيس تهبها لمن تشاء . !

ورجعوا الى القاعة والحبيب يخادح حبيته بأمر الرحيل الى الحجاز .

وكانت تقول : ان يوم الرحيل قد قرب . !

ثم جعل يقرأ لوعتها في عينيها .. او يهتز لابتسامات الحب البادية على شفثيها

حتى سكر ، وارتسمت على وجهه دلائل السكر .

فخافت ، ولكن خوفها لم يطل لانه قام فخرج ، وهو يفكر في حملها الى

للإحاطة بقوة الرجال .. ثم يضعف ، فتنتصر عاطفة غرامه على وجشيته ، ويؤثر

الصبر على التعلجل في الامر .

فلما انصرف ، قالت بلقيس للاميرين : لو خيروا هذا المغرور بسين عرشه

وبلقيس لاختارها وترك العرش لمن يطعم فيه ... انه الان في يدي وقد خسر كل شيء .

واجتمع في ظلام الليل ، في قصر شرحيل ، اعضاء الشورى .. بينهم ناشر وهتلك وذو تبع سكان السرايب .. ووضعوا بالاجماع منهاجهم الاخير ، وقد نهياوا للسفر الى مغار يوم يحمي الغوث بن راهط وجبار بن دوير .  
وقد خلا الجو للحبيبين فباحا بكل ما في الصدورين ... وانشدا جميع اناشيد الحب ..

\*\*\*

## ٧٧

رجع معدي كرب عند المساء وهو يتعثر بحبيته .

فقال له الملك : ماذا صنعت ؟

— قضيت نهاري كله في اكواخ مأرب وقصورها وكأني لم افعل شيئاً .

فتمجلا قائلان : وهل تظن انهم خرجوا من مأرب في الليل الماضي ؟

— هذا ما يخطر لي يا مولاي

— ألم تسأل حراس المور عن ذلك ؟

— لم ير الحراس احداً يا مولاي .

— اذن فهم في مأرب وقد كنت جباناً في البحث .

قال : لقد ضجت مأرب كلها لهول ما رأت من جنود الملك ، ومع ذلك

فأنا واثق بانهم تركوها الى بلد آخر .

— وكيف يخرجون والحراس بالباب ؟

— يستعينون بالهبال ويخرجون من موضع آخر لا تراه العيون .

قال : يخيل الى الملك انك تخفي ما تعلم .

— لو وقعت عيني على احدهم يا مولاي نشربت دمه قبل ان احببه انيك ،  
فهز رأسه قائلاً : ولكن هذه العين لم تقع على شيء . وسيجيء عبد شمس  
بعد أيام ويؤول نفسك ما تقوله انك فلا يبقى الا ان تنصرفا من البلاط وتعيشا  
في الجبال حتى لا يرى الملك في قصره وجه خائن او وجه جبان !  
قال : اقسم برأس مولاي اني اهدف بنفسي من احدى شرفات هذا القصر  
اذا كان واحد من الثلاثة في مأرب .

قال : كنا همنا بان نجعلك قائماً مقام الملك في قيادة الجيش . اما الان فليكن  
سواك وسنحتار ذا مغر هذه القيادة .  
- اتحرمي نعمتك يا مولاي ؟

- اجل ، فالرجل الذي لا يستطيع ان يقبض وهو في مأرب ، على ثلاثة  
رجال ، لا يستطيع ان يتولى قيادة الصفوف في الميادين .

- ارسلني الى الاقاليم يا مولاي فهؤلاء الرجال ليسوا في مأرب كما ذكرت  
- لقد ارسلنا سواك وسيعود كما عدت .. اخرج الان ولا تدخل هذه القاعة  
الا اذا دعوناك . اخرج فلا خير فيك ولست اهلا لثقة مولاك ،

فحنى الامير رأسه وانصرف وكان يقول في نفسه : هنيئاً للامراء الذين لا  
يرون وجهك ايها الملك المجنون !

وازوى في غرفته وهو يفكر في الخروج عن الطاعة .. ولكنه لم يكن يحسر  
على ان يبوح بسر له لا يجد من الناس .

\* \* \*

٧٨

أرأيت كيف كان الملك ينحسر رجاله الواحد بعد الآخر دون ان يكون في  
عمله شيء من حكمة الملوك ؟

أرأيت كيف نفر بقسوته اهل النيمن ، وجعل بعض المقربين اليه اعداء له ؟  
ذلك هو لنقدر ، يشهر سيفه في وجهه اللوك واصحاب السنطان ، ثم يندحرجهم  
بقوة وعنق عن العروش التي كانت تسندها الالهة .

كان طاغية عبثاً بكن شيء ، ومستبداً وقحاً يستخف بكل شيء . ، ومغروراً  
جاهلاً يعتب الالهة التي لم تجعل اهل الارض كلهم عبيداً للذته .

بلى . كانت له صفة واحدة من صفات الرجال هي تلك الشجاعة التي جعلته  
في الصف الاول بين ملوك ذلك الزمان . ولولا هذه الصفة ، لكان حاشد ذلك  
القديم المغرور بليب ، خيراً منه ، ومع ذلك فقد كان يريد ان تغضب اليمـن  
كلها اذا غضب ، وتماشيه في هواه ، وتجاريه في كل خاطر يخطر له ، كما قرأت ،  
لعل وتار ذمر وهو المخلص له ، وعفا عن الاعداء الخونة الذين يكيدون له ، ثم  
رأى ان ينهي جهله ، بتقريب ذي مغار وإغضاب معدي كرب وهو لا يعلم ان  
يد الدهر تمتد اليه من وراء الستار ، وان تلك الابتسامة الخلابـة التي ابتسمها له  
الملك ، كانت ابتسامة النمر يكشر عن اسنانه .

• • •

٧٩

مرت ايام كان خلق الملك يزداد فيها سوءاً ، وغضبه يشتد على جميع من حوله  
حتى دب الذعر في قلوب اهل البلاط ، وتمنى الغلمان ان تفتح الارض فاهـا  
وتغيبهم في الاعماق .

انهم لا يستطيعون ان يحتملوا جفاء ملكهم وعربدته القاسية .

أجل ، كان يحفو اذا صحـا ، ويقسو اذا سكر ، وهو بين صحوه وسكره  
مستهين بطاش لا يبالي باشراف قومه ، ولا يعبأ الا بنفسه

ولم يكن يهتم الا لامرين ، امر غرامه وامر كبريائه ، فهو يريد بلقيس ليرضي

هواه ، ويريد ان يستسلم اليه الناس استسلاماً تاماً . مطلقاً ليرضي عزته ، ولم يخطر له قط ، ان الزمان يدور وان الاقدار تستطيع ان تنزع تاجه وتبعث به كما يبعث باليمنيين . بل لم يخطر له ان الاشراف الذين يطرحون بسيفهم عند قدميه ، يهزأون به ويظهرون له ذلك الاخلاص الكاذب الذي يذر الرماد في عينيه . هو يثق من هذه الناحية ، ثم يشك من الناحية الاخرى ، في جميع الذين حوله ، كأن النقيضين يجتمعان في طباع الملك الحميري الذي ليس لاخلاقه الشاذة قياس ونظام ألم تركيف بغضب ويرضى في لحظة واحدة ويمحو وينع في ساعة واحدة !؟ انه مجنون ولم يخلق ليكون ملكاً .

• • •

دخل قصر شرحبيل ، في احدى الليالي ، جبار بن دوير والغوث بن راهط وهما متكران ، كأنهما كانا يعلمان ان زيارة ذلك القصر ذنب لا يغفره ابن ذي القرنين .

وقد كل بوجودهما عدد الاشراف المتآمرين ، الذين تبادلوا الاسرار في ذلك الليل ، واقسموا بشرفهم ورؤوسهم ، انهم يبذلون مالهم ودمهم ، في سبيل خلع الملك ، وسهر الجميع حتى بزغ الفجر ، وقد درسوا كل شيء ، وتنبأوا لكل شيء وقبل ان يطلع الصبح ، خرج اميران يريدان البلاط ، وهما يتسلمان لتلك الحكاية الغريبة ، التي اوصتهما بلقيس بأن يقصاها على حبيبتها عمرو ... على انهما لم يقابلا ذلك الحبيب ، الا عندما غمرت أشعة الشمس ، أبراج القصر العظيم وقبابه وشرفاته ، وكان الملك في ذلك اليوم ، يداعب غلامه ، ويتسم لجواريه ، ولكنه تغير عندما اذن لهما في الدخول ، وعبس ذلك الوجه حتى لتستطيع أن تقرأ الغضب بين عينيه الbraقتين .

يعيش مولانا الملك .

قالها الاميران وهما ساجدان ، عند قدميه !



فرأى المجنون ان يتدلل ، فقال : ايكما الغوث بن راهط ؟

— انا يا مولاي .

— وأنت ابن دوير امير بينون ؟

— نعم يا مولاي .

— انهض ، فملك حمير وحده لا يعرف أشراف بلاده !

فأجابه الغوث قائلا : ألم ير مولانا الملك هذين ، قبل اليوم ؟

— رأيناها ونحن نلعب مع الغلمان ... ثم انسانا اياهما مر الزمان ... الا  
نعترفان بهذا ؟

وكان يريد عندئذ ان يمثل الدور الذي مثله مع ذي مغار يوم مثل بين يديه .  
فقال الغوث : كان ذلك يا مولاي وقد مضى الان .

قال : ويلك يا ابن زاهك ! يقتل ذو القرنين رجلين من بني سعد فتغضب ، وتقول

للناس ان ذا القرنين انتهك حرمة براقش ؟

— أقول ما يخطر لي يا مولاي وانا آمن ؟

— قل

— لقد كان جدك العظيم يستشير اصحاب الخاليف قبل ان يحكم بالموت على

واحد من قومهم ولو كان صعلوكاً .

— ولكن ذا القرنين لم ير ان يفعل ذلك ، فاذا تصنع ؟ اتحمل لواء العصيان

وتنفخ في صدور القوم روح الثورة ؟

— ان الغوث لا يخرج عن طاعة مولاه .

— اذن تغضب لكرامتك وانت داخل الجدران !

— بل اكتفي بالعتب يا مولاي حتى يدعوني الملك اليه فيزول كل شيء .

— قل انه يدعوك ليظهر لك ندمه على ما فعل ! .. انكم معاشر الامراء

ملوك في الخاليف وقد يقوم في اذهانكم ان ملك حمير يخافكم على عرشه ! اما

والذي بسط سهول اليمن ورفع جبالها لئن خطر لاحدكم ان يرفع احدى اصابعه

بدون اذن الملك لسلبناه مخالفه وجصدنا قومه بحد السيف !

فارتجفت شفتا الغوث وظل ساكتاً .

وامرؤد الملوك قاتلاً : ويلك ، ايكن منك حير آفة في أيدي الأشراف لا  
يستطيع ان يقتل احدا الا اذا قالوا له ؟ انه اذن عبد لهم يقتل عننا . يا مرون ،  
ويعفو عندما يعفون ليس له في ذلك لا امر ولا رأي ؟ ! قل لنا الان ، أنتجسأ  
براقش الى السيف بعد ايام عندما يبلغها ان رآ ابن دي القرنين قتل اميرها  
الغوث بن راهط ؟ .

فارخى الرجل نظره الى الارض ليخفي ذلك الشعاع الغريب الذي اتقد في  
عينه ...

ولكن الملك لم يسكت ، بل كان يقول : يخيل لي انك لا تجسر على الجواب ،  
فاسمع اذن ، ان الملك لا يطيق ان يخونه يمني ويسكت على هذه الخيانة ، هو  
يجلد ويميت ، ويسفك الدماء ، عندما يشاء ، دون او يستشير في ذلك احد او  
يذكر ذلك لاحد ، أترضون بهذا يا اشراف اليمن ؟  
فانتصرت حكمة الامير على عزته فقال : نرضى بكل ما يفعله الملك  
ولكن اين هي الخيانة التي ذكرها مولاي ؟

— جعلناها لك مثلاً لتصغي الى ما نقول : لقد خاننا وتار ذمر وهو اعظمكم  
شأناً فقتلناه ولم نبال بعشيرته وكهانه ! ثم خاننا ثلاثة من الامراء فهممنا بقتلهم  
لو لم يعمدوا الى الفرار اتريدون ان يدعوا الملك عشائر هؤلاء الخونة فيقول لها :  
مري الملك بان يقتل الذين خانوه ؟ .

— يخونون الملك ؟ من هم يا مولاي ؟

— اصحاب ظفار ونحلة وهمدان !

فنظر الغوث الى جبار . كأنه يقول له : لقد اتت الساعة فاذا كر وصية بنقيس  
فقال جبار مستغرباً : ناشر وعتيك وذو تبع ؟

— اجل ، هؤلاء هم الاندال الذين ملأوا قصورهم اموالا من فضل الملك .

— وتقول يا مولاي انهم لجأوا الى الفرار ؟

— اجل فقد خرجوا من البلاط يستريحهم الظلام ومنزناً اليمن جنوداً فلم نجد

لهم اثرأ ! فانتفض جبار قائلاً : ويل للكذبة ... لقد رأيناهم يا مولاي !

— ماذا ! رأيتما ناشراً ورفيقه ؟

— نعم وقضيتا معهم ليلة واحدة بالقرب من حصن نشق ! فاكفهر جبينه وجعل يقول : فروا .. وابتعدوا عن مأرب .. وسليجأون الى الجبال والادوية بعد القصور .. ولكن سيف الملك سيوضع على رؤوسهم ولو لجأوا الى السماء .. ومن كان معهم من اليمينين ؟

— عبد واحد يقود بغلاً وليس معهم افراس !

— سيطوفون في جميع المخاليف يا مولاي ليجمعوا الخراج للملك ! فأطرق ملياً ثم قال : يقولون ذلك ليخفوا امر الفرار .

— نعم يا مولاي ولو عرفنا انهم خونة لضربنا اعناقهم في ذلك الليل .

قال : اتريدان ان ينسى الملك الماضي ويغفر لكما ؟

فقال الغوث : ونطلب غير ذلك .

— اذن فالملك لا ينسى شيئاً الا اذا قبضنا على هؤلاء ، فابتسم ابتسامة الوثوق بنفسه واخذ يقول :

الا يأمرنا الملك الا بهذا ؟

— لا ، فهذا يكفي ، وقد اعددنا لكل منكما خير ما نعدده لرجالنا الاوفياء ، ستصبح انت يا ابن رادط قائد الجيش اليمني ... ويصبح جبار وزير الملك وصاحب الرأي الاول في بلاطه ... ونحن لا نذكركم لذي مغار كلمة مما تسمعان الان ، فقد وعدناه بالقيادة ، ونحن نخشى — اذا عرف شيئاً من هذا ان يمهدهم للثلاثة سبيل الفرار !

فتظاهر الاثنان بالتفكير .. ثم قال الغوث :

الا تظن يا مولاي انهم سيجدون بين اصحاب المخاليف واحداً يفتح لهم ابواب قصره وينزلهم على السعة والرحب ؟

— بلى ، ولكنه عندما يعلم ان الملك ياج في طلبهم يغلق تلك الابواب ويطردهم كما يطرد عدوه .

— واذا لم يفعل مولاي ؟

— تشهران في وجهه السيف ، وتخوضان غمرات الحرب .

— اذن اسألك يا مولاي ان تكتب لنا عهداً اننا نستطيع باسمك ان نجمع

الجنود وندفعها الى الميادين .

قال : نفعل ذلك في هذه الساعة ... يا غلام ، ادع معدي كرب ، فلما اقبل

قال له : اجلس فقد رطينا عنك الان ... فجلس وهو لا يقول كلمة ، وقد عد

رضى الملك ، على هذه الصورة ، جرحاً فوق جرح ، ثم قال الملك : كان الثلاثة

في نشق يا معدي كرب .

قال : وهذا هو سبب رضاك يا مولاي ؟

— اجل فقد عرفنا انك لم تكن مخطئاً فيما فعلت ، ولكن اكتب : « هذا

عهد تبع عمرو بن ذي القرنين ملك سبا وحضرموت وريدان للغوث بن راهط ،

وجبار بن دوير ، انهما يستطيعان ان يجمعا الجيش من اليمن كلها باسم الملك

ويبعثا به الى الميادين ... » والتفت الى الغوث قائلاً : وهل تطلب شيئاً بعد ؟

— لا يا مولاي ، بل اعدك منذ الان اني ساظفر باعدائك او أموت .

قال : اعرفت يا معدي كرب غاية الملك من هذا العهد ؟ فاجس الرجل ان

ذلك العهد شرك للملكه .. ولكنه لم يشأ ان يبدي رأيه فيه ، لان نار الحقد كانت

تلتهم احشائه .. فقال :

نعم يا مولاي فقد اطلقت ايدي الاميرين ليقبضا على الخونة ثم قال : ألم

اقل لك يا مولاي انهم خرجوا من مأرب .

— وهل تريد ان يقول لك الملك انك كنت على صواب ؟ لقد انتهينا من

هذا الآن فلننظر من جديد فيما نصنع ، ان اربعة من الامراء يطلبون ناشراً ومن

معه فكونا ايها الاميران انسبهم جميعاً لتصبِحا احب الناس الى الملك ... متى

ترحلان عن مأرب ؟

— بعد يومين يا مولاي .

— اعطهما يا معدي كرب فرسين من افراس الملك ورحلين من رماحه ،

هائى الاثنين وشكراً ... ثم قال : ولكن لا تنسيا أن تخبرا الملك كل ما يحدث  
لكما ...

قال : من هم الاربعة الذين يطلبون القوم ؟ .

— انت وجبار ، وذو مغار وعبد شمس .

— واين هو عبد شمس اليوم يا مولاي ؟

— لا نعلم اين هو الان فقد يكون في ظفار بل قد يكون في براقش .

سيطوف الاقاليم كلها ولا يرى احداً .

قال : اسبقاه ، واذكرا انقيادة والوزارة ... وطابت نفس الملك ، فقد

اهتم بأنه سيظفر باعدائه ويصفو له الزمان ، ثم ذكر كلمة بلقيس ، فقال :  
العرفان شرحبيل بن عمر ؟

— اعرفه انا ولا يعرفه جبار .

قال : اذهب الى قصره الساعة وخبرنا ابنته بلقيس . اتركها به الملك وقولا

لها : « سيكون لك يد في تعذيب المجرمين » .

قال : سنفعل ، وسنرحل دون ان نرجع الى البلاط ، وحنى رأسه ليقبل يده

وهو يقول : لينق الملك باخلاص عبده الغوث الى الابد ، وفعل جبار كما فعل ،

والملك يبتسم لهما ، ويشيعهما بنظرات الرضى ، ولكنه ، عندما جاوز الرواق ،

انثنى الى معدي كرب وهو يضحك كما يضحك السكارى قائلاً له : لقد انصرفا

وهما يحملان بقيادة الجيش ووزارة الملك ، ولا يعلمان ان ملكهما يعبث بهما كما

عبث بذى مغار ، فقال معدي كرب في نفسه : سترى ايها الملك مظاهر طاعة

واخلاص يا مولاي .

— اجل ، وكانت مظاهر الملك مظاهر عطف ورضى كما رأيت ، ولكن

القيادة لن تكون للغوث ، والوزارة لن تكون لجبار .

— اري ان احدهما ستكون لعبد شمس .

— ونكون الاخرى لك اذا عرفت ان تخدم مولاك .

— أرايه يا مولاي اني لم اكن مخلصاً للعرش في كل ما فعلت ؟

— لا ، فقد زال الريب الذي دب في الصدر الان فليفعل الامراء ما امرناهم به وسننظر بعد ذلك في امر القيادة التي هي امنية الجميع ، ثم حول وجهه عنه ذاهباً الى تلك الحجرات ليلهو بما فيها عن شؤون الملك ، وينسى ولو بضع ساعات ، ذلك الغرام الذي تزداد ناره ضراماً وسعيراً .

\* \* \*

•

اتعرف يا نائل باب السرداب الذي تحجبه صخور الوادي ؟

— نعم يا مولاتي .

— اذن تذهب وحدك وتقف بالقرب منه من الصباح حتى يبرز فجر اليوم الثاني

— وماذا تصنع ؟

— تراقب الوادي بحذر فنحن نخشى ان يجعل الملك ذئاب الغاب ،

جواسيس له .

— وبعد ذلك ؟

— يكون رعين عند الباب من الداخل فتقول له : « ليخرج الامراء فليس

في هذا الوادي كائن حي .. » افهمت الان ؟

— اجل ، وسأصرف قبل ان يطلع الصباح ، فانشئت توصي غلمانها بما أرادت

ان تفعله ثم رجعت الى تلك القاعة المظلمة التي جلس فيها المتآمرون قائلين : تهاؤوا

للخروج غدأ عند الفجر فقد اعد كل شيء ، فقال ذو تبع واللوعة في عينيه :

وانت يا بلقيس ؟

— اما نحن فسنلحق بكم بعد ثلاثة ايام .

— ولكننا نخاف ان يتصدى لك الملك في الساعة الاخيرة ويمنعك عن الذهاب

— لقد عرفت وعرف جميع الامراء ان الملك اعجز عن ان يملئ ارادته . .

قلت اننا سترحل بعد ثلاثة ايام وسيتم الامر كما قلت .

قال : أما انا فسابقى ريثما تغادرون هذا القصر !

— بل تخرجون جميعكم من السرداب عند بزوغ الفجر ، ثم تركبون البغال التي ترونها في الوادي وتسبرون اثنين اثنين دون ان ترددوا في الامر ، فقال الغوث لقد أراد امير همدان ان يكون حارساً للاميرة ...

— قل ان بلقيس ستحرس اليمن كلها وهذا يكفي ... فأطاع المتآمرون ملكتهم . وقضوا ذلك الليل والليل الثاني يتهياون للرحيل حتى انت ساعته ، فأقبل رعين يقول كلمته فنهضوا جميعاً يخفون سلاحهم تحت الثياب ، ومشوا في ذلك السرداب الطويل حتى انتهوا الى الوادي ففعلوا ما امرتهم به ، وهم متنكرون بلباس تجار اليامة وتجار الحجاز ، ولم تطلع الشمس حتى اصبحوا وراء الجبل الذي يحجبهم عن عيون اهل مأرب .

أما بلقيس فأوفدت نعي الى البلاط تقول لابن ذي القرنين :

ان مولاتي سترحل الى مكة عند المساء اذا اراد الملك ..

فاضطرب العاشق . وتناول سوطه ، ووثب كالجنون الى الخارج قاصداً

قصر سرحيل .

كان الناس يرونه سائراً فيحنون الرؤوس له وهو لا يبصر احداً! ... حتى دخل القصر ، فرأى بلقيس تبكي في قاعة الجلوس ، ورأى اباهاً واضحاً وجهه بين يديه كالبائس يستسلم الى كآبته!! فلما أقبل ، تراجعت بلقيس الى وراء وهي تغتصب الابتسامات .. وصاح سرحيل قائلاً بدهشة : مولانا الملك!؟

فقال وقد خدعته من جديد ، مظاهر حبيبته : أجل ، لقد جاء مولانا الملك يسأل بلقيس عن ساعة الرحيل ! فرددت بلقيس كلمته كما يردها الصدى ، وظلت ترددها وهي ذاهلة حتى خنقها الدمع ! فحملت اجنحة الحب ذلك الفتى المفتون الى الاعالي وجعل يقول :

ايعجز ملك حير عن منع هذا الرحيل وهو الذي يجود بما يشاء ، ويمنع ما يشاء هنداً يخطر له ؟؟

— بل هو يعجز عن ان يحمى النار التي تحرق بلقيس !! قلت لك يا مولاي  
اني لا اطيق البقاء في مأرب ، في هذا العام ، ولا اريد .. نعم لا اريد ان يصدر  
الملك امره بهذا البقاء ، خوفاً من ان يقتل الفتاة التي احب !  
— ولكن نراك تبكين .

— وكيف لا ابكي يا مولاي وقد صفعني وصية ذي القرنين هذه الصفعة  
الدامية واكرهني على ترك مأرب عاماً كاملاً لا ابصر فيه وجه الحبيب !  
— اذن فابقي واستعيني بالصبر كما يستعين الملك به .

— ولكن نسيت يا مولاي ان هنالك نذراً تعجلت فيه ، وغراماً لا يعرف  
الصبر وانا قريبة من البلاط ، بل يعرفه وانا بعيدة عنه .  
فقال في نفسه : لم ارضاني كله حباً يشبه هذا الحب !  
ثم قال : لم يبق الا ان يسكت الملك ولو قتله سكوته .

— لا تذكر القتل يا مولاي فانا لم اهم بالرحيل الا بعد ان رأيت امراء المخاليف  
يخضعون لك ويلقون بسلاحهم عند قدميك ، ولملت عاطفتها بعينها حتى تردد  
البكاء في صدر الملك وتتم قائلاً :

ارحلي ايتها الحبيبة ، فيجب ان يشقى الملك لثناً بلقيس ، ويتعذب ليصفو  
لها العيش .. ان العرش لا خير فيه ، في نظر الملك ، ان لم يكن لك ، في هذه  
الحياة ، ما ترغبن فيه .

— بل يهنأ مولاي بما في بلاطه من وسائل الهناء ، فعرف انها تعني نساء هذا  
البلاط ، فقال : ليس في بلاطنا من يستطيع ان ينسينا ساعة واحدة ، جمال هذا  
الوجه ، وعدوبة هذه الالفاظ ... فغيرت الحديث قائلة : سترجل عند المساء  
يا مولاي . — نؤثر ان يكون هذا الرحيل في الصباح .

— لا يا مولاي فشرحيل وولداه لا يريدون ان تعلم مأرب بامر هذا الرحيل  
— لماذا ؟

— خوفاً من ان تظن مأرب الظنون ، وتكثر الاقاويل .  
— نراك شديدة الخذر يا بلقيس !



— وهل تريد يا مولاي ان يتحدث الناس بغرام الملك ويجعله اهل مأرب مضغة في الافواه ؟

فسكت قليلا ثم قال : ومن يجمر على هذا ؟

— لا يتحدثون به في الاسواق ، بل يتهايمون وراء الجدران ، والملك بغنى عن ذلك الان .

— ومتى نرسل اليك الغلامين اللذين وعدنا بهما ؟

— لبقيا في البلاط الان فنحن لا نحتاج في سفرنا الا الى عبيد من عبيد القصر .

— بل نبعث بهما بعد ساعة لان الملك يريد ان يكثر الغلمان ، في مكة ، حول ملكة اليمن . وسنعود نحن الى هذا القصر قبل غروب الشمس .

ولم ينتظر جوابا بل خرج وللوسط في يده ، وعلى وجهه كآبة العاشق ، وتردد للعاجز الضعيف .

\*\*\*

## ٨١

بسط الليل جناحيه ، فنشرت السكينة ظلها فوق مأرب ، وكان الملك في قصر شرحبيل ، وقد قدمه قبل ان يجن الظلام ، فلما خرج اصحاب القصر ، مشى الملك معهم في طريق الحجاز ، ليقوم بواجب التوديع والغلامان اللذان اهداهما الى بلقيس يتقدمان القوم ، حتى جاوز المدينة وامسوا في الخلاء .

فقالت بلقيس : استحلف الملك ، بهذا الحب الذي يربط القليلين ، ان يرجع الان . فوقف قائلا : لقد اسودت مأرب يا بلقيس .

— ستبتم بعد انقضاء العام .. ثم هامسته قائلة :

اذكر بلقيس يا مولاي ولا تنس هذا الحب .  
 - بل اذكر انك ستكونين لي الى الابد .  
 - واتربع في العرش بالقرب منك .  
 - اجل فالعرش للاثنتين ، عمرو وبلقيس .  
 - ولكني لا اطيق ان يكون لي شريك فيه .  
 قال : لا تجلس عليه انثى ، غير بلقيس بنت شرحبيل .  
 وكانت تعني شيئاً ، وهو يعني شيئاً آخر ، كما رأيت .  
 فلما قال كلمته الاخيرة ، همزت فرسها قائلة : الى اللقاء ايها الحبيب .  
 فوقف ينظر اليها وعيناه تحترقان الظلام . ثم بات يسمع وقع حوافر الخيل  
 وقلبه يخفق . ولم يلبث حتى انثنى راجعاً وهو يقول : ان في البلاط طائفة من  
 الحسان ، فلنعالج هذا الغرام ربّما تعود الملكة .  
 وهذه اطيب ذكرى يحملها في قلبه الملك المجنون !

\*\*\*

## ٨٢

مضى من الليل نصفه . فجعلت بلقيس تهامس اباهـا وأخاهـا . ثم امرت القوم  
 بالوقوف . وبعد ساعة .. اجل بعد ساعة واحدة ، كان غلاما الملك قد قتلـا ،  
 ودفنا وراء احد الصخور . ثم تحولت طريق الحجاز الى طريق مغار . ! فاصبح  
 الشمال جنوباً ، بفضل ذلك التدبير الذي اعدته بلقيس من قبل .  
 ولم تمر الايام القليلة حتى كان القوم جميعهم في ذلك المخلاف البعيد عن مأرب  
 وكان الناظر الى بلقيس يحسبها غلاماً امرد من غلمان الشام .  
 اما صاحب همدان فكان قد برح به الهوى ، فاقبل في احدى الليالي ، يسأل

تلك الحبيبة الطامعة ، ان ترضى بالزواج ، ثم تخوض بعد ذلك غمار الحرب وتتب الى العرش وهي اميرة همدان ، فقالت له : لقد اقسمت ايها الحبيب اني لا اتزوج الا وانا ملكه .

— ولكننا لم نخط بعد الخطوة الاولى في سبيل هذا الملك .

— لقد قربت الايام كما ترى فلا تعجل في الزواج .

— واذا خاننا الحظ يا بلقيس ؟

— امامنا واحد من امرئى يا ذا تبع ، اما ان نظفر فيستقيم لنا الامر كما نشاء

واما ان نفشل فنموت ونحن مجتمعان في الحالين .

ثم قالت : اريد يا ذا تبع ان ترف اليك بلقيس اليوم ، والامراء يتهيأون للقتال وعشائر اليمن تحمل السيوف لتجلسها او تجلس اباهها على العرش الحيري؟ افلا تستطيع وانت احب الناس الى بلقيس ، ان تصبر كما يصبر الملك المستهتر المجنون الذي تخضع له نساء اليمن ورجالها كما يخضعون للآلهة ؟ ان الملك يقدر اذن ، على رغم استهتاره ، ان يغلب غرامه ، اما انت فلا تبالي الا بهذا الغرام ، تغذيه وتجاريه ، ولو خسرت بلقيس التي احببتها تاج الملك ! .

فحاول ان يجيب فاسكنته قائلة : اعلم ايها الحبيب ان الحب الذي ينمو في صدرك ينمو مثله في صدر بلقيس ولا تستطيع العروش وقوى الملوك ان تنزعه منه . ولكن .. ولكن شريعة القدر ، شريعة جائرة لا ترحم احداً فخير لي ولك ان نخطو الخطوة الاخيرة في سبيل المحد ليفعل القدر بعد ذلك ما يطيب له ... نعم ايها الحبيب ، لم يبق الا ان اثب كما يثب الليث ، فاعضب رأسي بتاج اجدادي او اموت .

فلسي ذو تبع غرامه ولوعته واجابها قائلاً : سبرفك سيف امير همدان الى للعرش الذي تطمعين فيه .

قالت : انه سيف الحبيب الذي سأعيش العمر كله وفيه له . وكانك في سرها تلعن المطامع والعروش التي تبعتها عن تنواه .

ثم اقسم الاثنان ، قبل ان ينصرفا الى القاعة التي يجتمع فيها الامراء ، انها لا

يذكر ان الزواج ، الا بعد ان يصبح بلاط عمرو بن ذي القرنين ، ملكاً لآل  
هرحبيل بن يعفر .

ولم تنشأ بلبقيس ، ان تكتم رجاها الاسرار ، فخبرتهم كل شيء ، وقصت  
عليهم الحديث كما جرى بينها وبين الهمداني لم تنقص منه كلمة . وقد وافقها  
الجميع في الامر وآثروا قضية العرش على قضية الزواج .

• • •

## ٨٣

طالت الاقامة بمغار حتى كاد العام ينقضي وجيوش المتآمرين لم تنقل الى مأرب  
قدماً ، ولم يسمع لها صوت !

انه لم يكن من السهل على الامراء ان يجمعوا الجيوش ، بعد ان تفرقت ، في  
بضعة اشهر ، فللعشائر مواسم وحاجات لا يريدون ان يخرموا اياها ، وغلغل  
يجب ان تحفظ في المخاليف قبل ان تخرج الرجال الى الحرب . . ومن يعلم ، فقد  
تمر سنة كاملة والجيوش في الميدان ، فيجوع الشيوخ والنساء ، ويكتنفهم الضيق  
الذي يرافقه الحروب .

أجل ، لم يشأ المتآمرون ، ولم ترد بلبقيس ، ان تزحف للرجال الى مأرب ،  
قبل ان تضمن الراحة للمرأة ، والشيخ ، والضعيف .  
وهذا لا يتم الا في خلال عامين .

وكانت تقول : خير لنا ان نصبر عامين ، من ان نندم على ما نفعل بعد شهر  
ولكن ، ماذا يصنع الملك ، وكيف يهدأ غرامه ؟

لقد مر العام ، وبلقيس لم تعد ، وليس في مأرب رجل يحمل اليه اخبار  
الحجاز . حتى ان الغوث ، وجباراً ، وذا مغار ، منعه اخهارهم !

بلى ، كان عبد شمس قد رجع وهو يحرق اذبال خبيته ، ولم يسلم من ذلك الغضب الناري الذي ينزله الملك بجميع المقرين اليه .

ولكن هذه الخلية لم تكن كاملة ... فقد خدمه الحظ بجعل ذرعة بن حبة اميراً لظفار ، وذرة من رجال ناشر كما علمت .

فكان عبد شمس ، في هذا الاستبدال . يستعجز من الرمضاء بالنار .. اي انه استطاع ، بعد تطوافه في اليمن ، اثني عشر شهراً ، ان يستبدل عدواً فاراً من وجه الملك ، بعدو مقيم !! وهذا هو الظفر الذي يرغب فيه ابن ذي القرنين ... وكانت الايام تمر ، والملك لا يسمع خبراً ، حتى ضاق صدره ، وعاد الريب القاتل المضنى الى ذلك الصدر .

ومعدي كرب وعبد شمس لا يحسran على النظر اليه ، بل لا يحسran على المثل بين يديه ، الا اذا امرها بذلك .

فيينا هو ، في صباح يوم ، يروح ويحيى في رواقه ، والمهموم تملأ نفسه ، أقبل حاجبه يقول له : ان نائلا غلام عمك شرحبيل يستأذن عليك ، فبرقت عيناه .. ومشى بخطى مضطربة الى قاعة الجلوس وهو يقول :

ليأت نائل فهو رسول خير ، فدخل نائل وجثا عند قدميه ، ففاجأه بقوله :  
هات يا نائل ، انك غلام بلقيس أليس كذلك ؟

— نعم يا مولاي .

— وما وراءك ؟

فناول الغلام رسالة صغيرة جاء فيها :

« مولاي الملك ... ان غلامي نائلا يمثل بين يديك وينقل اليك كل شيء »  
وليس في الرسالة توقيع .

فقال : ويلك من هو صاحب الرسالة ... اشرحيل ام ابنته ؟

— مولاتي بلقيس !

— واين هي بلقيس الان ؟

— لا اعلم يا مولاي ، فقد اقبل عبدها امس يحمل هذه الرسالة ويأمرني

باسمها بان اقصر على الملك بعض الاخبار :

— ولم يقل لك العبد اين هي مولاته ؟

— لا يا مولاي لم يقل شيئاً من هذا ، وعندما هممت بان اسأله ، خرج من

فناء القصر كما يخرج اللص الخائف وحجبه الظلام عن عيني .

ودخل ، في تلك اللحظة سرح ايبن كاهن مأرب .

فد الملك اليه يده قائلاً :

اجلس ايها الكاهن واصغ الى حديث هذا الغلام فقد تعلم من الاسرار اكثر

مما يعلمه الملك ... قل يا نائل ، ماذا خبرك عبد السوء ؟

— لقد رجع مولاي شرحبيل وولده من الحجاز ! ولكن مولاتي بلقيس لا

تفكر في الاقامة بمأرب الا بعد ان تدفع اليك أعداء العرش !

فجعل يضرب مقعده بسوطه ويقول : من قال لبلقيس ان الملك يرضى بان

تطوف هي في اليمن لاجل هذه الغاية ؟

فسكت الغلام ولم يجب .

ثم قال الملك : ألم تعلم بلقيس ان قواد الجيش عجزوا عن هذا ؟

فقال سرح ايبن : ولكنه اخلاص لا يظهر مثله القواد الذين ذكرهم الملك .

لقد ارادت بلقيس يا مولاي ان تدخل قصرها والملك ناعم البال ، ثم تزف اليه

واليمن كلها خاضعة له ، واعدائه مستسلمون .

— على ان في ذلك عاراً على ملك حمير .

— وما هو وجه العار يا مولاي ؟ الم يكن شرحبيل بن عمرو وفيماً لعرشك ؟

— بلى .

— اذن هو لا يريد ان يجعل ابنته ملكة قبل ان يثبت لمولاه من جديد امر

هذا الرفاء .

— ولكن الملك لا يحتاج الى وفائه ولا يفكر فيه ، لترجع بلقيس الى مأرب

وهذا يكفي .. وقال لنائل : قل لنا ايها الغلام ، أتؤثر الحياة على الموت ام ماذا؟

— الحياة يا مولاي فانا لا ارغب في الموت اليوم . وارتسم الذعر على جبينه .

فقال : وكيف تسلم هذه الحياة اذا لم يبق عليها الملك .  
 - وهل يقتل مولاي غلام زوجته ؟  
 - نقتله اذا خطر له ان يخدع الملك ، بالامر الذي نعهد اليه فيه !  
 - مر يا مولاي .  
 - تخرج الان وتترك قصر مولاك . ثم تطير في فضاء اليمن كما يطير الجنى حتى تعرف مقر بلقيس .  
 - ولكني لست من الجن يا مولاي !  
 - كن جنياً فالملك يريد ذلك ! اجل ، قد يخطر لك الان انك ستنجو من ملكك بان تجعل جوف الارض ملجأ لك ، فوتربة ذي القرنين لئن خطر لك هذا لنحفرن الارض كلها حتى ننتقم منك .  
 - اذن يأذن لي الملك في ان اصيغ بضعة اشهر لابلغ الغاية .  
 - امهلناك شهرين اثنين ليس غير  
 - اجعلهما ثلاثة يا مولاي .  
 قال : ما هو رأيك ايها الكاهن ؟  
 - الامر صعب يا مولاي فليجد الملك بشهر آخر .  
 قال : ليكن الاثنان ثلاثة فاذا ترى ؟  
 - ارى ان الموت ينتظرنى في هذا البلاط ! سأكون جنياً يا مولاي بل سأكون عقاباً يطير من قطر الى قطر حتى ارى مولاتي بلقيس بعيني الاثنتين .. ولكن سأعود عندما ينبغي رجائي ، الى مولاي الملك واضع عنقي على عتبة هذه القاعة قائلاً له : اضرب يا مولاي فقد خانني الحظ ! .  
 - لقد رضىنا الان فاحذر ان تقول لبلقيس كلمة مما سمعت .  
 وهم بان يأمره بالانصراف ، فقال الحاجب : رسول من الجنوب يا مولانا .  
 فقال : ماذا في الجنوب ؟ اعادت الحبشة الى الظهور على الشاطئ ؟ . ادخل يا غلام ، فدخل ، فقال الملك : انك يمى فن ارسلك ؟  
 - عامل مولانا الملك .

— خذ يا سرح ايين رسالته واقرأ :

« الى تبع العظيم ملك سبا وحضر موت وريدان من عامله في جنوب اليمن :  
لقد ظهرت في البحر سفن الحبشة ثلاث مرات ثم اختفت ، ولم تلبث حتى ظهرت  
اخيراً بالقرب من الساحل وهي باقية الى الان » .

فرمى السوط من يده وجعل يقول : انها طلائع حرب فتأر الحبشة لا يموت .  
اين معدي كرب وهبد شمس .

فحضر الاثنان ، فقال : ليبد كل منكما رأيه .. لقد استعادت الحبشة قواها  
وارسلت سفنها الى الشاطئ الجنوبي .

فأطرق الرجلان ، وكان معدي كرب يقول في نفسه : لو كان لك ايها الملك  
قائد جيش لما شاورت سواه .

فأدرك الملك معنى ذلك الاطراق ، فقال : اتضمن الظفر بالحبشان يسا عبد  
شمس اذا جعلناك قائد الجيش اليمني ؟

فخاف الامير ان يعده بالنصر ثم يسمي وعده فشلا وخيبة ، فقال :  
احرب حتى اقتل يا مولاي .

— وانت يا معدي كرب ؟

— اضمنه يا مولاي وستنتهي الحرب اليوم كما انتهت بالامس .

قال : لو استطاع الملك ان يقود جيشه هذه المرة الى الميدان لهان الامر ،  
ولكن شؤون الملك تقضي علينا بألا نترك البلاط .. اعد ما قلت .

— اعيد قولي اني اضمن النصر للملك .

— اذن فأنت قائد اليمن مذ الان وسنلبسك غداً طوق العاج الذي يضعه

الملك في عنقه ، في الميادين .. ولكن اضرب ايها القائد ولا ترحم فاذا فازت  
الحبشة اليوم ترعزعت اركان العرش غداً وضاع ملك حمير ؟

قال : لو كانت لنا سفن تحملنا الى بلاد النجاشي لانتزعنا تاجه !

— احسنت فقد وثقنا بك كما نتق بالآلهة .. اكتب الان ، الى ذي مغار ،

والغوث بن راهط ، وجبار بن دوير ، وذرة بن جبابة ، والى جميع اصحاب



المخالفين ، ومرهم باسم الملك بان يجمعوا الجيوش وينتهيوا لخوض الغمرات .  
— سأفعل يا مولاي .

— ادعهم الى مأرب فالملك يريد ان يرى بعينه اعلام قومه تحقق في الهواء .

— لقد رأيت رأياً يا مولاي .

— ما هو ؟

— هو ان اتعجل في السفر ، مع عبد شمس ، والجيوش المقيم بمأرب ، وبما

يهاورها من الاقاليم ، ليعود الامل الى صدور اهل الجنوب .

— ثم يلحق بك الامراء بعد ذلك ؟

— نعم يا مولاي .

— انه رأي لا يجد فيه الملك الا الخير .. أتستطيع ان تجمع من مأرب والاقاليم

التي ذكرت عشرة الاف رجل ؟

— بل اجد فيها اكثر من خمسة عشر ألفاً .

— اذن فافعل ما امرناك به ، ولا تنس ان تأمر الامراء بالحجى الى مأرب

ليراهم الملك قبل الذهاب الى الحرب .. اخرج الان ، وانصرف انت يا عبد

شمس لتعد الجنود .. اما انت ايها الفتى ، فارجع من حيث جئت وقل لمولائك ان

يثبت في وجه عدوه ريثما تصل جنود الملك .

فخرج الثلاثة ، فقال : أرأيت يا سرح أين كيف يجور الزمان على الملوك ؟

— أين هو هذا الجور يا مولاي ؟

قال : يفر رجال البلاط من يد الملك ويتبع هذا الضرار احتجاج بلقيس ،

ثم تهددنا الحبشة وتوعد وتقول اين هو هذا الجور ؟؟ ان في صدر الملك من اهم

ما لا يطيق حمله الجبل العظيم الذي ينطح رأسه السحاب !

فقال في نفسه : ذلك شأن الملك الضعيف الذي ليس له رأي .

ثم قال : ستظهر بلقيس بعد هذا الاحتجاج يا مولاي ويظهر معها رجال

بلاطك الخونة ، ثم يسقط تهديد الحبشة في البحر وينتهي الامر .

وكانه ندم على ما ظهر منه فقال : اجل سيتم الامر كما يريد الملك ولوحاربته

قوى الارض والسماء.. اذهب يا نائل ولا تتردد في امرك ... اما انت ايها الكاهن  
فاسأل الالهة ان تجود على جيوش الملك بالنصر .  
وأوما اليه بان يتاوله سوطه ثم خرج على عادته الى ذلك الملهى الذي اعده  
له ابوه في القصر

\* \* \*

## ٨٤

عندما يحن الظلام يا نائل .. أسمعت ؟  
— نعم يا مولاي .

وعندما حن الظلام ، كان نائل في قصر سرح ايين الكاهن الاعظم وقد  
كتب هذا الكاهن رسالة طويلة يحملها نائل الى بلقيس .  
وهذه هي رسالته :

لقد ملأت سفن الحبشة بحر الجنوب . الملك يطلب جميع الامراء مع جيوشهم  
ليوجههم الى ساحة القتال .. معدي كرب وعبد شمس يسبقان الجيش بعد بضعة  
ايام .. ان الساعة التي تطلبها الاميرة قد اتت الان .

وبعد هذه السطور ، سطور اخرى كثيرة ، وصف بها سرح ايين حال الملك  
ومهمه وحياته في البلاط ، فاخذها نائل ، ولكنه لم يذهب في ذلك ، بل استخفى  
في القصر حتى غادر معدي كرب وعبد شمس ارض مأرب ، فغادرها هو بدوره  
ذاهباً الى مغار .

وكانت جيوش المتآمرين ، تجتمع في سهل فسيح ، بين براقش ومغار ،  
تقوم فيه بعض الصخور السوداء ، كالتماثيل التي تهزأ بالاجيال ، وكان الجنود  
يقولون : دعينا للقضاء على اعداء الملك الذين لا نعلم من هم !

اما شرحبيل وولده ، فلم يعلم غير الامراء ، ورجال قصر ذي مغار ، انهم يقيمون بذلك القصر ..

تنكروا حتى جهل المقربون امرهم . وقام في الاذهان انهم من اهل صرواح وقد جار عليهم الدهر ففتح لهم ذو مغار ابواب بيته !

اجل ، كانوا ضيوفاً غرباء ، غير ان الامر والنهي في ايدي هؤلاء الضيوف الغرباء ، لا ينقل جندي من صف الى صف الا باذن ذلك الغلام الامردي العينين الساحرتين ، والوجه الجذاب المتان ...

وكانت بلقيس ، عندما قدم نائل ، تنتظر اخبار سرح ايبن ، ذلك الرجل الكبير في مقامه ، والمقرب الى ملكه .

فلما قيل لها جاء نائل : التفتت الى ذي تبع قائلة له : يخيل الي ان اليوم الرهيب قد اقبل ، ونادت نائلا فتناولت رسالته وهي تكاد تفرسه اقتراً ثم اقتر ثغرها وقالت لاييها : اقرأ يا مولاي وقل لامرائك ان ينفخوا في الابواق .

فقرأها شرحبيل وبيده ترتجفان ثم جعل يخاطب ملك حبر قائلاً :

لقد جاء يومك يا ابن ذي القرنين !

وقبل ان يعقد مجلس الحرب ، في ذلك المساء ، اقبل رسول الملك ، يحمل اوامره وامر قائده الجيش معدي كرب ! الى اصحاب الخاليف ، فدعاه ذو مغار وقال له : الم يعطك الملك رسالتين تسلمهما الى صاحبي براقش وبينون ؟

— بلى يا مولاي .

— اعطني اياهما وقل لمولانا الملك ان الجيوش ستزحف الى مأرب ...

— ولكن الملك امرني بحمل الجواب .

— سيحمل هذا الجواب رسول من براقش .

ثم قال : ان الغوث وجباراً مقيماً بهذا القصر ، ادع الغوث يا غلام .

فلما حضر الغوث قال الرسول : لقد صدقت الان وهذه هي الرسائل .

وعرف الفتى ان مهمته قد انتهت ، فبات ليلته في القصر ، ثم تركه عند

الصباح راجعاً الى مأرب ، ولم يخطر له ان شرحبيل وبلقيس يقبضان بذلك  
القصر نفسه .

• • •

## ٨٥

« اعترف بذنبي الان يا مولاي فقد اخطأت فيما فعلت ، ولكني لم أشأ انلدخل  
الى مأرب كما قال لك نائل ، واعساء الملك احرار .. اني اليوم في مغار . وقد  
قبض جندها على ناشر ورفيقه الذين كانوا يجمعون الخراج باسم الملك ، في  
اطراف اليمن ١ .

لقد امنهم ابي يسا مولاي على ان يكون للملك رأيه فيهم عندما يدخلون  
البلاط ... قرأت اوامر مولاي التي ارسلها الى الامراء في هذه الاقاليم ، واني  
أرى الجيوش تجمع بسرعة لتكون في مأرب بعد شهر ومنها الى ساحة الحرب ،  
وكنت أؤثر يا مولاي ان يتوجه الجند الى القتال دون ان يذهب الى مأرب ولكن  
هي ارادة الملك التي تنفذ في الامة والجيوش والتي تسكت عندها اراء القواد  
والمقربين فاهناً يا مولاي بما وهب لك من عظمة وقوى وليمت عدوك ذليلاً  
عند قدميك »

هذا هو كتاب بلقيس الى حبيبها الملك .. وهو كتاب صريح يحمل معاني  
الاستسلام ، والاخلاص والغرام .

وأوصت غلامها بما يجب ان يقول عندما يقابل ذلك الحبيب .

وقد رأت ان يكتب ابوها الى جابر بن مفروق وامير مذحج ، فلم يوافقها  
الامراء في ذلك الرأي وكانوا يقولون :

الجيوش كثير ونحن نضمن خلع الملك المجنون .

• • •

مشت الصفوف من مغار وهي تهتف للملك الحيري ، وقد كتموها السر الذي تزحف الى مأرب من اجله .

كانت واثقة بانها زاحفة بأمر الملك لصحارب الحبشة ، وان العداوة التي اوقد نارها ذو القرنين ، بينه وبين اشراف ذلك القطر ، قد زالت الان .  
غير ان بلقيس لم تشأ ان يعين الجيش في وثوقه ، خوفاً من ان تسوء العاقبة ،  
هندما يطرد الملك من البلاط .

فدعت القواد ، عند حصن نشق قائلة لهم :

يجب ان يعرف الجيش كل شيء قبل ان نصل الى مأرب .

فطاف القواد بين الخيام يهايمسون الرؤساء .. ثم جعل الرؤساء يهايمسون الجماعات ، حتى عرفت الصفوف كلها ان ميدان الحرب قد يكون في مأرب وليس في الجنوب .

ولم يبق ، بعد ان احتاطت بلقيس للامر ، من كل نواحيه ، الا ان تمشي الى غرضها على مهل ، مع جيشها الخاضع في ظاهره ، والناثر في داخله .

وكان نائل في ذلك اليوم ، قد دخل البلاط ، فاشرق جبين الملك وهو يقول

له : لو لم تكن قد بلغت الغاية لما رجعت ، قل اين تركت بلقيس ؟

فقال : تركتها على رأس جيوش الملك التي دعاها الى الحرب !

— جيوش مغار وبراقش ؟

— نعم يا مولاي ، ومعها امراؤك الخونة الذين فروا من يدك .

فابتسم ابتسامة فيها العز والكبرياء ثم قال : وهل رأيتها انت .

— نعم وهذه هي رسالتها اليك .

فأخذ العاشق يقرأ وابتسامته تزداد ، والبشر يغمر وجهه حتى خيل الى نائل

انه سيسقط على الارض من فرجه .

ثم تتم قائلاً : وامنهم شر حيل ؟

— اجل يا مولاي ولكنه لم يفعل باسم الملك فلك يا مولاي ان تهدم هذا

الامان اذا شئت .

قال : الويل لمن يخاطب الملك بأمر العفو عن هؤلاء ٠٠ أيفرون ثم يجمعون  
الخراج ليزعزعوا بيت المال ونمقو؟؟ قتلنا الالهة ان لم نقتلهم كما يقتل الخوثة  
الاوغاد ٠٠٠ متى يصل الجيش يا نائل ؟

— بعد خمسة ايام يا مولاي

— ولكن رسولنا الى الاقاليم لم يذكر لنا كلمة عن هذا الجيش .

— وماذا يذكر لك يا مولاي وهو لا يعلم شيئاً عنه، ان مولاتي بلقيس ارادت

ان تفاجيء الملك بالبشرى فنتعت ذا مغار من ان يكتب اليك !

قال : نراها تهتم لشؤون الملك ولا تبالي بما هنالك من شؤون الحب . فليس

في هذه السطور ذكر للزواج !

فعجب الفتى لخفة هذا الملك يحادث الغلمان بامور غرامه فقال :

لقد امرتني بان انتقل اليك ان هذا الزواج سيكون في هذا الشهر وهي لم ترد

ان تصف شوقها على الرق .

— وكيف يتزوج الملك وقواده في الميادين ؟

— اذن يتزوج مولاي عندما ينقلون اليه اخيار الظفر .

— سننظر في هذا بعد رجوع بلقيس .

وقال لحاجبيه : ليحضر حاشد .

فلما جاء قال له : ان الملك سيطعم الناس بمدة ستة ايام فتهيأ للامر وانقل

الى غلمان البلاط .

وقال لنائل : لم يبق ما نقوله الساعة فانصرف الان وكن مع حاشد يوم يحضر

الجيش .

فخرج الغلام اللعين وهو يخاطب نفسه :

سيكون البلاط في ذلك اليوم ايها الملك لشرحيل ابن عمك !

\* \* \*

اختلف المؤرخون في ذكر الزمان الذي قضاه عمرو بن ذي القرنين على للعرش هذا يقول عشرة اعوام ، وهذا يقول غير ذلك ، الامر الذي يدل على الاختلاف مصادر المؤرخين .

لنفترض ان القوم اعدوا عدتهم ليخلعوا ملكهم عمراً ، بعد ان طوى من سني الملك اعواماً عشرة .

ان الزمان بين جلوسه وخلعه ، لا تحدده ولا نعرض له فافترض ما شئت ، هل ان لا تزيد السنين على العشر . هذا جيش المتأمرين .. اطل على مأرب يحجب الافق ، واهازيجه تملأ الفضاء ، وليس فيه من يهتف لغير الملك .

وكان عمرو ، على احدى الشرفات ، يسمع الاصوات القائلة : الى الحبشة ! وليمت النجاشي ! والزهو يرنح عمراً ، والخيلاء تملأ بردتيه . حتى دخل القواد وطائفة من الجيش ، من باب السور ، وبقيت طائفة اخرى وراءه كأنها تحاصر هاصمة الحميريين .

ودار الجيش في الداخل حول البلاط يجعله ضمن نطاق من السيوف والحراب ويمنع الناس من الدخول والخروج .

والملك لا ينظر الى كل هذا ، بل كان يرسل النظرات المضطربة الى الصفوف ليتين بينها تلك الحبيبة الحسنة .

ولكن بلقيس كانت غلاماً .. ضائعاً بين الغلمان .. وقد استطاعت ان تقف لحظة عند باب القصر ، مع ايها واولئك الانصار ، ثم اومات الى الهدهاد ونائل بان يتبعها ، وهزمت فرسها راجعة الى البيت الذي خرجت منه ..

غير ان نائل لم يلبث حتى رجع الى البلاط ، ليحمل الى سيدته اخباره . وكان الملك قد مل وتعب نظره .. فانشى الى تلك القاعة الفسيحة التي يجلس

فيها لرعيته ، وسوطه في يده وهو يعبث به .  
واقبل شرحبيل في مقدمة الاشراف ، ثم تبعه الفوث ، وجبار ، وذو مغار  
وياسر وايديهم على السيوف ... ثم ظهر بعدهم ناشر ، وعتيك ، وذو تبسح ،  
ولا سيوف معهم . ثم دخل على الاثر ، سرح ايبن وذرة بن جياة .  
فوقف الملك وقد لمع الشرر في عينيه .. وعرف القواد اسباب غضبه ولكنهم  
لم يكثرثوا له ، بل سجدوا كما كانوا يسجدون ، وسلموا كما كانوا يسلمون .  
الا ناشرأ ورفيقه فقد وقفوا مطرقين وايديهم على الصدور ، فرفع الملك صوته  
قائلا : ما هذا يا شرحبيل ؟

— ماذا جرى يا مولاي ؟

— اتدخلون قاعة الملك والايدي على السيوف ؟

— نعم فرجال الحرب لا يتركون سيوفهم في الميادين .

— ولكنكم في بلاط الملك الان .

— ولكننا ذاهبون الى القتال ونحن قواد اليمن واشرافها فلا نضع سيوفنا

حتى نجعل رقاب اعدائنا مواطىء للنعال .

وكانت لهجته قائدة بين جيشه ، لا لهجة امير بين يدي مليكه .

فقال : لم يفعلها التبابعة قبلنا حتى نفعلها نحن .. ضعوا سيوفكم في الرواق .

خلعها يا غلام ..

— بل نضعها هنا عند قدميك ، وجرد سيفه والقي به الى الارض ، ففعل

الامراء كما فعل وهم يبتسمون ابتسامات الاستخفاف .

ثم جلس الملك وامرهم بالجلوس وهو يقول : هذا انت يا امير ظفار ؟

— كنت اميراً يا مولاي ..

— واليوم ؟

— اما اليوم فقد اصبحت صعلوكاً لا امارة لي ولا مال ...

قال : اما المال فقد جمعتم منه الشيء الكثير ... اين الخراج الذي سرقتموه

من رعية الملك ؟



— احتفظ به كله امير همدان ... فنظر الى ذي تبع نظرة الذئب .. ثم قال

لناشر : ولماذا فررت من قصر مولاك ؟

— اغراني بهذا القرار امير همدان !

فامتلاً صدر الملك غيظاً من امير همدان ... انه بطل الرواية على ما ظهر له ،

وهو سبب البلاء ، فقال له : ادن منا ايها اللعين !

فدنا وهو ساكت ، وعلى ثغره تلك الابتسامة التي ذكرت لك .

— ادن ايضاً .. فظن ذو تبع انه سيفاجئه بضربة من خنجره . ولكنه دنا

وهو حريص على حياته حتى اصبح بين الاثنين قيد ذراع ، فقال وصوته يرتجف :

قل الان يا خائن لماذا فررت ؟

— لاني رأيت الملك يسفح دماء قومه ويشرب هذه الدماء !

— وبلك أنجرؤ على ان تقول هذا والموت ينظر اليك ؟

— اقله لان الموت ينظر الي ولا ابالي .

قال : كان عليك ان تعلم ان الملك يسفح دماء الخونه مثلك .. اكان

ونار ذمر بريثاً ؟

— لقد تأمر مع ابيك على شرحبيل وبلقيس ولم يتأمر على الملك

— اذن كنتم انتم الكذبة !

— وكنا متآمرين !.

قال : اسمع يا شرحبيل !

— انه يهذي يا مولاي فاضرب عنقه .

قال : سنفعل بعد ان نسمع اعترافه : . هات ايضاً .

— أسأل ايها الملك !

— هل كان هذان الاثنان شريكين لك في المؤامرة ؟

— كان عتيك سيد المتآمرين وناشر صاحب سره .. وضحك قائلاً : ولماذا

لا تسألني عن عمك شرحبيل وهو الذي كان يأمر ونحن نطيع .. عمك هذا ايها

الملك الا تراه ؟ فتلفت الملك خائفاً كأن تلك الكلمة انذار له .. ولكن هدوء

شرحبيل ، اعاده الى هدوته ، فجعل يقول : انه اعتراف غريب نخشى ان تكون صادقاً فيه ، ففقهه كأنه بين قومه ، وهي المرة الاولى التي يفقهه فيها رجل امام بيع العظيم لاله اليمن .

والملك يحتمل ويقول : اضحك للموت يا لعين .

— بل اضحك لهذه الحكاية التي كاد الملك يؤمن بها كما يؤمن بالالهة .. اسمع

يا مولاي ، ألم اقلد حياتك وانت في مهرة من سيف ذلك الحبشي ؟

— وهل تمن على الملك يا ابن همدان .

— بل اسأله ان يمجد علي بالحياة كما فعلت معه .. فضاق صدر الملك وقال :

ليس لمن يخون الملك حياة ، اعطنا سيفك يا ذرعة .

— بل يبقى هذا السيف في موضعه ربنا ابوح لك بكل ما اعلم ... ان

شرحبيل بن عمرو امنني كما أمن رفيقي فهل تريد ان نعيش ؟

— لا

— وما هو الذنب الذي نستحق القتل من اجله ؟

— ذنب الخيانة .

— اذن فالخونة يريدون ان يموتوا دفعة واحدة ايها الملك .. ابدأ بعملك

شرحبيل فقد تأمر عليك لان أباك اراد ان يعث بشرفه .!

فاحمرت عين الملك وقال : أخذ انفاسه ياعم ، فاجابه شرحبيل قائلاً : صدق

الرجل فقد فعلت ما ذكره لك .. فعض على شفته قائلاً : ولكنك والديلبقيس ،

وامعن ذو تبع في اعترافه فأخذ يقول : والغوث خائن لان اباك جرح كرامته

وانتهك حرمة .

قال : يا غوث ؟

قال : أجل ، واستخففت انت بي فلم تعتذر ولولا دهائي لقتلت وسال دمي في

هذه القاعة .. الا تذكر هذا يا ملك حمير ؟ فأيقن المسكين عندئذ بانهم جميعهم

جلادوه ، وجعل ينظر الى جانبيه وقد اصفر وجهه وذهبت عزة الملك .

اما ذو تبع فاستطرد قائلاً :

اسمع اعترافي يا عمرو ! انك الان بين ايدي قواد اليمن الذين يخضعون جميع  
المخالفين بقوة السيف على الرغم منك .. ألم تسلب ناشراً حبيته وتهشم جسدها  
الندي بجنورك ؟ ألم يقتل آل بيتك والد عتيك بن روضة افطع قتل وقد صبر  
هتلك هذه الاعوام كلها ليثار به ؟ قل يا عمرو اتستعين الان بسرح ايين وهو  
هين لنا عليك ، ام بذرة بز حياء وهو من رجال نائثر ؟

فحاول الملك ان يخفي اضطرابه فلم يقدر .. ثم قام في ذهنه انه بين يدي  
الجلاد ، فجعل يصيح قائلاً : يخونون الملك ويقتلونه في بلاطه وليس في هذا  
البلاط رجل واحد يدافع عنه ؟

قال : لو اردنا قتلك لما ابقينا عليك الى هذه الساعة .. لقد وهبت لك بلقيس  
الحياة ، فلا تخف ، وكن شجاعاً كما كنت فالملوك لا ينسون عزهم اذا اكلهم  
وجه الزمان !

فزاد اضطراب المسكين ودمغت عيناه .. ان يد بلقيس تلعب من وراء الستار  
وهو لا يعلم .. وقد ضاع امله بغرامه كما ضاع امله بالعرش .  
واخذ يردد كلمة الفتى : لقد وهبت لك بلقيس الحياة .. ثم قال :  
اذن فانتم تفعلون هذا باسم بلقيس ؟

— اجل فهي صاحبة الامر في كل ما تراه الان ولا نعم اذا كانت عاطفة  
الحب هي التي اوحى اليها بان نعفو عنك .

فعادت اليه ، عندما كمل يأسه ، عظمة الملك فقال :  
أتهزأ بملكك يا ابن همدان وقد كنت عبداً له ؟ اقتلوني ايها الانذال فأنا احزل  
وهذه سيوفكم عند قدمي .

— بل تنزل عن العرش وتطرد من مأرب .. هكذا ارادت بلقيس .

— ومن يجلس على عرش حمير ؟

— تجلس فيه بلقيس ايها الملك .

— وهل تزوجت ؟

— لا ، ولكنها ستزف الى الفتى الذي يخاطبك الان !

فحشى رأسه للقدر الجائر ثم وضعه بين يديه واستخرط في البكاء .  
وليس في ذلك ما يدعو الى الاستغراب فبحض النفوس وان كبرت ، تصغر  
هند الاهوال .

ولكن الغرابة ، ان غرام الملك استيقظ في تلك الساعة الرهيبة ، واستيقظت  
معه ذكرياته واحلامه التي عقيتها الخيبة القاتلة . !  
ولعل الكبرياء وحدها هي التي استيقظت فيه .  
فنهض عن مقعده قائلاً لشرحيل : هذا هو المقعد الذي اعده الملك بلقيس  
فلتجلس ، فقد نخل لها عنه .

غير ان ذا تبع كان قاسياً اذ قال : بل تنزع منه زعماً يا ابن ذي القرنين . .  
قيد يدي هذا الرجل يا ابن جبهة .

فقام ذرعة ففعل والملك مستسلم هادئ لا يقول كلمة .  
ثم قال صاحب همدان لمرح ابين : اليس لك ما تقوله ايها الكاهن ؟  
فنهض وقال : اخلعتم ملككم ايها الامراء ؟  
فقالوا جميعهم : اشهد ولنشد الالهة اننا خلعناه !  
فقال : اذن تخرج الان يا عمرو من مأرب على ان لا تعود اليها الى الابد . .  
قال : لي كلمة لا اعلم لمن اقولها .  
فأجابه شرحيل وهو يتسم : قل كلمتك ؛  
— ارجو ان ابقى في البلاط حتى تربيع بلقيس في العرش .  
— مهما تكن هذه الغاية فلا بد من قضائها .

فاحس شرحيل ان قلبه يتمزق فقال : ابني وستري بلقيس رأيها ، ثم قال  
لذي تبع : ادع اشراف مأرب .

وقال للقواد : واركبوا اتم ايها القواد افراسكم وخذوا مركبة الملك لاحضار  
بلقيس بين صفين من الجنود .

فانصرف القوم ولم يبق في القاعة ، غير الملك ، وشرحيل ، وسرح ابين ،

وكان الملك واقفاً ، وعيناه تظفران الى الارض .

\* \* \*

يقول بعض مؤرخي العرب ، ان ملك حير ، انتقل بعد عمرو بن ذي القرنين الى شرحبيل بن عمرو ، ثم الى الهدداد ، ثم الى بلقيس .  
ويقول البعض الاخر انه انتقل الى الهدداد ، ثم الى بلقيس ، ولم يملك ابوها  
بدليل انهم لم يذكروه .

غير ان مؤرخي اليونان ، وبعض المستشرقين الذين قرأوا ما على الاثار من  
اسماء ، يقولون ان هذا الملك انتقل اولاً الى بلقيس ، ثم الى اخيها الهدداد ،  
يثبت قولهم انهم لم يروا اسم شرحبيل بين اسماء الملوك التي عثروا عليها بين  
الانقاض في مدن اليمن . .

\* \* \*

## ٨٧

انتقلت مأرب كلها الى البلاط .. لقد كان الغلمان ينادون في الاسواق :  
خلع عمرو بن ذي القرنين عن العرش وخلفته بلقيس بنت شرحبيل . وهو نبأ  
تهتز له اليمن كلها كما اهتزت له مأرب .

ثم رأى الناس بلقيس ، على مركبة حير ، يحيط بها النبلاء والحراس ، وينشر  
وجهها اشعة البهاء والجمال .

فارتفعت اصوات القوم : تعيش بلقيس !

وهكذا يفعل الناس في كل زمان ومكان .

وكان القصر العظيم يغص بطوائف اليمنيين ، فلما اقبلت بلقيس ، حملها

قوادها ورفعوها فوق الرؤوس ثم انزلوها في تلك القاعة التي ينتظرها فيها الكاهن الاعظم ، والمملك ، سيد الاشراف والكهان .

وقد اصطف الحجاب بباب القاعة بمنعون العامة من الدخول .

فشت بلقيس كما تمشي الملكات ، وعندما توسطت القاعة انحنى لها سرحاين قائلا : لقد عهد الي اشراف اليمن واهراؤها ، بعد خلع ملكهم في ان انادي بك ملكة .. فلتعش ملكة حمير .

فتمت بلقيس الفاظ الشكر وقبل ان تجلس في مقعدها ابصرت عمرأ مقيد اليدين والذل يبسط فوقه ظله .

فقطبت حاجبيها وقالت للغوث : تخلعون ملككم يا امرأ اليمن وتبقونه في قاعة العرش ؟

— لقد امره والد الملكة بالبقاء .

فقال شرحبيل : طلب الي ان ابقيه ريثما تدخلين البلاط ، ففعلت .

فاقبل عمرو يقول : اردت ان ارى للتاج فوق جبينك الزاهي يا ابنة العم ثم أنصرف حيث تشائين !

فحولت وجهها عنه ثم خفضت صوتها قائلة : اخرجوه ..

قال : الي اين يا بلقيس ؟

— الي البلد الذي تطيب لك الاقامة به !

— وهل تريد ان ينزل ملك حمير عن عرشه ويخرج من بلاطه صفر اليدين

وهو الذي يملك جميع ما في اليمن ؟

قالت : اذا كان لك مال فخذ على ان لا تمس مال اليمنيين .

— آخذ مال ابي .

قالت : اعطوه اياه وليخرج الان !

— ولكن لي كلمة اخرى لا اخرج قبل ان تسمعها الملكة ... ألم أعد لك

العرش برضاي لتصيري ربة اليمن كما اصبحت الساعة ؟

— بلى ، ولكنك ، في الوقت نفسه ، اعددت الموت لابي وللأمراء الذين

هولك لانهم مخلصون لي ولآل شرحبيل !

— ولماذا لم تسأليني ان اعفو عنهم ؟

— لاني خفت ان يقودني هذا السؤال الى القبر .

— بل لانيك تحبين صاحب همدان وستتخذينه زوجاً لك !

قالت : اعطوه ماله وليخرج .

— سأخرج يا بلقيس ... ولكن اذا كان ابن ذي القرنين سيحتمل بصبر

تزوله عن العرش فهو لا يحتمل ان يراك زوجة لسواه .

ثم قال : هذا قصر آبائي فخلديه ، وهذا عرشي وتاجي فاهنئي بهما ولكن اذكري هذا ولا تنسي .

ومد يديه كالمستعطي قائلاً للامراء : اعطوا ملك حمير مال أبيه ليقدرا ان

يعيش !! .

فتردد شرحبيل في الامر وجعل ينظر الى ابنته .

وقام ناشر فقال : سيشتري بهذا المال اعداء للملكة !

وقال جبار : لبيق في مأرب وعين الملكة تراه .

وقال الغوث : اجعليه يا مولاتي في احد الحصون بين حراب الحراس .

اما عتيك فكان ارحمهم اذ قال :

بل اقتليه في هذا الرواق الذي تعود ان يسفح فيه الدماء .

فأجابتهم قائلة : اعطوه ماله .. وليشتر به انصاراً له .. وليسترجع العرش

واومات الى ناشر بأن يفعل ، وهي تكره ان تظهر بمظهر الخائف ، في اليوم

الذي ترفعها الايدي الى عرش حمير .

وساد السكون فقد امرت الملكة ولا مرد لما تأمر به .

\* \* \*

هؤلاء اهل مأرب ، الذين هتأوا ، بالامس عمرأ الملك ، يهثون بلقيس ...  
وتلك هي الرواية التي مثلت بالامس ، في قاعة العرش ، تمثل اليوم لم يتفهد  
فيها شيء إلا وجه المالك سعيداً

وقد خرج عمرو يحمل المال الكثير ، وهو جريروح ويحيي ، ويهاس  
ويتأمر على هواه ، دون ان تراه العيون !  
انها خطيئة لا تغتفرها الحكمة بلقيس .

أجل ، لقد وضعت يدها على الملك ، وأمت حراب الجنود وسبوفهم  
شوراً منيعاً يرد غوائل الزمان .

ولكن هذا السور لا يلبث حتى تنفرك اجزاؤه . واولئك الامراء الذين  
يحمون العرش بالقوة والنفوذ ، لا يلبثون ان يعودوا الى مخاليفهم لينظروا في امور  
القوم الذين يسودون ، وماذا تصنع بلقيس ووراءها ملك حر ، غلب على امره  
وغضبه ملكه ؟ انطوق العاصمة ، بصفوف من الجند ، في الربيع والخريف ،  
والصيف والشتاء ، والليل والنهار ، لئلا يمتنع عدوها المغلوب المقهور من استرجاع  
حقه ؟ ام تخذل الى الحياة الهادئة ، والعيش الرغيد ، ثم تفتح الارض فاها وتبتلع  
العرش ؟

ألم تكن تعلم ، وهي نابغة العرب في ذلك الجليل ، ان الاقدار جعلت جيش  
اليمن فريقين هذا في يدها وهذا في يد الملك فهي اذن في حالة حرب دائمة لا يبدأ  
احد الفريقين حتى يسحق الفريق الاخر ؟

ألم تكن تعلم ، ان الغوث وجباراً ومن معهم ليسوا اليمن كلها بل هناك امراء  
كثار ، ومخالف لا تعد ، تقذف المال والرجال ؟

— بلى ، كانت تعلم كل هذا ، ولكنها لم تشأ الا ان تستسلم الى الكبرياء ،



ولم يشأ رجالها الا ان يثقوا بنفوسهم الوثوق الغريب الذي لا حكمة فيه ! لكل نابغ زلة ... ولكل عظمة ساعات جهل وضعف .. لقد زلت بلقيس ، كما زل سواها من ابطال التاريخ ... وما كان القدر ليرحم ملكاً او يثبت على عهد ...

...

## ٨٩

بكى الملك بكاء الطريد الدليل الذي لم يبق له ملجأ في عاصمة ملكه ، وعندما وقف فرسه وراء الجيش خارج السور ، لينظر النظرة الاخيرة الى مأرب ، كانت الشمس تحتجب وراء الافق ، وقد بدأ الليل يرخي على العاصمة جلبابه الاسود .  
فتنهذ قائلاً : لئن نعمت عينك يا بلقيس بالعرش فهي لا تنعم بهذا الزواج الذي تفكرين فيه ... اذكري هذا يا بلقيس ولا تنسي ، ولوى عنق فرسه ليختفي في الظلام ... ولكنه ابصر شعباً يدنو منه ثم تبينه فسح دموعه وقال مضطرباً :  
هذا انت يا حاشد ؟

— نعم يا مولاي وانا ابحت عنك !

— اذن حدث حادث في مأرب ..

— لم يحدث شيء يا مولاي ولكني خرجت من البلاط لآكون بين يدي ملكي فاننا لا اطيق الاقامة بقصر لا يقيم هو به . فجعل يشق ويقول : لقد بقي الملك حمير صديق في بلاطه ...

— لم اكن قط صديقاً يا مولاي ، اني عبد طائع اريد ان اقضي العمر كله نائماً عند قدميك كما ينام الكلب الامين .

— وهل نسيت يا حاشد ان حياة الملك امست شقاء وذلاً ؟

— كانت حياته مجدداً وستعود .. الى اين انت ذاهب يا مولاي ؟  
— الى حيث يقودني هذا الفرس فليس للملك غاية في ذهابه ولا يعلم اي  
موضع يضع فيه قدميه .

قال : أأأذن لي يا مولاي أن أقول كلمة ؟

— قل

— الا تذكر انك ارسلت معدي كرب وعبد شمس الى الجنوب ليحاربا  
الحبشه على رأس خمسة عشر الف رجل من ابطال مأرب ؟

— بلى

— ألم يكن هؤلاء الجنود رجال الميادين في كل زمان ؟

— لا أعلم .

— انهم جنود ابيك يا مولاي وقد خاضوا معه الغمرات .

— وماذا يرجو الملك اذا كانوا كما وصفت ؟

— يستعين بهم على استرجاع التاج والقضاء على الغاصب .

فهز رأسه قائلاً : انك تريد ان يهزأ الملك بنفسه وبقومه ! . ماذا يفعل  
جيش الجنوب مع جيش مأرب ؟ ألم تر فرق الجند التي تطوف وراء السور ؟  
انها وحدها اكثر من جيش الجنوب الذي تذكر واعظم شأناً منه .

— ولكن لم اقل بعد ما اريد ان اقله .

— وهل بقي شيء لم تقله ؟ ستقول ان شجاعة معدي كرب وعبد شمس

تغلب كثرة هؤلاء أليس كذلك ؟

— لا يا مولاي بل اقول ان عندك جيشاً آخر يفديك بدمه .

— دلني على هذا الجيش .

— ألم يجد عليك الغاصب بمال ابيك ؟

— بلى وهي نعمة اذكرها لبلقيس ..

— اذن تستطيع — كما قال ناشر — ان تشتري بهذا المال جيشاً اوله في مأرب

وأخره في الجنوب .

فخفق قلب الملك واصغى الى نديته . وكان حاشد يقول : وسترى يا مولاي ان اليمن كلها ليست بلقيس وان في الخاليف امرأه لا يعلمون من امر خلعتك شيئاً .

قال : كان الملك قد ضيع امله ثم وجده الان .

— نعم يا مولاي فالمال الذي يحمله فرسك يكفي ليشترى اليمن .

قال : هات ايضاً يا حاشد .

قال : سيشتري حاشد غداً فرساً آخر يركبه ليرافق مولاه الى ساحة القتال — ثم ماذا ؟

— ثم نقص على القائدين حكاية بلقيس وتأمرهما بالرجوع مع الجيش الى مأرب لتستعيد العرش الذي سلبتك اياه .

فذكر الملك عندئذ سفن الحبشة التي تملأ البحر ، فقال : لنفترض ان الجيشين يتحاربان اليوم ، فاذنا نفعل ؟

— يترك جيشك ساحة القتال لعدوه ، وليستول الحبشان على ذلك الاقليم بدون حرب .

قال : ويلك يا حاشد أأتعزى مختاراً للنجاشي عن الجنوب الذي يطمع فيه أرايت ملكاً تخرج بلاده من يده وهو قادر على حمل السيف ؟  
— ولكنك اليوم يا مولاي لست ملكاً كما تظن .

— ولكني بمجي .! اجل يعني خسر اليمن كلها دفعة واحدة . . فجعل ينظر اليه وهو ساكت .

فقال : كنت ملكاً يا مولاي فسلبوك تاجك اي انهم سلبوك بلادك وقومك وكل ما هو لك ولا بائك .

— نعم

— وأمسيت يا مولاي طريداً ولا بلاد لك .

— نعم

— اذن فخير للملك الذي سلبوه ملكه ان يسحق عدوه ، ويسترجع هذا

الملك ولو خسر اقليماً واحداً من هذه الاقاليم الكثيرة التي تمتد وراء الافق ...  
ولكن لا يا مولاي فانت قادر على استرجاع هذه الاقاليم من يد الحبشان - ندما  
تظفر بعدوك .

فرأى الملك ان الفتى مصيب في رأيه ، فقال :

ومتى نجمع جيوش المخاليف ؟

قال : نذهب الى الجنوب ساكتين لا نقول كلمة ، ولكن عندما نعود ، تعود  
انت يا مولاي على رأس الجيش ثم تقول للامراء الذين تمر بهم : لقد خان  
الملك ، شرحبيل بن عمرو ، وابنته بلقيس ، فهلم الى مأرب .. ثم تملأ ايسديهم  
مالا فيطيعونك ويلتف حولك رجال يهدمون سور مأرب في ليلة واحدة وينزعون  
بلقيس انتزاعاً من العرش ولو جرستها الجن ، فطابت نفس الفتى الشقي ...  
وقال لخادمه :

من علمك هذا الوفاء يا حاشد وقد كان الملك متغيراً عليك ؟

قال : ما نسيت قط اني ربيت في نعمة مولاي ذي القرنين .

— ولكني لم احسن قط اليك ... — احسن ابوك وهذا يكفي .

قال : لقد سلمت امري اليك فافعل ما انت فاعل .

قال ستهز يا مولاي مرة ثانية صولجان الملك .. وبات الاثنان ليلتهما في احد  
الاودية ثم رحلا عند الصباح .

\* \* \*

البحر في الجنوب ، هادىء صاف ، لا تصخب امواجه ، ولا نهب فوقه  
الرياح الهوج ، وليس على مياهه الصامته ظل لسفن الحبشان !  
وكل شيء في ذلك القطر على حاله الماضية .. انظر الى الشاطيء ، فليس  
في جوه غبار المتحاربين . ونظر الى السهول الجرداء فليس فيها اشلاء الاجساد  
وأثار دماء .. وهذه خيام الجنود .. جنود الملك ، يستسلم اصحابها الى الكرى  
عند الصباح وتخفق فوقها رايات حمير ، اذن ليس في الجنوب حرب يا حاشد .  
— هذا ما يظهر يا مولاي ولعل الاذنة تريد ان تضع يدها بيدك لتعود الى  
مأرب بعد شهر .

قال : مهلا فهؤلاء هم حراس الخيام ، وكان هنالك صف مستطيل من  
الحراس ، فدنا الملك وخادمه من ذلك الصف وقتزا الى الارض .  
فقال احد الجنود لرفاقه : اثنان متكران .. فاقبلوا والرماح في الايدي ،  
وقال رئيسهم لحاشد : من انت ايها الفتى ؟  
— نديم الملك عمرو بن ذي القرفين !

فالتفت الى الحراس قائلا : وماذا يفعل في هذا الاقليم نديم الملك ؟  
فقال حاشد وهو يريد ان يرى تأثير كلمته : يتبع مولاه الى الميادين .  
— ولكن الملك في مأرب .

فرفع الملك قناعه وقال : بل هو هنا . فعرفه الحارس وصاح برجاله : الملك ،  
فخروا ساجدين ثم جعلوا يهتفون له .

فهامسه حاشد قائلا : أرايت يا مولاي انك لم تزل ملكاً ، فلم يجب ، غير  
ان عز الملك مر امام عينيهِ كما يمر الظل ، فمشى الى الامام وهو يقول :

دلوني على خيمة القائد فانا لا ارى رايته .

فساروا امامه وقد عادوا الى الهتاف ، فاسكتهم قائلاً في نفسه : لو عرفتم ايها الحراس ان بلقيس سلبتني العرش لما هتفتم لي .

ومر بين الجنود الذين سمعوا الهتاف وهو لا يلتفت الى احد حتى انتهى الى خيمة معدي كرب فاذا القائد بالباب وعبد شمس بانقرب منه ، ورأى الاثنان وجه الملك الاصفر .. وسفتيه المرتجفتين .. فحقق قلباهما وهما ينحنيان له ، ثم جعلا ينظران بدهشة واستغراب الى ذلك الوجه ، اما هو فدخل وامرهما بالدخول وارخى حاشد ستار الباب ووقف وراءه ، كأنه لا يريد ان يدخل الخيمة احد الجنود ، ثم قال الملك : اين سفن الحبشة وصفوف جيشها يا معدي كرب ؟ قال : لم نبصر لهذه السفن اثرأ يا مولاي .

— وماذا يقول عامل الملك ؟

يقول ان هذه السفن ظلت في البحر بضعة ايام تروح وتجيء ثم اختفت كأنها غاصت في الاعماق !

— اين هو الرجل الان ؟

— في المعسكر يا مولاي .

— اخشى ان يكون كاذباً فيما كتبه الى الملك ألم تسألوا سواء من اهل الشاطئ الذين يصيدون الاسماك .

— لا يا مولاي لم يخطر لنا ان نفعل ذلك . قال : علي به الساعة ، فتسابق الغلمان يطلبونه فحضر ، فقال له : ألم تذكر في رسالتك الى الملك ان الحبشان في البحر ؟

— بلى يا مولاي .

— واين هم ونحن لا نرى في الجنوب وجهاً اسود .. وكان يخاطبه وهو ملك ..

— لا اعلم يا مولاي فقد رأيتهم بعيني واعددت العدة للقتال ريثما يصل الجيش ثم احتجبوا لا يبين لهم اثر وكأني لم ارهم قط .

— ومن رآهم ايضاً ؟

— جميع اهل الشاطئ والجنود .

قال : ليحضر بعض الصيادين يا عبد شمس ، فاقبلت طائفة منهم فقال لهم : من رأى منكم سفن الحبشة على الماء ؟ فقالوا جميعاً : رأيناها كلنا وقد ظلت اشروعها بضعة ايام تصفقها الريح . فاكفى بهذا السؤال واومأ اليهم والى حامله بالانصراف ثم جعل يقول : لقد حسبنا انه يتآمر على ملكه مع غاصبي للعرش ، فقال معدي كرب : من هو اليمني الذي يستطيع ان يغصب الملك عرشه ؟ — غصبونا اياه وانتهى الامر !

فنهض قائلاً : لا تهزأ بقوادك يا مولاي ، قال : اجلس واسمع فالذي يخاطبك الان كان ملكاً لحير اما اليوم فهو يمني عادي يدعى عمرأ وكان ابوه يدعى ذا القرنين ..

فنسي القائد عندئذ كبرياء الملك ولم يذكر غير اخلاصه له ، فقال : ومن هو الرجل الذي يخلف عمرأ ؟

— لم يجد المتآمرون رجلاً يولونه الملك فوضعوا تاج التبابعة على رأس فتاة قال : بلقيس . فقال : بلقيس ؟ ..

— اذن فقد عرفت الخونة يا مولاي ، ان ذا مغار في المقدمة .

— ويتبع ذا مغار جميع الامراء الذين يجاورونه ، عدهم يا جاشد ، فاخذ

الفتى بعدهم حتى انتهى الى ذكر مروح ابين وذرة بن جباء .

فقال معدي كرب : ويخون الملك رجال ظفار وقد اجاتهم بالنعم ؟

— اجل وبلقيس نفسها التي اراد الملك ان يرفعها الى العرش تقود المتآمرين

فاطرق ملياً ثم قال : وماذا يريد مولاي ان يفعل الان ؟ فاجابه عبد شمس :

يستعين بالامناء من شعبه فيزحف بهم الى مأرب .

قال : مغار ، وبراقش ، وبينون ، وهمدان ، ونحلة ، وظفار .. ستة مخاليف

هي اقوى مخاليف اليمن ... اذن يجب ان تغزو هذه القوى باربعين ألفاً من الرجال ...

وانتقل بالفكر والروح ، الى الاقاليم الباقية ، فقال حاشد : سيكون عدو الجيش اكثر مما تظن .. وابدى للقائدين ذلك الرأي الذي ابداه لمولاه ...  
 فدبت نخوة العرب في صدرهما وقالوا : لم يخسر الملك تاجه كما يظن ، بل هي تجربة من تجارب الاقدار . انهض يا مولاي واعرض جيشك ، ولنبدل المال في الاقاليم لتبذل لك الدماء .  
 فعادت الى الملك قوته ، ووثب كالليث الجريح ليستعيد شرفه ومجده .  
 ودعي الجيش المقيم في الجنوب الى السلاح .

• • •

٩١

كانت بلقيس ملكة . ملكة في كل شيء ، اذا استثنت الضعف الذي رأيت .  
 الامن في اليمن ، يعد رواقه في ظل بلقيس ، والناس في كل مكان وصلت اليه اخبار الملك المحنون يدعون لها بالعز  
 وقد سارت الرسل الى اقاليم اليمن كلها تحمل بشرى جلوسها على العرش .  
 والامراء في اليمن ، والاشراف - ان لم يكونوا اصحاب حاجات - لا يبالون بالجلوس على العرش ، سواء أكان من صلب ذي القرنين ، ام من صلب شرعيل ،  
 حقهم محترم ، وارادتهم في اماراتهم لا ترد ، وهم يدفعون الخراج في كل عام ،  
 من خير ارضهم وبركات الالهة ، الا الذين يبغضون آل البيت المالك ، فهؤلاء لا ننعم لهم عين الا اذا اخطوا ابنا هذا البيت ، عن المقام الذي يتمتعون بنعمه .  
 وكانت بلقيس تحفظ الوفاء لأوائك الانصار ، ويقضي هذا الوفاء بأن تأذن لبعضهم بالرجوع الى البلاد التي لم يخرجوا منها الا ليوها الملك .  
 وماذا نخشى بلقيس واصوات الدعاء لها بحملها الهواء الى البلاط ؟!



ان امرأ واحداً نخشاه هو ذلك الفراغ الذي يحدثه رجوع الاشراف الى الخاليف وهذا ما ستحتاط له وتنتظر في امره .

ولم تكن تفعل شيئاً الا اذا شاورت ذا تبع ، ورأت ان الامراء يريدون ان يفعلوه ... فدعتهم اليها في احدى الليالي قائلة لهم :

ألا ترون ان اليمن هادئة وان الرأي ان تعودوا ؟

فقال الغوث : نخشى ان نعود فيعود الملك .

قالت : اذا عاد هذه المرة لقي الموت .. ان الجيش الذي يبقى في مأرب

يصرعه خارج السور .

— ومن يبقى يا مولاتي ؟

— اهل همدان وظفار ونحلة !

— انهم اضعف من ان يتصدوا الملك ناثر وراءه الجنود .

— ولكن اين يجد هؤلاء الجنود وقد خرجت اليمن من يده ؟

فأجابها عتيك وهو يبتسم : يجدهم في الجنوب بقيادة معدي كرب وعبد شمس :

فضحكت قائلة : ايجسر الرجلان على العصيان يا عتيك ؟

— اجل يا مولاتي فقد كان الاثنان من اشد المخلصين لذي القرنين .

فالتفتت الى ناشر قائلة : ألم تكتب اليهما ؟

— بلى ، وامرتهما باسم الملكة ، بأن يصفاك لحرب الحبشة .

فقال عتيك : يخطر لي ان الملك في الجنوب اليوم ، وسيقرأ الكتاب المرسل

الى القائدين ويهزأ بكاتبه .

قالت : لقد دبت قشعريرة الخوف في جسم ابن روضة .

— ان الذي لم يخش الملك وهو على عرشه ، لا يخشاه وقد ازل عنه ، ولكن

قلبي يحدثني بأن هذا الملك الذي خلعتاه وسلحته بالمال لا يلبث حتى يعود حاملاً

غضبه وحقده ، وثورة نفسه ، على شفرة السيف .

— ثم يهدم البلاط على رأس الملكة ويبنى له بلاطاً آخر من حجاجم اليمنيين ..

— بل يسترجع تاجه اذا استخفت الملكة براي ابن روضة !

قالت : وما رأيك ؟

— ان يبقى في مأرب وخارجها ثلاثون الف جندي .

— اذن تبقى في حالة حرب الى الابد .

— نعم ... ولا تتغير هذه الحال الا اذا وضع الملك في قفص او قتل .

فنظرت الى الامراء وهي تقول :

احرسوا الملكة اذن واجعلوا مخاليفكم نبياً للعشائر الطامعة .

— بل نجد بهذه المخاليف على ان نحمي هذا الملك الذي بنيناه .

فقالوا جميعهم : صدق عتيك .

قالت : اذا كان هذا فلننظر في الامر من وجه آخر .. هل كتبت يا ناشر

الى جابر بن مفروق امير مذجع ؟

لم تأمرني الملكة بأن افعل .

— وكيف نسبناه وهو عدو ذي القرنين وعدو نسله ؟ .. اكتب اليه الساعة

وقل له ان يحضر مع عشيرته كلها ليقم وراء مأرب .. أترضى يا ابن روضة بان

يكون جابر مع قومه حراساً للعرش ؟

— ارضى بان يصون هذا العرش ثلاثون الف سيف لا تنقص حتى يموت

عمرو كما قلت .. او فاتركي يا مولاتي هذا البلاط وارجمي الى القصر الذي

ولدت فيه !

— وتأذن الان للامراء في الرجوع .

— ليرجعوا عندما تشائين فلم يكن عتيك بن روضة غير رجل يهود بروحه .

في سبيل الملكة .

فقالت : ليعد الغوث ، وجبار ، وذو مظار ، وياسر ، وليبق الاخرون .

فقال شرحبيل : لا تتعجلي في الامر يا بلقيس .

فلم تسمع ، وكانت تلك العجلة استخفافاً لا يليق بملكة حير .

وهذا خطأ آخر كان الاجلدر بها ان تبعد عنه .

• • •

مرت الشهور وذو تبع العاشق . على نار .  
 ان مطامع بلقيس التي تصدت من قبل ، لامر زواجه ، قد انتهت الان ،  
 ولكن بقي شيء آخر يتصدى له من جديد ، هو الخوف من رجوع الملك غازياً  
 اعداءه ! وبين تلك المطامع ، وهذا الخوف ، يدوب القلب ، وينفذ الصبر .  
 كانت تقول له :

مهلا ايها الحبيب فسيعود الرسول من الجنوب .  
 وكان يقول : اذا كان الملك موجوداً في ذلك الاقليم فخير لي ألا يعود ..  
 ومعنى ذلك ان وجود الملك يمنع زواجه .  
 وهي تدعوه الى الاحتمال ، فيحتمل يوماً ثم يضعف ، فهو لم يكن ذلك الفتى  
 القادر على خنق الغرام .

وذلك الرسول ؟ .. ان ذلك الرسول ضيع الطريق الى مأرب فلم يعد !  
 مسكين ذو تبع ! فهو لا يعلم ماذا جرى له ، في ذلك القطر البعيد .. وكيف  
 يعلم انه وقع بين ايدي الملك وقائديه ، وجرى له ما جرى للحمل للتائه يقع بين  
 ثلاثة ذئاب !؟

قتلوه في الخيمة عندما قرأوا رسالته ، ودفنوه تحت القراش الذي ينام فيه  
 معدي كرب ثم غطوا دمه بالتراب ... كي لا تهبج تلك الوجشة الكامنة في صدر  
 الملك الطريد الذي يشتد عطشه الى الدماء .

ولو عرف الشقي ان الملك وصل قبله الى ذلك المكان ، لآثر الرجوع الى  
 مأرب حاملاً رسالة بلقيس ، محتملاً غضبها ، على المثل بين يدي ذلك الطاغية  
 المفترس الذي لا يرحم امه ، لو كان له ام .

مهلا ايها الحبيب فسيعود الرسول من الجنوب .!  
 تلك هي كلمة بلقيس التي بدأت تظن ، بالجنوب ، الظنون .

حتى مل ذو تبع الوهان ، وضاق صدره ، وهم بان يرسل برجلين من همدان يسألان عن ذلك الفتى الذي لن يعود !

ولكن البلاط اهتز في ذلك الحين ، لخبر ورد من ظفار النائر على الملك .  
وهلعت قلوب الامراء ، لهول ذلك الخبر ، الذي حملته الى بلقيس ، فتاة  
سمراء ، هي اخت ذرعة بن حجة سيد قومه .

ان الملك ..! زاحف الى مأرب ، على رأس جيش يغطي الجبل والسهل !  
واخت ذرعة تعيد هذه الكلمة في مجلس الملكة ثم تقول :  
لقد رأيت الملك بعيني يا مولاتي ورأيت جيشه !

وبلقيس مطرقة تبحث عن الرأي فلا تجده .. وتستعرض بالفكر جيش  
مأرب فتراه اضعف من ان يثبت في الجبال .  
والامراء مضطربون وقد اصابوا بالذهول .

غير ان ذلك اليوم كان كثير المفاجآت ، فقد اقبل في تلك الساعة ذلك  
الغلام الذي ارسل الى نجران ، حاملا جواب جابر امير مذحج ، وواصفاً للملكة  
رجالها الاشداء .

وقد جاء في ذلك الجواب ان الامير قادم مع مذحج كلها ليعيش في ظل  
بلقيس وابيها شرحبيل .

فعاد الامل الى الصدور ، ورفعت الملكة رأسها تسأل غلامها قائلة له :  
اين تركت القوم ؟

— وراء معين يا مولاتي .

— اذن تمر بضعة ايام ثم نراهم في مأرب ... وانت يا اخي ذرعة ، اين  
رأيت الملك ؟

— كنت في شبوة مع عم لي فوصل اليها ونحن نهم بالحجىء .

— وماذا فعلت شبوة ؟

— اظهرت خضوعها له كما كانت تخضع لابييه .

فهزت رأسها وهي تقول : هكذا فعلت الاقاليم التي مر بها ابن ذي القرنين ،

أين انت يا عتيك بن روضة ؟

— نعم اينها الملكة .

— لقد كانت الملكة على ضلال فيما رأت وكنت على صواب !

فلم يشأ الرجل ان يذكر الماضي فقال : نحن الان في عهد جديد يا مولاتي  
فلننظر في امره .

— عهد جديد ؟؟

— نعم فقد خلعنا ابن ذي القرنين عن عرشه من قبل ، ونحن مكروهون على  
خلعه مرة اخرى اليوم .

— وهذه اصعب من الاولى .

— اجل اينها الملكة وهي كثيرة الخطر .

— الا اذا اقبل جابر بن مفروق قبل جيش الملك .

— ان جيش الملك سيصل قبله ، وعندما يجيء جابر تكون الحرب قد نشبت

بيننا وبينه والاسوار مصبوغة بالدم !

— وكيف عرفت هذا ؟

— الا تعلم الملكة ان ابن ذي القرنين الثائر يقلد الطير في مشيه وامير مذحج

يمشي كما تمشي السلحفاة ؟ ومن اين لامير مذحج ان يعلم ان الخطر موجود في

مأرب ليطير اليها والسيوف في يده ؟ نعم انه اقرب اليها من الملك ولكن هذا

سيسبقه وسيدك الاسوار قبل وصوله .

قالت : جنودكم ايها الامراء

فاجابها عتيك وهو هادئ : اذا ارادت الملكة فلتأمر بما التمسه منها التماسا .

قالت : ماذا ؟

— ارجو ان تكتب الملكة ، الان ، الى الغوث ومن معه تأمرهم بالرجوع

الى مأرب مع كل حامل سيف .

— اكتب يا ناشر ، وبعد ذلك ؟

— وان تغلق ابواب مأرب وتجعل الجيش المقيم في الابراج وعلى الاسوار .

- افعل ذلك يا ذا تبع .
- واعطي كل رجل من اهل مأرب قوساً وجعبة سهام ، واجعلي لكل من يقتل جندياً من جنود الملك قبضة من المال .
- سنفعل هذا ايضاً فاذا تريد بعد ؟
- اريد ان تقف الملكة على احدى المشرفات لترى ما تفعله نبال امير نخلة في صدور الاعداء .
- وهل يثبت الجيش فوق الاسوار ريثما يصل الغوث ومن معه ؟
- لا اراه يثبت حتى يصل جابر بن مفروق كما قلت ، ولكن للغوث وللامراء شأن بعد ان يدخل الملك ظافراً ويستوي في عرشه من جديد !
- قالت : ماذا تقول يا عتيك ؟
- اقول ان الملك سيجلس ثانية على مقعده في هذه القاعة وسيفر جميع الامراء الذين ترين وانا في المقدمة .
- ومن يبقى في البلاط ؟
- بلقيس بنت شرحبيل التي كانت ملكة .
- فقام ذو تبع فقال : بل يبقى ذو تبع ليموت عند قدميها او ليقتل الملك عندما يدخل البلاط .
- قال : مري هذا العاشق يا مولاتي بان يسكت بل ارجو ان تأمره بان يطيعني طاعة لا رأي له فيها ولا ارادة .
- قال : لا اطيع احداً فالملك الظالم سيموت من يدي .
- ولكنك تموت بعده بسيوف رجاله وتخسر ... بلقيس ...
- فهم بان يجيب فقال عتيك : كلمتك يا ملكة حمير .
- قالت : تريد ان يفر الجميع ونبقى ؟
- اجل فاذا دخل عمرو بلاطه هذه المرة ولم تكوني فيه ، فاليمن كلها ، اذا اجتمعت ، لا تستطيع اخراجه منه .
- نفر وجميع الجيوش ، ثم نوقد نار الحرب .

قال : ان الملك في ظفـره غداً ، يسترجع وثوق الناس به ، ويستعيد نفوذه وقوته ، ثم ينضم اليه معظم الامراء فيكثر جيشه ونضعف نحن ثم نخسر كل شيء ونقتل الواحد بعد الآخر وتلاشي الاحلام .

ثم نهض قائلاً :

لتأذن لي الملكة في كلمة اقولها لها دون ان يسمعها احد .  
فخرج القوم ، فجعل يها مسها حتى انقضت ساعة كاملة ثم اذنت لرجالها في الدخول وهي تقول :

لقد انتهى كل شيء الان فالملكة باقية في البلاط .

فاضطرب ذو تبع وقال : ونحن ؟ .

— اما انتم فتبقون الان ريثما يميء عمرو وينسم له الظفر .

— ثم فستسلم اليه وتضع رؤوسنا في هذا الرواق !

— بل لتجأون الى السرايب التي ترون ابوابها وراء مرابط الخيل والتي تنتهي

وراء الاسوار من الجانب الشرقي وتنضمون الى جيش جابر بن مفروق .

— وبعد ذلك ؟

— لا تسل ايها الامير عما يحدث بعد ذلك فقد ترف بلقيس الملكة الى عمرو

الثائر وتخضع له كما تخضع الزوجة للزوج !

فجحظت عيناه واستند الى مقعده كي لا يسقط على وجهه ثم وضع يده على

جبينه وتمم قائلاً :

وقد ترف بلقيس الى عمرو الثائر وتخضع له ... ! انها اذن عاطفة تظهرها

الملكة لامير همدان .

ثم نهض ووضع يده على سيفه وجعل يحديق اليه وهو ساكت .

فقالت : نراك تعمد الى السيف ايها الامير !

قال : وهل بقي لامير همدان غير سيفه ؟؟ ان الامال العذبة التي عللت بها

النفس قد تحطمت الان ، والحلم الخلاب الذي استسلمت اليه تلاشي كما يتلاشي

للظل فاما هي غير ليلة او ليلتين حتى اقتحم بفرسي جيش ابن ذي القرنين فأموت

ويخلو لك الجلو !

— ولكنك لا تستطيع ان تفعل ذلك .

— لماذا ؟

— لان الملكة لا تريده .

فضحك ضحكة اليأس وجعل يقول : لقد خرجت من الان عن طاعة هذه الملكة  
فلتأمر بضرب عنقي اذا طاب لها ان تخدم نار الثور المتأججة في هذا الصدر  
أو فلتجعلني اسيراً في هذا القصر حتى يجيء عمرو فتدفعني اليه .  
— واذا امرتك بلقيس بغير هذا .

قال : لقد حجبت ملكة حمير بلقيس بنت شرحبيل ( فلم يبق لها أثر .  
قالت : اني الان بلقيس التي عهدت ، فكأن انت ذا تبع الصادق وكن وانقأ  
بان الفتاة التي تخاطبك الان لا تتغير الى الابد .  
— ولكن ستزوجين عمراً .

— اجل غير ان هذا الزواج سيكون احدى الحيل التي تعتمد اليها الملكة .

— ومع ذلك فستكونين زوجة لسواي !

قالت : اريد ان تثق بما ا قوله لك الان ؟

— اثق باني خسرت كل شيء .

— بل تثق بانك لم تخسر شيئاً .. اسمع ، اني سأزوج عمراً كما قلت ، اذا  
اكرهني الزمان ، وسأكون في نظره ونظر اليمن كلها جارية طائعة له ، ارضى  
بهذا ؟

— لا

— واذا قلت اني سأبقى لك على رغم هذا الزواج ؟

فتردد في الجواب وجعل ينظر الى القوم نظرات الاستغراب ، ثم قال :

اقسم لك اني لا افهم شيئاً مما تقولين .

— وانا اقسم لك اني لا انكث لك عهداً ولو قتلت .. اشهدوا ايها الامراء

واضمنوا الملكة .



وكان قلبها يتقطع لوعة وغراما .  
 قال : كلمة اخرى يا بلقيس .  
 - لا ازيد كلمة على ما قلت فهذا يكفي .  
 فقال عتيك : لقد رضى الامير يا مولاتي .  
 - اريد ان اسمع كلمة الرضى من فمه .  
 قال : قل كلمتك ايها الامير وانا اضمن لك ما تشاء .  
 فتتم قائل : لقد رضيت .  
 فتنهدت بلقيس والتفتت الى ابيها قائلة :  
 سيتولى الجيش الباقي في مأرب ، امر الدفاع من وراء الاسوار حتى تخفق  
 ألوية النصر فوق جيوش الملك .  
 - وعندئذ ؟  
 - يتراجع الجيش عندئذ الى البيوت فيحتجب فيها عن العيون ، ويعود  
 هؤلاء الامراء الى البلاط لاجئين الى المراديب التي تنتهي الى الخلاء .  
 - وانا ؟  
 - اما انت فلا تشترك في الدفاع بل لا تفارق الملكة .  
 - وما هي الحكمة من ذلك ؟  
 - ان الملكة مريضة وهي في فراشها تقاسي الالام .  
 - ثم يدخل عمرو ظافراً ويضع يده على كل ما في مأرب .  
 - ولكته لا يبالي بما يراه بل يدخل البلاط وثبا باحثا عن بلقيس التي  
 صبراها بين ذراعي المرض الحديديتين .  
 - ويأمر عندئذ بضرب الاعناق .  
 - انه اضعف من ان يمد الي الى ابي يداً .  
 وجعلت تحادثهم وهي واثقة وتنأى لهم بما يحدث بعد دخول عمرو حتى  
 اطمأنت القلوب واقتصر ثغر امير همدان .  
 وكانت تقول : سينقل امير نخلة اخبار البلاط الى جيش امير مذحج .

فقال ناشر : ولكنه سيفر كما نفر نحن .

— ومع ذلك فسيعرف كل شيء وسيكون في ذلك الجيش ، نائب الملك  
ونقضت قائلة : لننصرف الان ولنتهيأ لكل امر ، فخرجوا وراءها وقد عادت  
الثقة الى النفوس

\* \* \*

٩٣

استيقظ اهل مأرب بعد ثلاثة ايام فأبصروا الجيش يحيط بالمدينة من الشمال  
والجنوب ، والملك التائر على رأسه ، وكان جيش الملكة في الابراج وعلى الاسوار  
ووقفت طائفة منه تحرس الابواب التي اغلقت في وجوه الزاجفين .

ثم رأى القوم فارساً من فرسان الملك يصيح قائلاً :

لقد عاد ملك حمير فاطرجوا السيوف واطبعوه .

فارتفعت عند ذلك اصوات الجنود .

هذا يقول : انا على عهد مولانا الملك فليدخل .

وهذا يقول : لقد امرتنا بلقيس بفتح الابواب !

ولكن ، كانت هنالك اصوات اخرى تقول :

سنطبع قوادنا فقد خرج الامر من يد بلقيس الان .

حتى آنس الملك ، في هذه الاصوات ، ضعفا في الجيش القائم على الاسوار .

فقال لمعدي كرب وعبد شمس : يظهر ان بلقيس لا تريد الدفاع .

فاجابه معدي كرب قائلاً : اخشى ان تكون هنالك خدعة يا مولاي .

— لو كان الامر كما تقول لسمعنا جواباً واحداً يقوله قائله باسم الجيش كله .

لقد اصبح القوم في الداخل فريقين احدهما مخلص لبلقيس طائع لها والاخر غير

مخلص وستفتح لنا الابواب بدون قتال .

واعاد المارس نداه مرة ثانية .

فسمع في هذه المرة اصوات تقول : افتحوا الابواب باسم بلقيس !!

وسمعت من الناحية الاخرى اصوات تشتم بلقيس وتقول :

الموت في سبيل امير همدان وامير ظفار .

وكل ذلك يمليه عتيك الداهية .

فقال الملك : سهامكم ايها الجنود .

واشار الى الناحية المتמרدة التي لم تظهر الخضوع .

وسكتت في تلك الساعة الالسة ، لتنتطق السهام .

ولكن جيش الملك كثير وكل سهم يرسل من جيش الاسوار يقابله ثلاثة

سهام من الجيش الاخر .

وتلك الناحية التي اظهرت رغبتها في الاستسلام لا ترسل سهامها ولا تشارك

الفئة الاخرى في القتال .

حتى قام في ذهن الملك ان الفتنة ستشتعل نارها في جيش بلقيس !

فقال للقائدين : اريد ان يحطم الجيش ابواب السور !

فقالا : سنفعل ذلك عندما يجن الظلام اما الان فيجب ان نراجع الى الورا

لتضيق سهام العدو في الفضاء .

قال : افعلنا .

فراجع الجيش باشارة من قائديه . وسمعت من جديد اصوات الجيش من

الداخل :

افتحوا الابواب للملك .

ثم رأى الملك جنود بلقيس يغادرون الابراج والسيوف والرماح في الايدي

حتى حجبهم السور عن عينيه .

ثم علا الصياح وارتفعت اصوات الاستغاثة كأن المدينة في فتنة .

فأشرق جبين عمرو وابقن بالنصر .

وبينا هو على فرسه يحمل بالتاج ويفكر في بلقيس ، فتح الباب الجنوبي فجأ  
وهتف فاتحوه : يعيش ملك حير !

فوثبت الخيل الى ذلك الباب وهتف الجيش في الخارج ، كما هتف الجيش  
في الداخل ، يعيش ملك حير .

ولم تمر ساعة حتى كان ابن ذي القرنين في ساحة البلاط وحوله قواده  
وانصاره البسلاء ! .

ثم قال لاولئك الذين القوا سلاحهم ، من جيش بلقيس : اين قوادكم ؟

فقال احدهم : لتقتل الالهة هؤلاء القواد فقد كادوا يحرقون اليمن .

— ولكن زبد ان نرى الموضع الذي لجأوا اليه .

فاقبل آخر فقال : لقد خرجوا من الباب يا مولاي بعد دخول جيشك !

— وبلك وكيف يستطيعون الفرار والجند بالباب ؟

— رأيتهم بعيني يا مولاي يركضون افراسهم والجند لا يعبأ بهم كأنه لا  
يعرفهم .

فقال عبد شمس : سنتظر في امرهم يا مولاي في حين آخر .

— وجنود هؤلاء القواد ؟؟

فقال الرجل : فروا مثل قوادهم يا مولاي قبل دخول الجيش .

— اذن هم في مأرب .

— بل تدلوا بالحبال من السور الشرقي وهذه خيولهم في السوق .

فمنسي الملك القواد والجنود وخفض صوته قائلاً له :

وبلقيس ؟

وكان يخشى ان يفاجئه بنجر فرارها من البلاط .

فقال انها في قصر الملك مع ابيها شرحبيل وهي التي امرتنا بفتح الابواب

لجنود مولاي ! .

فغض على شفتيه قائلاً : لقد خافت الملكة فأثرت الاستسلام على الدفاع ،

قالها والغرام يلح في عينيه للسوداوين .

فدنا الرجل منه وقال أياذن لي الملك في ان اذكر له كل ما اعلم ؟

— قل

— لقد امرت بلقيس امراء المخاليف بطرح السيوف عند قدمي الملك فلم يرضوا فطرحتهم من البلاط ومنعت اباهما من الاشتراك في الدفاع .. ثم اغمي عليها وهي الان في فراشها تعالج داءها بالصبر .. وقد سمعتها تقول للقوم دعوا التاج لصاحبه فهو اهل للملك واليمن ملك له .

— ولكنك جندي والجنود لا يشهدون مجالس الملوك .

— اني من حراسها يا مولاي .

فأوماً الى قواده بان يدخلوا وراءه ويمكثوا بالرواق ، وأمر الجنود بان يحرسوا الابواب ويمنعوا المتمردين الباقين في مأرب من الفرار ، ثم دخل والسيف في يده كأنه في ساحة حرب ، وكأن الجيش ينتظره في اروقة البلاط .

وتقدمه الرجل حتى وقف بباب بلقيس فقال : انها هنا يا مولاي .

قال : افتح الباب .

ولكن ألباب فتح من الداخل وظهر نائل غلام بلقيس على عتبته وهو يتظاهر بالبكاء ... ثم سجد عند قدمي عمرو قائلاً : مولاي الملك .

فضربه بعرض السيف ضربة اصابت جبهته ووثب الى داخل الحجرة التي هي حجراته وهو يقول : اين بلقيس ؟

وكان شرحبيل بالقرب من سرير المريضة فقال :

لقد عدت يا مولاي فستنجد بلقيس من الموت !.

فهم بان يفاجئه بالسيف ، غير ان بلقيس المتألمة ، بلقيس الضعيفة الصفراء الوجه ، المضطربة الاعضاء ، فتحت عينيها اللتين تنطقان بالالم ومدت يدها المرتجفة قائلة له : اعطني يدك لتعود الي الحياة !.

فلم يستطع المجنون الثائر الا ان يصافح تلك اليد التي امتدت اليه .

ثم احس بالغمغم يغمر قلبه .. كأن الفتاة المضجعة بين وسائد الخبز والديباج لم تسلبه بالامس تاج الملك .

وظلت يده في يدها وهي تنظر اليه نظرات الحب حتى سكر وترنح عطفاه .  
وهي تراه .

فقالت لابيها : دعني احدث الملك يا مولاي .  
وكانت تغتصب الكلمات اغتصاباً من شدة الألم ..  
فوقف شرحبيل بالباب وهو ينظر الى الارض .  
فقالت : الا تجلس يا مولاي ؟

فصحا الفتى من سكره لحظة واجدة وجعل يقول :  
أأنت ملكة حمير يا بلقيس وانا الطريد المخلوع اللاجيء الى امراء اليمن  
لينتصروا لي ؟

— بل انت الملك لا يجلس احد في العرش الحميري وانت جي ! .  
— ولكنني رأيت هذا الملك يخرج من يدي ، ورأيت صولجان آبائي في يد  
بلقيس وهي تأمر بطردي من مأرب !  
وابتسم مستخفاً كأنه يبتسم للموت الذي اعده لاعدائه .  
فابتسمت مثله ، وارسلت مع تلك الابتسامة زفرات الغرام .  
فارخى الفتى نظره كأنه يستعيد قواه .  
أما هي فقالت له : أسمع يا مولاي ان رجلاً يخلع ملكاً عن عرشه ، ثم يملأ  
جرابه ذهباً ويرسله حراً الى البلد الذي يشاء ؟  
فرفع رأسه قائلاً : وما وراء هذا السؤال يا بلقيس ؟  
— قل نعم او لا يا مولاي ،  
قال : لا ..

— وهل يجهل الطامع في العرش ان الملك المخلوع ، الحر ، شبيذل ماله لرؤساء  
شعبه ليكونوا عوناً له على استرجاع ملكه ؟  
— لا

— اذن فبلقيس لم تكن جاهلة عندما أعادت اليك مال ابيك وقالت لك :  
افعل ما تشاء واذهب الى حيث تشاء !

— وماذا اذن ؟

— كانت لها غاية اخرى هي ان تمهد لك سبل الرجوع الى مأرب والجلوس في العرش الذي ورثته من حمير ، فجعل ينظر اليها والاستغراب في عينيه ... واستطردت هي قائلة : ولو لم تكن الغاية ما ذكرت ، لامرت الجلاد بان يضرب عنقك وانت في قاعة الجلوس ، او يملكك اسيراً في هذا القصر الى آخر الزمان ... ماذا تقول الآن يا مولاي ؟ فتردد قليلا ثم قال : اقول انك لم تجسري على ذلك .

— وماذا اخاف ؟

— ان يثور الشعب فيحطم العرش .

— لو خطرت لي هذه الثورة لما فعلت ما فعلت ولما اقدمت على سلبك تاج الملك .. لقد كان امراء اليمن في يدي كما رأيت وكانوا جميعهم يطلبون الي ان احكم بالاعدام على خليفة ذي القرنين ، فبحث عمرو كثيراً عن الجواب يرد به ذلك القول ، فلم يجد .

فقالت : اتشك ايضاً يا مولاي ؟

قال : لا اعلم الا ان الملك انتزع من يدي انتزاعاً وطردت كما يطرد السائل الواقع من هذا القصر الذي هو قصر اجدادي ملوك اليمن .

— ولكن هذا الطرد كان دهاء من بلقيس فقد ارادت ان ينجو ملكها من الموت الذي كان كامناً له في هذا القصر نفسه ..

— اذن سلبتني ملكي ولك في ذلك فضل !

— نعم يا مولاي فانت اليوم حي بفضل بلقيس !

— واي شيء دعاك الى ان تهبي لي هذه الحياة ؟

— الحب الذي تموت عنده المطامع والاغراض ...

فقهقه ضاحكاً ثم قال : ما رأيت عاشقاً يصف حبه بمثل ما تصفينه به ! لقد كان حبك يا بلقيس قضاء على الملك وهو حب عجيب يتحدث به الناس بضعة اجيال .. وضحك من جديد ضحك السخرية والاستهزاء .

قالت : لا تنزأ يا مولاي فالزمان يفعل العجائب والخب الذي عدله  
قضاء كان حياة جديدة كما قلت .. ماذا ترى يا مولاي ألم نتعاهد نحن الاثنين  
على الوفاء ؟

— بلى — ألم نجعل للزواج موعداً عرفه الامراء وعرفته اليمن ؟  
— بلى — ولكن هؤلاء الامراء لم يرضوا وقد اقساموا لي ان الملك سيموت  
قبل ان ازف اليه .

— ومتى كان ذلك ؟

— قبل ان اجج كعبة العرب .

— ولكنك لم تذكري للملك شيئاً من هذا .

— لم اشأ ان افعل لاني كرهت ان تشتعل النار من اجل بلقيس

— ثم ماذا ؟ — ثم رجعت فرأيت البغض في القلوب ، والثورة في النفوس ،  
والسيوف في الايدي ورأيت القوم ينضون تحت لواء الحرب وهم يتهبأون  
للزحف الى مأرب ليقتلوا ملكهم ويجعلوا ذا تبع الهمداني سيد هذا القطر ! وكانت  
تخاطبه بلهجة جذابة عذبة يظهر معها التعب والضعف ...

— ثم رأوا ان يبعدوا ذا تبع عن العرش ويضعوا التاج على رأسك يا ملكتي  
الحسنة اليس كذلك ؟!

— بل رأوا ، بعد رجوعنا من الحجاز ، ان يجعلوا ملكهم شرحبيل بن عمرو  
لانه من احفاد البيت المالك وليس فيهم خير منه .  
— ولكنه لم يرض .

— طلبت اليه ان ينزل لي عن حقه ففعل ، وسكت ذو تبع على امل ان يسمي  
بعد موت الملك ، زوجاً لبلقيس .

— وكيف عدل القوم عن قتل الملك واستبدلوه بخلعهم عن العرش ؟

— لقد كان الجيش فريقين يا مولاي ، احدهما ترأسه بلقيس وهو يميل الى  
السلام ، والاخر يرأسه ناشر وعتيك وذو تبع وهو يميل الى الحرب والقتل ،  
ولكني استطعت بالدهاء يا مولاي ان احول رأي هذا الفريق ، ثم اطلقت الملك



حرأ وانتزعته من ايدي الذئاب بعد ان سلحته بالمال الكثير يشتري به جيشاً من الانصار المخلصين ، وكانت الرواية خلافة في ظاهرها يقبلها العقل ، فحقق قلب عمرو ومال الى الايمان بما سمع ... وكيف لا يفعل وقد فاضت عواطف غرامه وسحرته النظرات ... لكنه اراد ان يستوثق ، فقال : كان على بلقيس ان تقص كل ذلك على الملك برسالة تبعثها اليه قبل ان تجيء الى مأرب .

— لم استطع يا مولاي لانهم احاطوني بالرجال وهم الذين املوا علي ذلك الكتاب الذي حمله نائل اليك ... ومع ذلك فلنترك الماضي يا مولاي فقد رجعت الى ملكك وتم لي الامر كما اردت دون ان تسيل دماء اليمينين ... ألم يفتح لك جيش بلقيس ابواب مأرب لتدخل دخول الظافر وتترع في العرش ؟ ألم تسمع هتافه لك من وراء الاسوار وقد سمعته انا من هذه الحجرة وقليبي يضطرب في صدري وعيناي تدمعان ؟

— ولكني لم اكن عاجزاً عن تحطيم هذه الابواب في ساعة واحدة .

— اجل يا مولاي غير اني كنت أخشى ان يصيبك سهم من سهام القواد الخونة الذين اظهروا العصيان في الساعة الاخيرة فيضيع الامل الذي اعلل نفسي به واخسر كل شيء ، فضيَّع عمرو هداه وجعل ينظر الى عينيها الدامعتين وهو يقول : اذكري لي يا بلقيس هذا الامل فقد كدت اصدق ما تقولين ... فابتسمت قائلة : اذن فالرب لم يضمحل من صدرك يا مولاي .

— اظن انه سيضمحل بعد حين ! فعرفت الداهية ان غرامه انتصر على ثورته ، فقالت : ولكن هذا لا يكفي ابها الملك ولست من النساء اللواتي تغرهن الظواهر ويستسلمن الى الاحلام !

— وماذا تريد الان ؟

— اريد ان تقسم لي انك صدقت كل ما سمعت ونسيت ما مضى .

قال : اسألك سؤالاً واحداً قبل ان افعل .. اين هم الامراء الخونة ؟ فصاحت صبيحة زعر ثم قالت : ألم تقبض على هؤلاء يا مولاي ؟

— لم اقبض على احد لاني لم ار احداً فكأنهم غاصوا في جوف الارض ،

فجعل صدرها يعلو ويغضض من التعب ، ثم اغمضت عينيها تفكر فيما سمعت  
وشفتاها ترتجفان ...

قال : بلقيس .. — نعم يا مولاي

— أتخافين هؤلاء الامراء الذين تعودوا ان يفروا كل يوم من غضب

الملك ؟

— لا يا مولاي ولكني كنت اؤثر ان اغمس خنجري في صدورهم وعندما

يستقيم الامر من جديد لمولاي الملك !

— ستفعلين غداً ما لم تفعله اليوم .. والان ..

— اما الان يا مولاي فاقسم لي .

— وان لم افعل

— استحلفك بشرف ملكك وهرف اجدادك ان تغمد سيفك في جسمي

الضعيف فأطبق جفني واسلم الروح ! فخاف العاشق الجلد ، فقال : اقسم لك

اني نسيت الماضي بكل ما فيه فاذكري الامل الذي عللت نفسك به ، فخفضت

صوتها قائلة : ليس لي في هذه الحياة امل الا ان امسي زوجة لك ، فالتقى السيف

من يده وقال : لقد محت هذه الكلمة ريبة نفسي ، انك الان للملك يا بلقيس ،

وسأدعو الكاهن في هذه الساعة ليكتب عقد الزواج !

— الان يا مولاي ؟

— اجل الان فقد يبخل الزمان غداً بما يجود به اليوم .

قالت : اصبر يا مولاي ربنا تشفيني الالهة ..

وهي تريد من وراء هذا القول ان يلج في طلبه .

فقال : يكتب العقد وانت في الفراش لا تغادريه الا عندما تعود اليك

العافية وترجع النضارة الى هذا الوجه . فأخفت وجهها بيديها وتمتمت الفاظاً لم

يفهمها المسكين ، فقال : ماذا يا بلقيس ؟

قالت : ادع الكاهن يا مولاي وليكن ما تشاء ، ولكن الجوارى اللواتي في

القصر ... فاستغرب قائلاً : واي شأن هؤلاء ؟ فخرجت بلقيس عندئذ عن

هدوتها وظهرت بمظهر المرأة التي تقتلها الغيرة وجعلت تقول : اني لا اطيق ان ارى واحدة منهم في البلاط . .

قال : احلف لك اني لا انظر اليهن .

— ومع ذلك فانا اخشى ان تدفعني الغيرة الى قتل المرأة التي نجمس على الدنو من الملك ، فرقص قلبه من الفرح وقال : انهن جميعهن ملك لك فاقتلي منهم من تشائين واطردي من تشائين ، فحاولت ان تجلس فلم تستطع . فقالت : لتباركك الالهة ايها الملك فقد اعدت الي الامل ثم قالت : ولي رجاء آخر يا مولاي .  
— ما هو ؟

— هو ان تنحي خاشداً في ساعات الشراب .

— ومن يسقي الملك ؟

— غلامي نائل الذي اثق به .. ولكن لا يا مولاي فبلقيس نفسها تسقيك كلما خطر لك ان تشرب .

— يظهر انك تكرهين الحر ايتها الحبيبة .

— نعم ايها الحبيب ولكنني سأحبها واشربها اذا اردت ، ونادت اباهها قائلة : لقد استجابت الالهة دعائي يا مولاي .

قال : وهل ذكرت لمولاتا الملك كل شيء ؟

— نعم ورضي بي زوجة له ، فانحنى شرحيل امام ابن عمه قائلاً له : لقد نجحت بلقيس من الموت بفضلك يا مولاي .

— بل هي التي انقذت حياة الملك يوم زحف اليه اولئك الجبناء ولو لم تعتمد الى الدهاء لخسر هذه الحياة .

— كذلك فعلت انت يا مولاي فلو لم تصدق ما ذكرته لك وتعددها بالزواج لخسرت حياتها في هذه الساعة .

قال : اما الزواج فسيتم الان وسنأمر سرح ايبن بان يجيء ...

— ولكن بلقيس مريضة كما ترى .

— ان مرضها لا يمنع الكاهن من ان يجعلنا زوجين .. ادع نائلا ولكن صفه

لنا قبل ان تدعوه حياة هذا الكاهن في مأرب ، بعد ذهاب الملك .

— لقد كان سرح ايين في داخله ، من انصار مولاه .

— وكان في ظاهره محصماً له ؟

— اجل يا مولاي وذلك قبل ان يعرف غاية بلقيس .

قال : الجبناء مثله كثار في اليمن . اين نائل ؟ فدعي الغلام فاقبل وهو يتظاهر بالخوف ، فقال له : قل لمعدي كرب وعبد شمس ان يحضرا وليحضر سرح ايين غير خائف ونحن نتظر الثلاثة في هذه القاعة .

فقالت بلقيس : من هما الرجلان اللذان ذكرت ؟ ..

— قائدا الجيش المخلصان للملك .

— وهل تأذن لقائديك يا مولاي في ان يدخلوا حجرة زوجتك وهي

في الفراش ؟

— تأذن لكل يعني في ان يرى ملكة حبر في الساعة التي يشاء ... وبيننا هما

يتحادثان ، اقبل قائدا جيش الجنوب .. فأوما اليهما بعظمة قائلا : لقد كانت

هذه الفتاة امس بلقيس بنت شرجيل ، وستمسي بعد لحظة ملكة اليمنيين !

فجعل الاثنان ينظران الى ذاك الوجه الفتان ، ولا يقولان كلمة . وماذا

يقولان وقد عقد الاستغراب لسانيهما ؟ كانا واثقين بان رأس بلقيس سيتدحرج

هناك قدامي العرش فاذا هذا الرأس ثابت في مكانه ، وصاحبته صاحبة القوة

والسلطان ، وهل يجسر القائدان ، على ان يذكر الملكهما البطاش ، ما خطر لهما

في تلك الساعة ؟ ان الموت ينتظرهما في تلك القاعة اذا فعلا .

نعم ، كانا يعلمان ان الغرام الذي يملأ قلب الملك ، اوحى بذلك الزواج ،

وكانا يخشيان ان ينتهي الامر بين الملكين ، الى ما يرضاه المخلصون ولا تريده

اليمن ، ولكن ، هب ان اليمن كلها ستغوص في الاعماق ، فليس لها الا ان يخضعا

مكرهين خضوعاً اعمى ليس فيه رأي ، وينظرا الى بلقيس نظرهما الى المرأة التي

سيعصب الملك جبينها بالتاج الحيري !

هكذا اراد مولاهما الثائر ، فلا مرد لما اراد .. ولم يترددا كثيراً في الامر ،

بل انحنيا هاتفين : تعيش مولاتنا الملكة ، في ظل مولانا الملك ، ثم قال عمرو :  
لقد دخلنا البلاط على امل ان نضرب رقاب الذين غصبونا اياه ، بهذا السيف ،  
ولكننا عرفنا ان شرحبيل وبلقيس كانا من انصار الملك ، وان اولئك الغاصبين  
لجأوا الى الخلاء واستبدلوا البلاط بالمغاور القائمة في ظلال الصخور ..

والتفت الى شرحبيل قائلاً : انس يا عم ما بدر من الملك عند دخوله فقد  
كانت تلك الساعة ساعة غضب لا ترى مثلها بعد الان . وقال للقائدين : واما  
انما فقولاً للجيش ان يكف عن الاذى وليعلم القوم ان بلقيس هي التي امرت  
رجالها بفتح ابواب مأرب للملك ... ووضع الغرام حجاً كثيفاً على بصيرته  
وبصره فلم يدب الريب في صدره ، ولم يظن الظنون ! .  
وسكت القائدان على غل كما رأيت ، وانتهى الفصل الاول من تلك الرواية  
العجيبة التي لم تخطر لاحد من العقلاء . وتساقطت دموع بلقيس على الوسادة  
وكانت تقول : هذا فعل الصداق الفجائي يا مولاي .

\* \* \*

٩٥

انظر .. هذا سرح ايبين الكاهن الاعظم ، يلامس وجهه الارض عند قدمي  
الملك ، وكان الملك يقول له : انهض فقد ثبت لنا انك من المخلصين ، وبلقيس  
تثن من الالم ... وتذرف الدموع ، ثم غصت القاعة بالقواد والانصار والجميع  
يعلمون ان بلقيس ستزف الى الملك وهي في الفراش ، وستحتفل مأرب بهذا  
الزواج ، عندما تشفي الالهة الملكة الفتاة ..

ثم وقف سرح ايبين بامر الملك ، وقبل ان يكتب العقد خاطبه قائلاً : اذكر

يا مولاي المال الذي تنهه لزوجتك .. فقال : عشرة ضياع بما فيها من العبيد والاموال ، وجعل يسميها واحدة واحدة ، ثم قال : وجواهر تساوي نصف جواهر التاج الحيري .. هاتها يا حاشد ، وكان حاشد يحملها في كفه وهي من جواهر ذي القرنين التي وهبتها بلقيس لعمرو عندما خلعه ...  
— وماذا بقي يا مولاي ؟

— لم يبق في يد الملك مال يهبه لزوجته الان .. فنظر الكاهن الى شرحيل وقال : وانت ايها الامير ؟

— اعطيتها نصف ما اعطاها مولانا الملك ، فكتب العقد ، وسجد القوم يسألون الالهة ان تشمل العروسين بالبركات .. ثم انصرفوا وفي الصدور اشياء واشياء ... ولم يبق في القاعة غير الملك وشرحيل ونائل ، ونعمى بنت الريان ، فقالت بلقيس : لو لم يكتب الكاهن عقد الزواج الساعة لقتلني هذا الصداق ، اعطني يدك يا مولاي ! . فد الملك بده فوضعتها على فمها ورأسها علامة الخضوع ، ولم يستطع الملك عندئذ الا ان يطيع على يدها المرتجفة قبلة الحب ... وقد احس ان الدنيا لا تتسع لامانيه ، واحست هي ان السماء سقطت على الارض . ولكنها ابتسمت لهذا السقوط . ثم استأذن الملك وخرج لينظر في شؤون ملكه ، من جديد ، ووعدا بأنه يعفو عن جميع افراد الجيش الذين لم يلجأوا الى الفرار ، ولملت عينا العروس بعد خروجه ببارق غريب وهامست نائلا قائلة : خبز القوم ما رأيت . وعدهم بالظفر بعد ان يمر هذا الشهر .

وقالت لنعمى : اما انت فلا تخرجي من هذه القاعة الا عندما آمرك بالخروج ، ولا تنسي ان تعدي عدة الشراب في كل مساء .. زكان شرحيل يعرف واجبه ، فلحق بالملك الى قاعة الجلوس ، وعلى جبينه آثار الفرح تمازجها آثار التعب والهم ، كأنه يخشى عاقبة ذلك الصداق ، الذي اصاب بلقيس ! .

• • •

كانت سراديب القصر الحيري ، مجالا رحباً لنائل ، يروح فيه ويحيى حاملاً الى القوم اخبار البلاط ، عندما يشاء ، وكان امير مذحج ، قد عرف كل شيء ، واقام بذلك السهل الذي يجاور اسوار معين ، ريثما يرد عليه الامر بالزحف الى مأرب .

اما حراس السراديب ، فكانوا من رجال بلقيس الامناء ، يتناوبون على الحراسة وراء مرابط الخيل ، في الليل والنهار ، ليخفوا اعمال نائل من العيون ، والملك لا يعلم شيئاً ولا يبالي الا بالخطر يشربها صرماً كل مساء حتى يصصره السكر او يدب النعاس في جفنيه ، فكأنه كان يعالج بالخطر ، ذلك الغرام الذي يضيع معه الصبر .. وبلقيس لا تريد ان يشرب ، الا في غرفتها ، لتشاركه بالروح ، في لذته ولهوه .. وتمتع نظرها بوجهه الجميل الفتان ! . ويجب ان تعلم ، ان ذلك الملك العاقق ، استسلم الى بلقيس استسلاماً غريباً في نوعه ، واضحى الملك الثائر نعبجة وديعة تقوم وتقعده بارادة الملكة الحسنة ! فهو لا يذكر غرامه الا اذا ارادت ان يذكر ذلك الغرام ، وهي لا تريد ان يفعل الا عندما يفارقها ذاك الصداق ! .

ان الالم يزول شيئاً فشيئاً يا مولاي ، وستحتفل مأرب بالزواج يوم تراني الى جانب الملك في قاعة العرش .. تلك هي الكلمة التي كانت بلقيس ، تعلل بها العاقق المفتون .. وهو يستعين بالخطر ، على الرضى بكل ما تأمره به ، وهذا هو موضع الغرابة في الامر ، كما ترى .

ولم يشرب الملك وحده قط ، بل كانت قواده وامنائه يشاركونه في الشراب ، ونائل غلام الملكة ، يملأ اقداحهم كلما نظر الى عيني بلقيس ... حتى كاد الشهر ينقضي والصداق يزول .

ففي احدى الليالي ، قالت بلقيس لغلامها :  
قل لعتيك : « اعطني دواء الصداع واعلم ان الملكة ستترك فراشها في الليلة القادمة عند نصف الليل ، وتجلس للناس ... في الليلة القادمة يا نائل فلا تنس .. واعطه هذين القرطين .. اذهب الان »

ففعل الغلام ما امرته به وحمل اليها ذلك الدواء العجيب الذي يشفي كالسحر جميع الادواء ..! وأوصاه عتيك بأن يقول للملكة : لقد عاد ذو مغار ومن معه وسينزلون في رجوة « ورجوة سهل يبعد ثلاثة فراسخ عن عاصمة الحميرين » واصبح الصباح .. فقيل للملك : هذه عشيرة مذحج وراء الاسوار يقودها جابر بن مفروق ، فقال : احرسوا الابواب وانتظروا اوامر الملك .

ثم اقبل على حجرة بلقيس وقد عادت اليها العافية ، واسترجع وجهها البهاء والسحر ... والهبة والجلال .. وكانت تهم بترك الفراش والجلوس بين الوسائد كما يجلس الناقه الضعيف الذي نهك المرض قواه ، فقال لها :

لقد طابت الحياة للملكة . ما وراءك يا مولاي ؟

قال : انك تعرفين امير مذحج أليس كذلك ؟

— بلى يا مولاي فأنا ما نسيت حكاية اخي الهدهاد يوم بعث به ابني الى مغار يحمل اليه المزال كما علمت .

قال : انه مع عشيرته بباب مأرب ، فتظاهرت بالتفكير ثم قالت : لا يترك جابر بن مفروق نجران الا لامر ، وسكنت قليلاً ثم قالت : وهل اذنت له في الدخول ؟

— لا ، فقد رأيت ان استشيرك في هذا لان قلبي يحدنني بأن جابراً يحمل الويل للمأرب ... فضحكت قائلة : لقد اخطأ قلبك في حديثه يا مولاي ، ان ابن مفروق لا يخرج عن طاعة ملكه وهو لم يقدم الا ليظهر خضوعه له ويعرض سيفه عليه وعلى زوجته بلقيس المحسنة اليه .. اني اضمن جابراً يا مولاي فمره بالدخول ..

— ومذحج ؟



— اما مذحج فتبقى خارج السور ريثما تعرف الغاية من مجيئه .  
— ولكنه لم يستأذن بعد .

قالت : لا بد له من ان يفعل في هذه الساعة فأرجو ان يتسم لسه الملك  
ويقرب مجلسه فهو من اشراف اليمن ومذحج من اقوى عشائر العرب .  
فهم الملك بالانصراف . فاستوقفته قائلة : وارى يا مولاي ان تدعوه الليلة  
الى الشراب لتعلم مذحج ان الملك يعطف عليها وان لها مقاماً في البلاط ، فخرج  
وهو يقول : سأفعل .. وسأقرأ ما في نفس الرجل .

وكان حاجبه ينتظره ليستأذن لجابر ، وجابر بالباب وهو يقول للحراس : لم  
اسمع قط ان اليمنيين يستأذنون في الدخول الى مأرب الا في ايام الحرب .  
ولبت واقفاً ويده على سيفه حتى رجع احد الحراس واذن له ، فشى دون  
ان يلتفت الى احد حتى اضحى في الرواق فعرف ان الملك في قاعة الجلوس ،  
وفي القاعة شرحبيل ومعدى كرب وعبد شمس .

فوضع سيفه في الرواق وتقدمه كبير الحجاب الى الداخل وهو يقول : جابر  
ابن مفروق سيد مذحج ، فنهض الملك عن مقعده وخطا خطوتين كأن القادم  
اعظم امراء اليمن او كأنه احد ابناء البيت المالك ! فقال الامير في نفسه :  
هذه يد بلقيس فيما اراه ، ثم سلم ساجداً ولم يرفع رأسه حتى امره الملك  
بالوقوف قائلاً :

أهلاً بسيد مذحج ، متى قدمت ؟ ومد اليه يده فقبها وقال : امس  
يا مولاي .

قال : لقد مر عهدان على مأرب ولم نرك فيها فهل كان هنالك ما يمنعك من  
الحجى ؟ قال : لقد جار الزمان يا مولاي واكرهتنا الاقدار على الرحيل الى وادي  
نجران نعالج فيه طوارئ الحدثنان .

— ألم تر الملك ذا القرنين قبل موته ؟

— بلى يا مولاي رأيته وسألته ان يكون عوناً لي على عدوي ثم مكثت بمأرب  
يومين رجعت بعدهما الى ديار قومي .

— وماذا اعطاك الملك في ذلك الحين ؟

— لم يعطني شيئاً يا مولاي بل امر ابن عمه شرجيل بن عمرو الجالس بالقرب منك بان يجود علي من ماله بما يساوي عطية الملك !  
— وفعل ؟

— نعم يا مولاي وانا اعيش بفضل ما اعطاني الى هذه الساعة .

— اذن انت تحفظ المعروف لابن عم الملك !

— بل احفظه لمولاي الملك اولا فتلك العطية كانت باسم ابيه .

— وماذا تريد الان ؟

— جئت يا مولاي لاطهر خضوعي للملك حمير واطرح عند قدميه سيفي وسيف ابناء قومي ، واسأله ان يأذن لي في الرجوع الى الاقاليم التي تتجاوز اقليم مأرب ...

— اي انك تريد ان تكون من جيران مولاك .

— اجل فليس لي حياة الا بهذا .

— اذكر الارض التي تؤثرها على نجران .

— ارضي بالارض التي يهبها لي مولاي ، علي ان يهب بلاد مذحج لمن يشاء من الناس . قال سنفعل كما فعل ذو القرنين .

— ماذا يا مولاي ؟

— نطلب الى شرجيل ان يعطيك ارضاً تكفي قومك ، وقد اراد بذلك ان يختبر اخلاص شرجيل دون ان يتردد : لقد تزلت عن ضياعي كلها في اقليم صرواح وجعلتها باسم الملك ملكاً لابن مفروق .

فقال الملك : وهل تطلب يا جابر شيئاً آخر ؟

— اطلب ان تحرسك الالهة وتحرس عملك المحسن الي .. متى تأذن لي في الانصراف .

— الى صرواح ؟ - نعم يا مولاي .

— تنصرف اليها غداً فستبيت الليلة في البلاط وتشرب مع الملك ، ثم ضحك

قائلا : كان خيرا لك لو بقيت في نجران !

قال : أندم الملك على اجسامه ؟

— لا ، ولكن الحرب ستنبش بيننا وبين الحبشة وستخوض معنا المجال !

قال : ليس احب من الحرب الى مذبح .. ان سيفي لك يا مولاي سواء

أكنت في نجران ام في مأرب وسترى ان رجال جابر رجال حرب .

قال : سنجعلك اذن من قواد الجيش فانت رئيس الرماة منذ الان .

قال : لقد انعمني مولاي بما لا استحق وشرفني بين العرب .

— ولكن ستكتفك النعم عندما تشهد قتالك في الساحات .. ودخل الحاجب

في تلك الساعة وهو يقول : وفود مأرب .

قال : ماذا تطلب هذه الوفود ؟

— تخضع من جديد للملك الذي استرجع عرشه .

فغضب قائلا : وهل يظن اهل مأرب ان العرش خرج من يد صاحبه حتى

يظهروا خضوعهم له ؟ لقد كان العرش لنا ولم يزل فلينصرفوا ، فنقل الحاجب

الى القوم كلام مولاه .

فسمع صوت احدهم يقول : اسأل مولاي الملك ان يأذن لي في الدخول

فقد ظلمت .

فقال الملك من الداخل : ادخلوا الرجل ، فدخل رجل جاوز الستين من

السنين ، تملو الكتابة جبينه وتجول الدموع في عينيه ، ففاجأه الملك بقوله : أنت

مظلوم ؟

— نعم يا مولاي فقد قتل ولدي على الاسوار ورأيت جثته تسقط على الأرض.

عند قدمي قاتله اللعين .

— اذكر قاتله .

— ناشر امير ظفار السابق !

فاهتز الملك لذكر ناشر وقال : وكيف قتله ؟

— امره كما امر سواه ، بأن يصوب سهامه الى صدر مولانا الملك قبل ان

تفتح ابواب مأرب فلم يفعل . فقال هادئاً : ولكن كان عليه ان يطيع قائده ويرسل هذه السهام الى حيث يشاء .

— لم يكن قادراً على ذلك يا مولاي .

— لماذا ؟

— لان الملكة امرت ولدي ورجاله بان يعصوا القواد ويمهدوا للملك سبيل الدخول الى مأرب والظفر باعدائه ، وهذا دليل آخر جديد ، يثبت للملك بعدد شهر ، صدق بلقيس ووفاءها له ، ووقوفها في وجه قواده الخونة ، فقال : الم يقتل غير ولدك ؟

— بلى يا مولاي .

— وهل رأيت يمينياً يعبأ بدم ولده المسفوك في ساحة الحرب ؟

— ان ولدي لم يقتل من يد عدوه بل قتل انتقاماً من يد قائده .

— وماذا تطلب الان ؟

— اطلب ان ينصفني الملك من ناشر الظالم .

— سنفعل اذا اظفرتنا الالهة به .

قال : هب لي شيئاً من ماله يا مولاي .

— لم يبق لنا شيء .

— اذن ضيعة من ضياعه .

— ولكنه خسر ضياعه ولم يبق له شيء . بل بقي له دمه وستشارك الملك في شربه بعد حين .! اخرج الان فان لم يقتل عدوك اليوم قتل غداً ، والتفت الى شرحبيل قحلا : هذا شاهد لك يا عم وللملكة .. وجعل يردد اسماء قواده الخونة والعنات تخرج من فمه ، ثم نهض لسمع حديث بلقيس فتخمد النار المتأججة في صدره ، وخرج شرحبيل وابن مفروق يتمشيان في الرواق ، اما عبد شمس فكان يقول لمعدي كرب : ويل لنا وللملك من هذه الفتاة التي جعلها زوجة له ...

\*\*\*

لقد جن الليل يا نائل فهل فهمت ؟

— نعم يا مولاتي ان النعجة ستسقط بعد نصف الليل بين براثن الاسد اذا بقي هذا الاسد حياً . !

ولكن احذر ان تضطرب يدك وينم عليك الخوف ، فابتسم قائلاً : وهل اضطربت يدا الاسد عندما مزقنا اجسام الابرياء ؟؟ ان الملك سيموت في الهزيع الثاني من الليل ، وستقول اليمن غداً : لقد قتلت الخمر منك حمر !

قالت : ولاننس ان تسقي معدني كرب وعبد شمس وحاشداً ضعف ما كنت تسقيهم كل مساء .. اسقهم اياها صرفاً وليشربها ابي وابن مفروق ممزوجة حتى ينخفض السكر الرؤوس ويغمض الجفون ويعقد اللسان في الافواه .. ان بلقيس لا تنام على ذل فهي تمشي الى غايتها على الرقاب ولا تبالي !

أجل ، كانت الفسادة احدى طبائع بلقيس كما علمت ، فهي تفوص في بحر من الدماء ، اذا اكرهتها الاقدار ، ولا ترجع الى الوراء !  
ثم قالت : سيشربون الليلة في قاعة الشراب وسأنجي الحجاب فلا يبقى الباب غير ناعم ونائلة ..

— سيتم الامر يا مولاتي كما تشائين .

— ورعين ؟

— لقد فهم رعين كل شيء وسيحمل امر الملكة الى امير نحلة .

— والحراس ؟

امرتهم بان يكونوا عوناً للامراء عندما يدخلون السرايب .

— اذن فانصرف الان واعلم ان عين بلقيس لا تنام ، وبيننا هي نهامسه ،

سمعت وقع قدمين ، فعرفت ان الملك آت ، فرفعت صوتها قائلة : لا تسق مولاك

الليلة فأنا لا اريد ان يشرب !! فظهر الملك على العتبة وهو يتنسم ثم قال : لم تطب  
الحر للملك قط كما تطيب له الليلة .. اني سأشربها حتى يسدب النعاس في عيني  
هذا الغلام .

قالت : ارفق بنفسك يا مولاي فالحر داء !

— بل هي الحياة للقلوب العاشقة التي يرحبها الحب .. وكنت اوتر ان اشرب  
في هذه القاعة وعيناك تنظران الي .

— اتدعو امراء العشائر الى الشراب في قاعة الملكة ؟

قال : لو لم يكن جابر بن مفروق في البلاط لما نقلت من قاعة الملكة قدماً ..  
الى اللقاء يا بلقيس !

— الى اللقاء يا مولاي .

ووثب الى الرواق وثباً وهو يقول : عجل يا نائل ، كأنه كان يريد ان يلهو  
بالحر ليقصر الليل .. وكان القوم قد أمسوا في مجلس الشراب ، فأقبل قائلاً لا مبر  
مذبح : اذا استطعت يا ابن مفروق ان تجاري الملك الليلة في الشراب ، فانت  
تستطيع ان تجاريه في الميادين عندما تجول الخيل .

قال : اعترف اني اضعف من مولاي الملك عندما تتلاجم الصفوف ، واما  
الحر فقد خلقت لها وخلقت لي وسترى اني سأبيت اريقها في حلقي الى ان يبرغ  
الفجر .. ثم استدرك قائلاً : ولكني اشربها ممزوجة يا مولاي ، ففقهه ضاحكاً ثم  
قال : اجلس اذن بالقرب من شرحبيل فقد اعترفت بعجزك وشرحبيل يشربها  
مثلك ... وانت يا عبد شمس ؟

— اما انا فاشربها كما يشربها الملك ، وهكذا قال حاشد ومعدى كرب .

وكان الملك طروباً مزاحاً في تلك الليلة ، فقال : هات يا نائل ، فلأ الغلام  
الاقداح وشرب القوم ، وهم يصفون حفلة الزواج التي تم غداً كما تراها الخيلات .  
وقلب الملك يرقص فرحاً وعيناه تنظران الى نائل القائم بين زقين ... ولم  
يكن يعلم كيف يشرب !.. يجرع الكأس وراء الكأس ويأمر القوم بان يشربوا  
كلما هرب فهو عطشان والحر حياة القلوب العاشقة .. حتى وضعت الحر يدها

على رأسه ورؤوس انصاره وقامت العريضة مقام جلال الملك وهيئته ، ثم اخذ يقول :

ليس لليمن عدو غير الحبشان فيجب ان يموت العلي اسكندي وتنقل جواهر اكسوم وعرشها الى مأرب اتعلمون ماذا يفعل الملك بعد شهر ؟؟ انه سيزحف الى الحبشة علما ، مراكب بعدها لهذه الغاية وستكون الملكة على رأس الجيش ويبقى عننا شرحبيل نائباً للملك فهو يحب الجلوس على العرش .

فقال شرحبيل : بل اجب ان يتبع فرسي فرس الملك في ساحات الشرف .  
- ولكنك تستصعب الاسفار في البحار .

- بل استسهل الموت في سبيل التاج الحميري ..  
- وانت يا ابن مفروق ؟

- سأكون اول رجل يضع قدمه في ارض الحبشان ، فقال ولكن عبد شمس سيغضب على معدي كرب والويل له من غضبه !  
- انا يا مولاي ؟

- نعم انت فالملك سيجعل معدي كرب نائباً له في اكسوم فتوغر هذه النيابة صدرك ويقذف بك الحسد الى الهوة ! قال لو جعلت الحبشة كلها ملكاً لي ولقومي لما خطر لي ان اترك مولاي الملك ساعة واحدة ، فارتجفت الكأس في يده وكان يقول : احسنت فانت خير القواد .. اشربوا يا قوم واملاً لجابر كأسه ايها الغلام .

فشرب وقال : اسأل مولاي ان يجود على عبده بما يطلبه الان ، - بماذا ؟

- بان تنقل الى اكسوم زقاق الحر اليمنية ، علي مراكب الجيش !  
قال : لا نفعل حتى تشربها صرفاً .

قال : شربتها في حياتي مرة واحدة وانا في الحجاز ، فكدت اموت .

- وكيف لا يموت الملك وهو يشربها كل يوم ؟

- لانه حفيد الالهة والالهة تقوم على خراسته ! فاعجبه جوابه ، وانتهر

الغلام قائلاً : عجل يا نائل فسينتصف الليل قبل ان يفرغ الزقان وقبل ان يروي

حفيد الالهة ظمأه . وقد بدأ الملك يعضغ الالفاظ كما يعضغها السكران ، ثم دارت  
الحردورتها الاخيرة .. فحنفت الرؤوس الى الصدور ، ثم خنفت الاصوات ..  
وساد السكوت .. ولو وقع نظرك على القوم في تلك الساعة ، لرأيت عيوناً  
حمراء تنفرس في الارض وتلمع فيها حمى السكر ، الا جابراً وشرجيل ، فلم  
تستطع الحمر المزوجة ان تفقداهما الرشد ، وكان الملك قد استلقى على وسائده  
وهو يصارع حماه ، وقد اراد ان يشرب كأساً اخرى قبل ان ينتقل الى قاعة  
بليقيس ، فقال لنائل والكلمات تخرج مبتورة من فة : كأساً اخرى يا غلام :

فرقت عينا الفتى وعمد الى كفه فاخرج منه ما يشبه الكحل ووضع في القدح  
ثم صب الحمر حتى امتلأ ومد يده قائلًا للملكة : اشرب يا مولاي ، فشرب السكران  
ثم استوى جالساً كأنه صاح ونادى حاشد قائلًا له : اعطني يدك ايها اللعين فانا  
لا استطيع النهوض ، ثم نادى قائديه وامرهما بالانصراف ، فقام حاشد وهو  
يناميل وركبته ترتجفان ، اما معدي كرب وعبد شمس فلم يستطيعا ان يتقلدا ،  
فحاول الملك عندئذ ان ينهض مستنداً الى الجدار ، ولكنه شعر بان ارض القاعة  
تتحدر به الى الاعماق ، وبان السقف والجدران تتساقط على رأسه ، ثم احس  
بان يدين هديتين تقبضان على عنقه ، وان حراباً حادة تمزق احشاءه ، فهم بان  
ن يستغيث فوقفت الالفاظ في حلقه . ثم تراجع وهوى دون ان يقول لرجاله  
كلمة واحدة .

فنظا هر شرجيل وابن مفروق بالسكر وقاما وهما يصيحان : لقد أغمي على  
الملك ، وكان نائل يصيح بدوره : مولاي الملك .. مولاي الملك ! ودخلت نعي  
ونائلة في تلك الساعة وارتفعت الاصوات .. ثم صاحوا السكارى عندئذ واقبلوا  
ينظرون الى الملك الحيري عند الاقدام

والملك الشاب ، يتلوى وعينه مغمضتان .. وقوة الشباب تصارع قوتين  
هائلتين : قوة الحمر ، وقوة التمس ، حتى انتصرت الاثنتان ، وانطرح عمرو بن  
ذي القرنين بين ذراعي الموت .

وبينا القوم يصيحون ويطلبون ان يحمل الملك الى حجرة بليقيس ، حدث



عندئذ ما يشبه السحر ، فقد اقبلت ملكة حمير يتبعها ذو تبع وناشر وعتيك وهم يحملون السيوف ... وقبل ان يقص عليها نائل ما جرى لمولاه ، بل قبل ان تخرج صيحات الاضطراب والذعر من افواه رجال الملك ، احاط انصار الملكة باولئك الرجال ، وطوقت ايديهم سلاسل الحديد ، وسمع القوم ملكتهم تقول : احملاوا الملك فقد اراد ان يموت ... ولعله ابلغ رثاء رددته تلك الاجيال ... ثم خرجت من القاعة كأنها لم تبصر الموت وقالت لهم : اتبعوني الى قاعة العرش .. وامرت الحجاب ، قبل ان تدخل ، بان يغلقوا ابواب القصر . ثم دخلت ، وعلى ذلك العرش الذي شهد مجده ذي القرنين وعز خطيفته ، جلست بلبقيس وضحيتهما عند قدميها ونظرت الى الرجال المهينين قائلة : انظر يا معدي كرب الى ملكك الذي اراد ان يذل بلبقيس واخترك مع رفيقك واحدة من حائتين ، اما ان تموتوا جميعكم في هذه الساعة وترقدوا حيث يرقد عمرو واما ان تقيموا بالبلاط رهائن حتى نرى دلائل الاخلاص والوفاء .

وكان الرجال الثلاثة قد صحوا فجأة كما قرأت كأنهم لم يذوقوا الحر ، فعرف معدي كرب ان الموت والحياة بين شفتي الملكة ، فأثر ان ينسى ملكة : وينخر قيادة الجيش ، ويعيش ، على ان يظهر العصيان ، ثم يموت ، فقال : لقد اخترت يا مولاتي ان اكون عبداً لك الى الابد واقسم بالالهة .

قالت : احذر ان تخدعنا فتخسر كل شيء ...

قال : لقد كنت من قبل يا مولاتي من رجال الملك ولو استطعت لقتلتك وانت في الفراش ، اما الان فليس في اليمن قوة تستطيع ان تفسد علي اخلاصي الجديده لهذا العرش الذي تجلسين فيه .. ان معدي كرب اذا وعد وفى بوعدة ، فافعلي الان ما تشائين وسترين اني من اصدق الرجال .

فقالت : فكوه ، فقد صدقناه ، وسبقني يا معدي كرب قائداً كما كنت .

وانت ماذا تقول يا عهد شمس ؟

— لا ازيد كلمة على ما قاله معدي كرب ، وتذكر الموت .

— لا اذكر الا اني انتقلت من عهد ملك الى عهد ملكة تكافىء الاوفياء .

وقال حاشد كما قال رفيقاه وكانت دلائل الاخلاص على الوجوه ...  
قالت لناثر : افتحوا الابواب لمذبح واجعلوها حول البلاط ، وليكن  
معدني كرب وعبد شمس عوناً لابن مفروق اما حاشد فسيعلن الناس عند الصباح ،  
موت الملك .

وقالت لناثل : ادع اربعة من عبيد القصر ليحملوا الملك الى قبره قبل بزوغ  
الفجر وسيقف الامراء عند جثة سيدهم حتى يغييها التراب .  
فجعل الامراء ينظرون الى الملك دون ان يخفق لهم قلب او تدمع لهم عين ،  
الا شرحيل فقد احس ان قلبه يضطرب بين ضلوعه .

ودفن الملك بعد ساعة ، في قبر آبائه ، ولم يشعر القوم ، بعد رجوعهم الى  
الهلاط ، انه كان هنالك ملك يدعى عمراً ، اجل ، لقد ضيع المسكين هيبته ، في  
حياته ، وبعد موته ، ولم يعرف ، وهو حي ، ان يبعث هذه الهيبة ، الى النفوس ،  
الا بوسائل الترويع ، وعلى حد السيف !  
وطابت نفس ذي تبع ، في ذلك الليل ، ونام ملء جفنيه ..

• • •

## ٩٨

كانت مأرب قد تهيأت لحفلة الزواج ، في اليوم الثاني ، فلما طلعت الشمس ،  
سمع القوم حاشداً يقول : مات الملك عمرو بن ذي القرنين وخانته المملكة بلقيس  
فجعلوا يتهامسون ويعجبون من هذا الموت الفجائي الذي دهم الفتى القوي .  
ثم تناقلت الافواه خبر السكر الذي شهده مجلس الشراب امس ، وكانت  
النفوس في خلواتها تذكر السم ... ولا تجمر اللسنة على النطق بهذه الكلمة التي  
تغضب الجالسة على العرش .

وكان بنو مذحج يطوقون البلاط بالحراب ، وجيش معدي كرب وعبد شمس قد استسلم طائعا مختاراً الى قائديه، ثم اقبل ذو مغار وياسر وجبار والغوث وهم يهتفون مع جيشهم الكثير لسيدتهم الملكة ، وقد ظن القوم ان الاحتفال بالزواج مات بموت الملك ، غير انهم رأوا سرح أبين وكهانه وغلما نه يدخلون للقصر ، فايقنوا بان ذلك الاحتفال لم يمت ، وجعلت جوارى البلاط وعبيده يرددون اسم همدان . وصدقت الظنون ، فقد كتب الكاهن الاعظم العقيد ، وحمل الصدى هتاف الامراء والاشراف الى الوادي ، ولم تمر ساعتان ، حتى اصبح ذو تبع امير همدان زوجاً للارملة العذراء ، بلقيس بذت شر حبيب ، كأن عمر ابن ذي القرنين ، لم يكن ، وكان ذلك الحادث الغريب الذي طوته الليلة الماضية ، حادث عادي ، لا تعباً بلقيس بأمثاله !!

ومهما يكن شأن هذا الحادث ، في نظر التاريخ . فهو في نظرنا مظهر من مظاهر النفس البشرية الضعيفة ، التي تثبت في كل زمان ومكان ان الكمال لله .

...

٩٩

لقد قرأت ، في الجزء السابق ، ان سني عمرو بن ذي القرنين على العرش ، كانت عشراً ، على رأي معظم المؤرخين ، اي انه تولى الملك سنة ٣٢٠ بعد المسيح ، ومات مسموماً سنة ٣٣٠ ، التي يفتر ثغرها لبلقيس ، وتبسم لها كما تهتم الاحلام والامال ، وماذا بقي لبلقيس في الافق ؟ كانت هنالك ذروة من ذرى الشرف فجلست فوقها ، وكان هنالك عرش قترعت فيه ، وذلك المجد الذي عللت نفسها به انقادت اليها اسبابه صاغرة .. تعشقت المعالي ، فوضعت قدمها في الموضع الذي اوجعت به المطامع الجبارة ، وأحببت امير همدان

فرقت اليه ، وكان الدهر عبداً لهذا الحب .. فلم يبق اذن الا ان ترتفع في فضاء  
المجد حتى تبلغ السماء ، وحتى تصفر لها الاجيال اكاليل النصر ... وكان زوجها  
ظامعاً مثلها ، ليس لانه من اولئك الرجال الذين يركبون الاخطار ليجلسوا في  
عروش العظمة والفخار ، بل ليمهد لزوجته سبل الارتفاع . ويجعل اسمها وهبتها ،  
ملء المسامع والافهام ! كأنك تقول ، ان مطامعه كانت صورة لتلك المطامع  
التي يلمسها في نفس بلقيس ، ويرى آثارها كل يوم ، في حياتها على العرش ، فهو  
فتى خلق ليكون وفيا ، لتلك الفتاة الساحرة التي سادت اليمن ، بارادة حديدية  
يعززع الجبل ولا تنزعزع ، وكانت حياتها كزوجين ، حياة عاشقين ، بمد  
الحب الدائم فوقهما رواقه ، واما العرش ... ان العرش لها وحدها ، والمهداني  
مثل جميع امراء المخاليف رعية له ، يخضع للارادة العالية .. وينفذ الامر الصادر  
من الشفتين المقدستين ، ولكنه لا يسجد في مجلس الملكة كما يسجد الآخرون !  
انه سيد امراء اليمن ، كما هو شر حبيب والمهداد ، وظل بلقيس يغطي اليمن  
من السهول الى الاودية ، ومن الشاطئ الى الجبل ، ظل خفيف محترم ، تبسطه  
ايدي الحكمة : واللين والدهاء ، وقد جعلت رجالها جميعهم امناء لها ، لا تكلم  
احدهم سراً ، ولا تنفرد في رأي ، كأن اولئك الامناء مجلس شورى هي رئيسه  
وفكره الناضج الرشيد .

ولكل رجل عمله في الدولة ، معدي كرب وعبد شمس قائدا المشاة والفرسان  
يرجعان الى قائد هام هو ذو تبع نفسه ، وناشروعتيك مستشارا العرش ، وحاشد  
قهرمان البلاط يعاونه نائل ، اما أبوها وأخوها فليس لهما الا ان يشهدا مجلس  
الملكة ، ويشاركاها في الرأي ، ويكونا قائدین في ساحات الحرب ، اذا ظهر  
لهلقيس عدو .

واما الانصار الذين عرفت ، من ذى مغاز الى جابر بن مفروق ، فقد انصرفوا  
الى ارضهم يساعدون الملكة في حفظ الامن ونشر هيبتها في كل فضاء ، ولم يكن  
في اليمن ما يعكر على القوم صفو العيش ، الارض والسماء حليفتا بلقيس ، وللناس  
عبيد لها يذكرون اسمها في الهياكل على مسمع الالهة .. ووفود الامة العربية ،

من جميع الإقطار تخرج اليمن لترى الملكة الحسناء ، حتى قيل انه لم يمر يوم الا وفي البلاط وفد عربي ، وحتى اعجب العلي اسكندي وشابور ذو الاكتاف بما سمعاه عن فتاة حمير فارسلوا الى مأرب رسلا يحملون اخبارها اليهما .  
اجل ، كانت مأرب في عهد بلقيس محجاً للغرباء ، حتى اذا رجعوا الى بلاد قومهم رجعوا حاملين الوية الاعجاب والثناء .. وبلقيس في ايام السلم لا تنام . كانت تشيد الحصون وتبني القصور ، وتجعل للجيش اليمني نظاما يشبه نظام جيش الفرس ، وتعني في اصلاح الداخل ، وتمهيد سبل السعة والرفاه لرعاياها اليمنيين ، وفي اليمن اليوم بقايا قصور يسمونها قصور بلقيس .

...

١٠٠

مرت عشرة اعوام جديدة على ملك بلقيس وكأنها في نظر اهل اليمن عام واحد كانت كلها اعوام بهجة ورخاء الا عامين اثنين قلَّ فيهما الغيث واجذب القوم ففرجت الملكة عنهم الغم ، واسكتت ، بالعطايا والاحسان ، اصوات الشكوى .

على ان العام العاشر كان عام جرب ، فقد اقبلت الرسل تقول : لقد عادت الحبشة الى الظهور في البحر ، على مراكب كثيرة يلعب اشروعها هواء الجنوب الحار .. وليس غريبا ان تشهر الحبشة سيفها على اليمن ، في كل زمان ، فالحبشان يذكران دم قومهم الذي شربه رمال انشأه اليمني ولا ينسون النار ! اصف الى ذلك ان قسطنطيوس قيصر الروم ، كان قد بعث رسله الى الحبشة يبشرون بالمسيح ، وينشرون النصرانية في تلك الاقاليم الواسعة ، وقد وعد الامراء والاشراف الذين يفكرون في فتح اليمن . بارسال الطوائف من جيشه تساعدهم

في ذلك الفتح ، وفوض الى كاهنه فرومنتوس سيد المبشرين ، الذي امسى بعد ذلك أسقفاً في اكسوم ، ان يغري الحبشان بالوعود والعهود ، فلقى فرومنتوس في الحبشة ارضاً خصبة ، وارتفعت اصوات الاشراف عند قصر النجاشي قائلة: النصرانية واليمن .. ثم تغللت فكرة الفتح في الامة ، حتى اضطر العلي اسكندي المريض ، الذي يصارع الموت ، الى ارسال مراكبته الى الساحل اليمني تحمل الجيش الفاتح ! وكان العلي ، عميدة ، ولي عهد الحبشة ، فتى بعيد النظر كبير الهمة ، يطمح الى التوسع في السلطان ونشر النفوذ الحبشي في كل قطر ، وهو الذي مهد الكاهن الرومي سبيل الفوز في مهمته ، على رجاء ان يمد للقيصر يده الى النجاشي . في حربه مع بلقيس .

على ان العلي عميدة ولي العهد ، لم يستطع ان يرافق الجيش الى الميادين ، بل لم يستطع ان يغادر قصر العلي اسكندي الذي لا يلبث حتى يلفظ الروح .. ان الملك قبل الحرب ... ومن الحكمة ان يضع يده على العرش والتاج ، عندما يغمض الموت عيني النجاشي المسكين ! وكان اثنان من رجال النجاشي يقودان الجيش ، وهما يعلمان انهما يقودان الالوف التي تحارب هذه المرة عن عقيدة وايمان ، وقد ايقنا ، كما ايقن النبلاء والمقربون في اكسوم ، ان جنود القيصر ، ستتبع جنودهما الى الجنوب .

وكانت بلقيس قد عبأت جيشها وجعلته فرقة اربعا يقودها زوجها والهداد ، ومعدى كرب وعبد شمس ، ولم يرض رجالها بأن تغادر البلاط وتعيش في الجنوب بضعة اشهر ، كما يعيش الجندي الذي نشأ في ساحات القتال : واوصت زوجها واخاها بان يعجل الجيش في الرحيل ، ليتهيأ ، في ذلك الشاطيء لخوض المجال ، قبل ان تنزل الحبشة الى البر . وكانت واثقة بان الاثنين سيشرفان اليمن .

\* \* \*

كان العلي عميدة ، يكره احد القائدين اللذين وجهها الى حرب بلقىس والقائد يعلم ان ولي العهد لا يحبه ولا يطيق ان يراه . . غير ان النجاشي كان راضياً عنه ، فلم يشأ الا ان يبعث به الى ساحة الشرف ، ليتم له الظفر ، على يد من يحب .

فلما وصل الجيش اليمني ، كانت الحبشة قد تركت مراكبها واعدت العدة للقتال ، بعد ان فتكت بعض حراس الشاطيء ، ولم يبق امامها الا ان تضيع ايديها على الحصون والابراج التي آثر اصحابها الموت بعد الدفاع ، على الاستسلام وكان ذو تبع يعرف حيل الحبشان وعاداتهم في الميدان ، فامر اهل الابراج بالخروج الى الساحة ، وجعل الجيش قسمين يحمل احدهما السيف في هذا اليوم ، ويحمل الاخر محله في اليوم الثاني ، وكانت الواقعة الاولى التي لم تتغير فيها مواقف الجيشين ، ولم ينل الخصم غرضه من الخصم .

ثم عقبتهما واقعة اخرى اشد هولاً واكثر خطراً ، فغطت الجثث ذلك الميدان الفسيح ، وكادت الحبشة تستظهر على صفوف اليمنيين . على ان ذا تبع كان يرى كل شيء ، وكان يعلم ان ذلك الاستظهار دفاع بائس ، وان جيشه الاخر الذي يتحفز للوثوب ، يستعيد مناعة صفوفه ، في لحظة واحدة ، عندما يأمره بالهجوم على عدوه ، ولكنه لم يحتاج الى ذلك ، فقد ثبت اليمنيون كالجلجل يثبت امام العاصفة ، ولم تستطع الحبشة ، تجاه هذا الثبات العجيب ، الا ان تتراجع الى الوراء ، عند غروب الشمس ، وتكف عن القتال ، قبل ان يسدل الليل ، ستاره الرائع ، وشاء القدر ، ان يحمل ذلك الليل الى الحبشان نعمي النجاشي العلي اسكندي وجلس العلي عميدة على العرش ، ويحمل اليهم نبأ آخر هو امر الملك بعزل القائد الذي مر ذكره ، عن القيادة وخضوعه للملك آخر هو حامل النعي نفسه ! . فاستولت الدهشة على الصفوف ، وأمسّت الحبشة حزبين هذا

يرى الخضوع للقائد الجديد وهذا يؤثر العصيان على الطاعة والالتجاء الى البحر راجعاً الى اكسوم ، ولم يطلع الصبح حتى عمد المتمردون الى الماء وتفرقت صفوفهم فوق سطحه ، فحسب ذو تبع ان في الامر خدعة ، ولكنه لم يلبث حتى رأى الذعر باديا على الوجوه ، فامر بجيشه كله بان يحيط بعدوه من الجهات الثلاث ، ويقذف به الى البحر كما تعود ان يفعل ، وتم لذي تبع ما اراد ، فان اهل الحبشة لم يثبتوا في المجال ، ولم يستطيعوا الا ان يلجأوا الى الفرار .

وقد قبض جيش بلقيس على طائفة من الفرسان ، وقادهم اسرى حرب الى مارب لترى الملكة رأيا فيها ، وجعل هؤلاء الاسرى يقصون على اليمانيين ، اخبار هذا التفرق ، ويصفون لهم العملي عميدة ، ملكهم البطاش الجديد ، وهكذا انتهت الحرب ، ولم تخسر بلقيس الا القليل من الرجال .

\*\*\*

## ١٠٢

ارسلت اخبار جلوس العملي عميدة على العرش ، الى جميع الاقطار ، وكان قسطنطيوس ، اسبق الملوك الى ارسال الهدايا يحملها اليه بعض وجوه دولته ويهتولونه باسم امبراطور الشرق والغرب .

اجل ، كان العملي عميدة احب الى القيصر من العملي اسكندي واقرب اليه منه ، ان الاول جريء في نشر الدعوة وتعبئة الجيش ، اما الاخر فكان ضعيفاً متردداً في الامرين ، وملك الروم لا يريد ان يخفوه . وكانت بلقيس تعرف ماضي العملي عميدة وتسمع عن هوسه وميله الى الحرب ، الحكايات والاقاصيص ، ينقلها اهل مارب ، عن الحبشان ، لاجل ذلك لم تغتر بالنصر الذي تم لها ، يوم وصل الجنوب نبأ جلوسه ، ان ذلك النصر كان غفلة من غفلات القدر ، وهي لا تريد



ان تستسلم كل مرة الى الاقدار .

وكانت تقول لمن حولها : اذا لم تعد اليمن كلها الى السيف لتصون ملك  
حبر خصرنا كل شيء .

كأنها كانت ترى بعين الحكمة ، ان الذي يستطيع ان يفعله جارها الملك  
الجديد لم يستطيع ان يفعل مثله العلي اسكندي الميت ، وقد رأت اخيراً ان تبعث  
الى اكسوم طائفة من الجواسيس يرأسها حاشد ، واوصت الجميع بان يحفظوا ما  
يبدرون وينقلوا اليها ما تسمعه الاذان وتراه العيون ، والبستهم لباس التجار من  
اهل الهند وكانوا جميعهم يحسنون اللغة الحبشية ، كما يحسنها ابناء اكسوم ، فعلت  
ذلك في آخر العام الاول للملك الحبشي ، ولم يعد الوفد الا في منتصف السنة الثانية  
حاملها اليها اخبار القوم .

فقال لحاشد ورجال البلاط في المجلس : ماذا رأيت في بلاد جيراننا ، قال :  
رأيت القوم يمشون بخطى واسعة الى النصرانية مذهب الروم !  
— ومن ينشرها ؟

— رجل ارسله القيصر يدعى فرومنتوس هو سيد الكهان في الحبشة .  
— والملك ؟

— اما الملك فقد اصبح نصرانياً يا مولاتي وهو الذي يغذي مذهب القيصر  
ويعد يده الى كاهنه الذي يقضي ايامه كلها طائفاً في الاقاليم .

قالت : لينشروا المذهب الذي يشاؤون فهم احرار في بلادهم وليس لنا ان  
نهم لمثل هذا .. قل الان الا يتحدث الناس في الحبشة بأمر الحرب ؟

— الحرب حديث الناس كلهم ايتها الملكة وتلك هي ارادة الملك الذي يعد  
العدة للزحف الى اليمن بكل ما في الحبشة من قبلة ، وشباب ، ورجال ، فاشرق  
جبينها قائلة : لا تستطيع الحبشة كلها ، ولو اجتمعت ان تتجاوز الشاطئ ..

— ولكن هنالك طوائف الروم .

— ماذا ؟

— نعم يا مولاتي فقد ارسل القيصر بعض رجاله يجعلهم العلي عميدة في مقدمة

الجيش .

— ورأيت انت هؤلاء الرجال ؟

— اجل ، ثم سمعت انه سيجيء الى اليمن طوائف اخرى في العام المقبل حتى يصير عدد الروم في الحبشة عشرين ألفاً ..! فاطرقت بلقيس ، تفكر فيما سمعت ، وقلها يضطرب ، ان اليمن اذا ثبتت في وجه الحبشان فهي لا تستطيع ان تثبت في وجه الرومان .

واي نبأ هو الذي يحمله حاشد ؟ يطلق القيصر جنوده على اليمن وبلقيس في مأرب لا تطوف في الاقاليم ولا ترى الرؤساء والزعماء ؟ يحشد الجيش في البلاط أتهماً بلادها لرد الغزاة وهي بين الوصائف والعبيد والغلمان ؟ لا .. ان بلقيس لم تخلق لتتمرغ في احضان الدلال بل لتخوض المجال تحت ظلال السيوف وتصد في سلك المحجد الى السماء ! ثم رفعت رأسها قائلة : انتظني يا حاشد ان الحرب ستنتشب في هذا العام ؟

— لا يا مولاتي فالحبشة اضعف من ان تنهياً للحرب المقبلة في خلال عامين .  
— اذن لم يبق الا ان تنهياً لها بدورنا ، في هذين العامين .. ورأت ، قبل ان تمضي في امرها ، ان تسترشد برأي رجالها ، فقالت لعتيك : رأيك الان ايها الامير وكان الرجل غائصاً في لجة التفكير ، فقال : ارى ان تبعث الملكة وفدأ الى العلي عميدة ينظر معه في وضع جد للحرب حقناً للدماء .

قالت : هذا هو الذل الذي لا تريد الملكة ان تلوث شرفها به .

— بل هو الدهاء يا مولاتي تستعين به على بلوغ للغاية ..

— لا نعمد الى الدهاء ، في مثل هذه الحال ، الا اذا غلبنا على امرنا ، ونحن لم نغلب بعد .

— ولكن اليمن لا تستطيع ان تنصدي للقيصر ..

قالت : خير لنا ان نموت ونحن شرفاء ، من ان يستخف بنا صاحب الحبشة اتراه نسي ان الجيش اليمني تعود ان يصبغ البحر ، كل مرة ، بدماء قومه ؟؟  
— وهل نقدر ان نصبغه هذه المرة بدماء الروم ؟

— من يعلم فقد تكون رقاب الروم ثمنا لهذه العداوة التي يظرها القيصر ،  
لشعب ليس له معه شأن •

فقال ذو نعيم : سيظن العلي عميدة ، اذا ارسلنا اليه من يحدثه بأمر الصلح ،  
ان الملكة تخاف الحرب ، وتخشى ان تلعب بالنار ••

وهكذا قال معدي كرب وعبد شمس ، وظل شرحبيل والهدهاد ساكتين لا  
يقولان كلمة ولا يبديان رأيا ، اما عتيك فقال : رأي آخر ايتها الملكة •

— اسمعنا اياه

— الا ترين ان نضع ايدينا بيد قسطنطينوس نفسه ؟

— وكيف يكون ذلك وهو حليف الاعداء ؟

قال : من مصلحة الروم يا مولاتي ان يخالفوا أصحاب القطر العربي ليكونوا  
اعوانا لهم على سابور الفاتح •

قالت : انسيت ان القيصر يدعو الناس اليوم الى اتباع دينه ؟

— ليفعل ما يشاء فليس لنا في دينه رأي •

— ولكنه سيشرط علينا ان ينتصر اليمينيون كما ينتصر الحبشان •

قال : اجعليني رسولك اليه يا مولاتي تري غير ما تظنين ، فعلت اصوات  
القوم قائلين : ما لنا وللروم فنحن لا نترك آلهتنا ! فأسكتتهم قائلة : لقد انتهينا

الان فسنحارب الدولتين ومنتصر على الملكين ولو جعلنا جيشهما من عصائب  
الجن •• وجعلت تنظر معهم في شؤون الجند القادر على حمل السيف ، ثم طلبت

اليهم ان يتهيأوا للطواف معها في المخاليف لتنفخ في صدور القوم روح الحرب •  
وقالت لاييها : اما انت يا ابي فقد عهدنا اليك في امر العرش ربنا نعود ••

ولم تتردد فيما فكرت فيه ، بل نهضت لتعد عدة الرحيل ، وتبعها زوجها  
والهدهاد ليساعدها في ذلك الامر • واما عتيك فشئ متثاقلا وكان يقول  
لشرحبيل : ويل اليمن اذا خرجت من يد بلقيس ...

• • •

نحن الان في سنة ٣٤٥ ، وقد مر على الحبشة ، بعد موت العلي اسكندي ، خمسة اعوم كاملة ، كان العلي عميدة يتهباً فيها الحرب ! حتى ملأ جيشه اكسوم وما حولها من جبل وسهل ، وحتى روضت الاميال على القتال . وكان القيصر قد ارسل جنوده ، ليخضعوا اليمن لحليفه النجاشي ، وهم بضعة عشر الفا جميعهم رجال شدة وبأس ، وقد استطاعت بلقيس ، في السنوات الخمس التي مضت ، ان توجه الى الميدان جيشا لم تر اليمن مثله منذ وجد حمير .

ولكن جسدها النضير الغض ، هوى تحت وطأة الطواف الشاق ، والسهرة المضني ، والجهد المستمر ، حتى انها لم تستطع الرجوع الى مأرب ، الا في محفة يحملها الرجال ! . كأنها ارادت ان تخسر حياتها ، قبل ان تخسر المجد الذي تربعت في قتله ، فبذل الكهان - وهم الاطباء - جهدهم كله ليعيدوا النضارة الى ذلك الوجه ، والقوة الى ذلك الجسم الهاوي ، فلم يقدرُوا ، وضاعت صلوات اليمينين وادعيتهم كما يضيع الصدى في الوادي ، وكما ضاع مجهود زوجها وابيها واخيها ، في معالجة المرأة التي عبدوها كما عبدوا الالهة .

مسكينة بلقيس ، انها لم تبلغ الخريف من العمر ، فهي في العقد الخامس وطموحها العجيب لم يرتو من العز .

مسكينة بلقيس ، فقد مضى على زواجها وملكها خمسة عشر عاما ولم تنعم الالهة عليها بولد يرث العرش ، فجعلت اخاها ولياً لعهدا ، وفوضت اليه ، عندما صرعا الداء ، ان يشهر باسمها الحرب ، ويعقد للصلح كأنه هي ، وشرطت عليه ، ان يشاركه زوجها في الرأي . على ان صاحب همدان لم يكن يبالي الا بزوجته . واي طمع له في ابنة الملك اذا كانت جواهر التاج .

الحيري لا تتلأأ فوق رأس بلقيس ، بل اي طمع له في اليمن كلها اذا اغمص الموت عيني بلقيس وانطفأ ذلك الشعاع الذي كان نوراً لنفسه وقلبه ا اجل ، لقد جاوز ذلك الزوج الوفي ، جميع حدود الوفاء وكان يقول لرجال البلاط : اقسم بالالهة اني ساحب الموت اذا وضع الموت يده على من احببت ، ولم يشأ ان يرافق الجيش الذي خرج للدفاع عن الوطن ، لانه كان واثقاً بان هذا الوطن سيضيع اذا لم تكن بلقيس حية تحت سمائه ! كذلك فعل شرحبيل الشيخ \*\*\* ارادت ابنته ان يرأس مع الهدهاد جيش الجنوب فلم يرض ، ومكث الاثنان بالبلاط يعالجان الملكة الجبارة بالعناية والحب ، مع طائفة من الوصائف الكهان . وعندما كان الجيش اليمني يمشي بخطى سريعة الى غايته ، كانت حسناء اليمن ، ولؤلؤة العرب ، تمشي بخطى سريعة ، الى القبر ، فالجهد والعز لله الذي لا يموت .

• • •

## ١٠٤

تراجع جيش الهدهاد ، مضطرباً مغلوباً ، والذعر يملأ قلوب رجاله . وماذا تفعل اليمن وروما والحبيشة تمتشقان الحسام ومراكبهما تنهادر فوق المياه وهي تقذف الجنود كالجراد الى الشاطئ ؟؟ وكيف يكتب النصر لبني حبر وملكتهم المعبودة التي يهب وجهها لهم النصر ، تتقلب بين ذراعي الموت ، وابوها وزوجها اللذان هما سيدا الميادين ، يقسمان بالهلاط فريسة للالم والكآبة ؟ ان لكل جيش ، قوة معنوية تكمن في شخصيات بعض رجاله لا تذكر معها السيوف والحراب .

لقد كان كل شيء ، في ذلك الميدان النائي ، يحارب الهدهاد ، الهم من جانب  
وحراب العدو من جانب ، ولا تنس الافيال فقد كانت وجدها جيشا مدربا  
تحسبه چلاميد صخر ٠٠٠

لاجل ذلك خسر الهدهاد الحرب ، بل خسر البلاد التي جعلته الاقدار سيدها  
بعد اخته ، وخسر ما ورثه من تلك الاخت من العز ٠٠

كان الغازي ينتقل من فتح الى فتح ، ومن نصر الى نصر، والهدهاد يتراجع  
هاربا من ضرباته ، حتى استسلمت شواطئ الجنوب على طول الخط ، وخضعت  
لسيف الغالب للقوي ، تريم ، وشبام ، وشبوة ، القرية من مأرب والتي جعلت  
مقراً لجنود الفاتح ٠

ثم اطلقت مراكب النجاشي ، رجالها من الجانب الاخر ، فاستولى اولئك  
الرجال ، على مخا ، ثم انتقلوا الى ظفار ، ونزل جيش آخر في صنعاء ثم توغل  
فضرب خيامه في صرواح ، ومعنى هذا ان اليمن خرجت من ايدي اصحابها  
واصبحت مأرب من نواح ثلاث ضمن نطاق من السيوف ٠

وكان الهدهاد مع فلول جيشه ، قد رجع الى مأرب وهو دامي الفؤاد ، داعم  
العين ، رجع ليحتمي وراء سورها المنيع مع انتصاره الامناء ، ويقص على  
شقيقته اخبار تلك الهزيمة التي لوئت حمير بالذل والعار ٠

ولكن تلك الاخبار كانت تبلغ بلقيس وهي تودع الحياة ، ولم يدخل الهدهاد  
البلاط الا ليرى صاحبة العظمة والسلطان ، جثة خرساء ٠٠

اجل ٠٠ ماتت بلقيس وهي ترى الدموع في عيون ابوها وزوجها ووصائفها  
وغلمانها ٠٠ ماتت وهي تنظر الى الساج ، نظرة المستخف بالحياة ، وكانت  
تقول:

سأموت وسيموت بعدي مجد حمير ، فلتذكر اليمن ماضيها ولتسترجع هذا  
المجد ٠

ولم يذكر التاريخ، كيف مات ذو تبع وشرجيل، بل لم يذكر بعدها أحداً  
من رجالها غير الهدهاد ، وكان موتها موت لجميع اولئك الرجال ٠٠

ولبس اهل مأرب انسود على ملكتهم ، وحلوا نعشها ثلاثة ايام يطوفون به  
في ساحات القصر ، ثم دفنوها وهم يعلمون انهم دفنوا الامال ...

\* \* \*

## ١٠٥

ظل الهدهاد ملكاً ولكن بالاسم ... واي شأن للملك المغلول اليدين ؟  
نعم ، لقد رحمه التاريخ فأحصى سني ملكه ، بعد موت بلقيس ، وكانت  
هذه السنون ، ملكاً لسواه ...

على ان القريب الى الدهن ، انه كان مالكاً في ظل الحبشة ، بل قل كان  
عاملاً للنجاشي ، يخضع لارادته كما يخضع الضعيف للقوي .

نقول هذا ، والتاريخ يشهد ، ان «علي عميدة» تولى امر اليمن والحبشة ، بعد  
ذلك الظفر ولكنه لم يعيش غير ثلاثة اعوام ، توفي سنة ٣٤٨

وخلفه ولده «عز اناس» اي اذينة ، كما يقول «غلازر» من سنة ٣٤٨  
الى سنة ٣٦٥ ، ثم جلس على العرش بعده اخوه سازاناس «شاذان» الى سنة  
٣٧٤ ، حيث توفي وتوفي الهدهاد .

وفي خلال التسعة والعشرين عاماً ، التي مرت على وفاة بلقيس ، كانت اليمن  
تتمخض لتلد رجلاً حيرياً يرث عرش آباءه ، ويعصب رأسه بتاجهم الذهبي ،  
وقد انبتت اليمن هذا الرجل ، فهو تبع «ملككرب ينعم» تولى الملك بعد  
موت شاذان والهدهاد وطرده الحبشان من بلاده ، ومع ذلك التاريخ ، الى سنة  
٥٢٥ ، واليمن في قبضة الحيريين ، ثم فتحها الحبشة ، آخر مرة كما سيجيء .  
اما الملوك الذين خلفوا ملككرب ، فهم ولده ابو كرب اسعد ، ثم حسان بن  
اسعد ، ثم شرحبيل بن اسعد ، ثم شرحبيل بنوق ، ثم معدي كرب ينعم وابنه

لهيعة ، ثم مرثد اللات ينوف ، ثم ذو نواس ويسميه اليونان دميانوس ، الذي انتهى ملكه سنة ٥٢٥ .

ويذكرون بعد ذي نواس ، ذا جدن ، ولكن هذا لم يكن له حكم .

• • •

١٠٦

لقد ذكرنا ، لقراء الليالي ، في رواية الملك الغساني « الحارث الاكبر » شيئاً عن هذا الفتح الاخير الذي مر ذكره .

ولكننا لم نتبسط في ذكر الاسباب كما نتبسط الان .

اقرأ هذا الفصل ، عن كتاب العرب قبل الاسلام :

« اختلف الرواة في سبيل هذا الفتح ، فالمؤرخون العرب ينسبونه الى اضطهاد اليهود للنصارى وكانت اليهودية قد دخلت اليمن على يد احد ملوك حمير ورغب فيها الناس فانتشرت في اليمن كلها ، وكانت دولة الروم قد تنصر قياصرتها واخذوا يهتمون بنشر النصرانية وتأييدها ويستعينون بها ، على نشر نفوذهم وتوسيع دائرة تجارتهم ، فارسل بعضهم فرومنتوس « الذي ذكرناه » الى الحبشة فشر النصرانية فيها ، ثم اخذت تتسرب الى جزيرة العرب ، وخصوصاً نجران وعدن ، وارسلوا اليهما الكهنة ، وبنوا في نجران مزاراً عرف بكعبة نجران ، فيه القسيسون والرهبان ، وأفضت حكومة حمير ، في اوائل القرن السادس « سنة ٥٢٥ » الى ملك منهم - قرأت اسمه الان - هو ذو نواس وكان شديد التعصب لليهودية ، فغزا اهل نجران ، ثم حصرهم ، ثم ظفر بهم ، فخدد لهم الاخاذيد ، وعرض عليهم اليهودية فامتنعوا فحرقهم ، وحرق الانجيل ، وهدم بيعتهم ثم انصرف



الى اليمن . وافلت منه رجل اسمه دوس ثعلبان على فرس أركضه حتى اجعز  
القوم في الرمل ومضى الى قيصر الروم يستغيث به .

فاعتذر القيصر ببعث الشقة ، ولكنه كتب الى ملك الحبشة يحرضه على نصرته  
وفتح اليمن . فلما وصل كتاب القيصر الى النجاشي ، امر احد قواده « ارباط »  
ان يخرج معه فينصره .

فخرج ارباط في سبعين ألفاً وقود على جنده قواداً من رؤسائهم ، واقبل  
بفيله وكان معه ابرهة بن الصباح .

وكتب ملك الحبشة لارباط عهداً جاء فيه :

« اذا دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها ، وخرّب ثلث بلادها ، وابعث الى

ثلث نساها ... »

فخرج ارباط في الجنود ، فحملهم في السفن في البحر ، وعجز بهم حتى وردوا  
اليمن وقد قدم مقدمات الحبشة ، فرأى اهل اليمن جنداً كثيراً فلما تلاحقوا  
قام ارباط في جنده خطيباً فقال :

« يا معشر الحبشة انكم لن ترجعوا الى بلادكم ابداً . هذا البحر بين ايديكم  
ان دخلتموه غرقتم وان سلكتم البر هلكتم واتخذتكم العرب عبيداً فليس لكم الا  
الصبر حتى تموتوا او تقتلوا عدوكم » فجمع ذو نواس جمعاً كثيراً ثم سار اليهم  
فاقتتلوا قتالا شديداً فكانت الدولة للحبشة فظفر ارباط وقتل اصحاب  
ذو نواس وانهزموا في كل وجه .

فلما خاف ذو نواس ان يؤسر ، أركض فرسه واستعرض به البحر وقال :  
الموت في البحر احسن من الاسر ، ثم اقحم فرسه لجة البحر فغص به الفرس  
وكان آخر العهد به .

ثم خرج اليهم ذو جلدن الهمداني في قومه ، فناوشهم وتفرقت عنه همدان ،  
فلما تخوف على نفسه قال : ما الامر الا ما صنع ذو نواس واقحم فرسه البحر  
فغرق ...

ودخل ارباط اليمن ، فقتل ثلثاً وبعث ثلث السبي الى ملك الحبشة ، وخرّب

ثلاً ، وملك اليمن ، وقتل اهلها وهدم حصونها .

• • •

١٠٧

ذلك ما ترويه العرب عن اسباب الفتح ، واما اليونان فينسبونه الى سبب تجاري مالي .

وذلك ان اليمنيين لما تضعضعت احوالهم بتقهقر دولتهم وخروج مقاليد التجارة من ايديهم ، كان الروم قد اخذوا ينشرون نفوذهم في الشرق بواسطة النصرانية ، وتيسر لتجارهم المرور في بلاد اليمن ، بين خليج العجم والبحر الاحمر ، يحملون تجارة الهند الى الحبشة ، ثم الى مصر ، والعرب يشق ذلك عليهم ولا حيلة لهم في منعهم فجعلوا يضايقونهم في الرواح والمجيء .

وأراد الفرس في اثناء ذلك ان يعرقلوا مساعي الروم اعدائهم القدماء في متاجرهم ، عن طريق جزيرة العرب ، فنزل جند منهم بشواطئ خليج العجم من جزيرة العرب . فارسل القيصر يوستين الى بني حمر ان يردوا الفرس عنهم ، وبعث من جهة اخرى الى الحبشان ان يأخذوا بأيدي تجار الروم في ذلك السبيل ، كذلك فعل يوستينان لما تولى ، ولم يطل عهد الوفاق فعادت العرب الى معارضة قوافل الروم ، قال ثيوفانس : واتفق في اوائل القرن السادس ، ان الحبريين تعدوا على تجار الروم ، في اثناء اجتيازهم اليمن ، بتجارهم الهندية ، وقتلوا جماعة منهم ، فتوقفت حركة التجارة ، فشق ذلك على الحبشة ، فتجدت لفتح الطريق ، وقطعت البحر الاحمر ، تحت راية ملكها هداد ، وحاربت حمر ، فقتلت ملكهم دميانوس « اي ذا نواس » وجددوا المعاهدة مع قيصر الروم يوستينان ، على شرط ان ينتصر اهل اكسوم .

وارسلوا الى الاسكندرية وفدأ يطلبون قسيساً يعمدهم ويعلمهم فارسل اليهم رجلاً تقياً اسمه يوحنا صار بعدئذ اسقفاً على اكسوم ، وبعد ان اقتضت الحبشة من الحميريين ، انسحبت الى بلادها فعاد الحميريون الى ماكانوا عليه وعادت التجارة الى الانقطاع .

فأعاد اليبساس ملك الحبشة للكرة ، وفتح بلاد اليمن فتحاً بحملة كبيرة حارب بها الحميريين وغلبهم على بلادهم وولى عليها اميراً مسيحياً اسمه اسيافيوس ، واوعز اليه ان يحمل اهلها الى النصرانية استنجاداً بالدين على السياسة ، وقد استعان باسقف اسمه جرميحتوس كان خطيباً مفوها وعالماً كبيراً على ان يبذل جهده في ذلك السبيل .

ولم يطل حكم اسيافيوس على حبر ، لانهم ثاروا عليه وخلعوه ، فارسل اليبساس جنداً لاختضاعهم ، فانضم الجند الى العصاة ، ولكنه عندما يش من اذلالهم ، قنع بعهد الصلح بينه وبينهم .

تلك هي اقوال اليونان عن اسباب الفتح ، ولعلها اقرب الى الوقائع لانها مأخوذة عن مصادر كتبها اصحاب الشأن المعاصرون ، وقد عثر للضابط ولستد ، في شواطئ اليمن ، على مرتفع اسمه حصن غراب ، او حصن الغراب ، عليه نقوش بالحميرية قرأها المستشرقون بعد ذلك فاذا فحواها :

« ان سميغع أشوى واولاده .. نقشوا هذا التذكار في حصن مويحت وحصن غراب » لما رموا اسوارهم ورواياهم ودروبهم في الجبال وتحصنوا فيه بعد ان فتحوا اليمن وغلبوا اهلها وفتحوا طريق التجارة في ارض حبر وقتلوا ملكها واقباله الحميريين والارحابين .

فاذا كان المراد بالسميغع واولاده قواد حلة الحبشة فيكون ذلك اقرب الى ما ذكره اليونان لان السميغع يشبه لفظ اسيافيوس ، المتقدم ذكره .

لكنهم قرأوا على آثار اليمن ، اسم القائد الحبشي ، كما ذكره مؤرخو العرب « ابرهة » مكتوباً في « خرطوش » بالخط الحميري ، كما كان الفراعنة يكتبون اسماءهم ، وبجانب اسم ابرهة ، خرطوش ، باسم اراحميس زبجان ، الملك الحبشي

الذي ارسله .

وقد وصف العرب تمرد بعض الحبشان ، المشار اليهم ، على البعض الاخر ،  
قالوا :

ان بعض قواد ارباط ،نقموا عليه تمييز بعضهم بالعطاء او الغنائم ، فاجتمعوا  
بقيادة احدهم ابرهة وحاربوه .

قال الطبري في تاريخه ، عن ابن اسحق :

« انحاز الى كل واحد منهما ، اي ارباط وابرهة ، طائفة من الجيش ، ثم  
سار احدهما الى الاخر ، فلما تقارب الناس ودنا بعضهم من بعض ، ارسل ابرهة  
الى ارباط :

ان الحبشة اذا اشتبكت سيفوها تفنى ، فابرز لي وابرز لك فأينا اصاب صاحبه  
انصرف اليه جنده .

فأرسل اليه ارباط : لقد انصفتني فاخرج .

فخرج اليه ابرهة ، وكان رجلاً قصيراً لحيماً ، وكان ذا دين في النصرانية ،  
وخرج اليه ارباط وكان رجلاً عظيماً طويلاً ، وفي يده حربة ، وخلف ابرهة  
ربوة تمنع ظهره وفيها غلام يقال له عتودة .

فلما دنا احدهما من صاحبه رفع ارباط الحربة فضرب بها على رأس ابرهة  
يريد يافوخه ، فوقعت الحربة على جبهته فشرمت حاجبيه وعينه وانفه وشفته  
فبذلك سمي ابرهة الاشرم .

وحمل عتودة غلام ابرهة على ارباط ، من خلف ابرهة فقتله وانصرف جند  
ارباط الى ابرهة وانضوت الحبشة في اليمن تحت لوائه ، وكان كلما صنع ابرهة ،  
بغير علم النجاشي ، فلما بلغه ذلك ، غضب غضباً شديداً وقال : عدا على اميري  
فقتله بغير امري ؟!

ثم حلف لا يدع ابرهة حتي يظأ بلاده ويمجز ناصيته ، فلما بلغ ذلك ابرهة  
حلق رأسه ، ثم ملأ جرأباً من تراب اليمن وبعث بذلك الى النجاشي وكتب  
اليه :

أيها الملك ، انما كان ارباط عبدك وانا عبدك فاختلفنا في امرك وكل طاعته لك الا اني كنت اقوى منه على امر الحبشة ، واضبط لها واسوس لها ، وقد حقلت رأسي كله حين بلغني الملك وبعثت اليه بجواب من تراب اليمن ليضعه تحت قدميه فبر في قسمه ...

فلما انتهى ذلك الى النجاشي ، رضي عنه وكتب اليه : ان اثبت على عملك بارض اليمن حتى يأتيك امري .

فلما رأى ابرهة ان النجاشي ، قد رضي عنه وملكه على الحبشة وارض اليمن بعث الى ابي مرة ذي يزن ، فاتزع منه امرأته ريحانة ابنة علقمة بن مالك بن زيد ابن كهلان وكانت قد ولدت لابني مرة ، معدني كرب ، فولدت لابرهة مسروقاً وبسباسة ، وهرب منه ابو مرة .

وظل ابرهة على عرشه عشرين سنة ، وخلفه ابنه يكسوم فملك تسع عشرة سنة ، ثم ملك اخوه مسروق اثنتي عشرة سنة .

ونشرت الحبشة ، النصرانية في حمير ، في اثناء هذا الحكم ، فبنى ابرهة في صنعاء كنيسة كبيرة سماها « القليس » تحريف اسم الكنيسة في اليونانية ، وبالغ في تزيينها واتقانها فنقشها بالذهب والفضة والزجاج والفسيفساء وألوان الاصباغ وصنوف الجواهر ، وجعل فيها خشباً له رؤوس كرؤوس الناس ، وجعل على خارج القبة برنساً فاذا كان يوم العيد كشف البرنس عنها فيتألا رخامها مع ألوان الاصباغ حتى تكاد تخطف البصر .

وكتب على بابها بالحرف المسند :

« بنيت هذا لك من مالك ليدكر فيه اسمك وانا عبدك » كما يقول يا قوت . وطال البلاء على اليمن ، فقد ذلت في ذلك الفتح الاخير ، اربعاً وسبعين سنة ، من ارباط الى مسروق ، وكان بين امراء حمير ، رجل اسمه سيف بن ذي يزن ، فاستنجده قومه ، فخرج حتى قدم على قيصر الروم ، فشكا اليه ما هم فيه ، وطلب ان يخرج الحبشة وليهم هو ، ويبعث اليهم من شاء من الروم فيكون له ملك اليمن ، فلم يجد عند القيصر شيئاً مما يريد .

فخرج حتى قدم الحيرة ، على النعمان بن المنذر ، فشكا اليه ما هم فيه من  
للذل والبلاء ، فقال النعمان : ان لي على كسرى وفادة في كل عام فأقم عندي  
حتى يكون ذلك فأخرج بك .

فأقام عنده حتى خرج النعمان الى كسرى ، فخرج معه ، فلما قدم النعمان  
على كسرى وفرغ من حاجته ذكر له سيفاً وما قدم له ، وسأله ان يأذن له في  
المثول بين يديه ، ففعل ، وكان كسرى اذا استوى في مجلسه ، ادخل رأسه في  
تاجه المعلق الذي لا تستطيع عنقه ان تحمله ، فلما دخل ابن ذي يزن ، سجد له ثم  
قال : ايها الملك ، غلبتنا على بلادنا الاغربة ، اي العبيد الذين يشبهون الغربان ،  
فقال كسرى : اي الاغربة ، الحبشة ام السند ؟ .

— الحبشة يا مولاي فقد جئت لتصرفني عليهم وتخرجهم عني ويكون ملك  
بلادي لك فأنت احب الينا منهم ، قال : بعدت ارضك من ارضي وهي ارض  
قليلة الخير انما بها الشاء والبعر وذلك مما لا حاجة اليه .  
ثم امر له بمشرة الاف درهم وكساه كسوة حسنة .

فخرج سيف وجعل ينثر دراهمه للناس ينهبها الصبيان والعبيد والاماء .  
فقيل لكسرى : العربي الذي اعطيته ما اعطيته ينثر دراهمه للناس ينهبها العبيد  
والصبيان !!

فقال ان لهذا الرجل شأنًا اثتوني به .

فلما دخل عليه قال : عمدت الى حباء الملك الذي حباك به تنثره للناس ؟  
قال : وما اصنع بالذي اعطاني الملك وجبال ارضي فضة وذهب ؟ انما جئت  
ليمنعني الملك من الظلم ويدفع عني الذل !! فجمع كسرى ومرازبته واهل الرأي  
الذين يستشيرهم في امره وقال : ما ترون في هذا الرجل وما جاء لاجله ؟  
فقال قائل منهم : ايها الملك ان في سجونك رجالا قد حبستهم للقتل فلو انك  
بعبتهم معه فان هلكوا كان الذي اردت بهم وان ظهروا عنى بلاده كان ملكاً  
ازددته الى ملكك .

فقال : هذا هو الرأي احصوا لي كم في سجونني من الرجال .

فوجدوا في السجون ثمانماية رجل ، فقال : انظروا الى افضل رجل منهم جسداً وبيتاً واجعلوه عليهم .

فوجدوا رجلاً يدعى وهرز وكان ذا سن ، فبعثه مع سيف وامره على اصحابه ، ثم حملهم في ثمانى سفائن في كل سفينة مائة رجل . فخرجوا حتى اذا خاضوا البحر غرقت سفينتان بما فيهما ، فخلص الى ساحل اليمن من ارض عدن ست سفائن فيهم ستائة رجل . فلما انتهوا الى ارض اليمن ، قال وهرز لسيف : ما عندك الان ؟

قال : ما شئت من رجل عربي وفرس عربي اثم اجعل رجلي مع رجلك حتى نوت جميعاً او نظهر جميعاً .

وجمع سيف من استطاع من قومه ، وسمع بهم مسروق بن ابرهة فجمع اليه جنده من الحبشة ثم سار اليهم .

فلما تقارب الناس بعث وهرز ابناً له كان معه يقال له نوزاد على جريدة خيل وقال له : ناوشهم القتال حتى ننظر كيف قتالهم .

فخرج اليهم فناوشهم شيئاً من قتال ، ثم تورط في مكان لم يستطع الخروج منه فقتلوه ، فزاد ذلك وهرز حنقاً عليهم . ثم اصطلفت الصفوف فقال وهرز : اروني ملكهم .

فقالوا : تري رجلاً على فيل عاقداً تاجه على رأسه بين عيليه ياقوتة جمراء ؟ قال : نعم .

فقالوا : هذا ملكهم .

قال : اتركوه ... ثم وقفوا طويلاً ، فقال : على ما هو ؟

قالوا : قد تحول على الفرس .

فقال : اتركوه ... فوقفوا طويلاً ، ثم قال : على ما هو ؟

قالوا : قد تحول على البغلة .

قال : ابنة الحمار ؟ ذل وذل ملكه هل تسمعون ؟ اني سأرميه ، فان رأيتم

اصحابه وقوفاً لم يتحركوا فاثبتوا حتى اكلم فاني قد اخطأت الرجل ، وان رأيتم القوم قد استداروا به فقد اصبت الرجل فاحملوا عليهم ، ثم اوتر قوسه وكانت لا يوترها غيره من شدتها ...

ثم امر بجاجيه فعصبا له ، ثم وضع في قوسه سهما فخط فيها حتى اذا ملأها ارسلها فصك بها الياقوتة التي بين عينيه فتغلغل السهم في رأسه حتى خرج من قفاه وتنكس عن دابته ، واستدارت الحبشة به .

فحملت عليها الفرس ، فانهزم الحبشان وقتلوا وهرب شريدهم في كل وجه . فأقبل وهرز يريد صنعاء يدخلها ، حتى اذا اتى بابها قال لا تدخل رايتي منكسة ابداً اهدموا الباب .

فهدم باب صنعاء ، ثم دخلها ناصباً رايته يسارها بين يديه .

فلما ملك اليمن ونفى عنها الحبشة ، كتب الى كسرى :

لقد ضمنت لك اليمن واخرجت من كان فيها من الحبشة .

وبعث اليه بالاموال .

فكتب اليه كسرى يأمره بان يملك سيفاً على اليمن واراضها وفرض كسرى على سيف خرجاً وجزية يؤديهما اليه في كل عام ، وقد قرأت شيئاً من هذا في أول من هذه الرواية .

وكتب كسرى الى وهرز ان ينصرف اليه فانصرف واستوى سيف بن ذي يزن في العرش اليمني ، عرش اجداده الحميريين .

وفي ذلك يقول امية بن ابي الصلت الثقفي من قصيدة :

لا يطلب الثأر الا كابن ذي يزن	في البحر خيم للاعداء احوالا
اتى هرقل وقد شالت نعماتهم	فلم يجد عنده بعض الذي قالا
ومنها :	

من مثل كسرى شهت شاه الملوك له ،	او مثل وهرز يوم الجيش اذ صالا
لله درهم من عصبة خرجوا	ما ان ترى لهم في الناس امثالا
غر جحاحجة ، بيض مرازمة ،	اسد تربب في الغيصات اشبالا



ومنها :

فاشرب هنيئاً عليك الناج متكئاً ، في رأس غمدان داراً منك محلاً  
ثم عدا سيف على الحبشة . فجعل يقتل رجالها ويقر نساءها عما في بطونهن  
حتى اذا أفناها الا بقايا منها قليلة ذليلة فاتخذهم جراساً وخولا يسعون بين يديه  
بالحراب .

ومكث على ذلك حيناً غير كثير ، ثم خرج يوماً وحراسه الحبشان معه يسعون  
بالحراب . حتى اذا كان في وسط منهم جعلوا يطعنونه بجراهم حتى قتلوه ،  
ووثب رجل منهم فقتل باليمن وافسد .

فلما بلغ ذلك كسرى ، بعث اليهم وهرز في اربعة الاف من الفرس وامره  
بان لا يترك في اليمن اسود ولا ولد عربية من اسود الا قتله صغيراً او كبيراً ولا  
يدع رجلاً جعداً قد شرك فيه السودان الا قتله .

فأقبل وهرز حتى دخل اليمن ، ففعل ذلك ولم يترك بها حبشياً الا قتله ، ثم  
كتب الى كسرى بذلك .

فأمره كسرى عليها فكان عليها حتى هلك .

ثم خلفه ابنه المرزبان حتى هلك .

وقام بعده حفيده خرّ خسره ، فغضب عليه كسرى فعزله عن الامارة وولى  
رجلاً يدعى باذان لم يزل عليها حتى بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم .  
وكانت الحبشة قد جعلت صنعاء عاصمة لليمن ، والملك يجلس في قصر غمدان  
العظيم الباقية اثاره الجبارة الى اليوم .

وصنعاء مدينة طيبة الهراء تغنى الشعراء في وصفها واطراء هوائها وطقسها ،  
قال ابو محمد اليزيدي من قصيده ذكرها ياقوت :

قلت ونفسي جم تأوها .	تصبو الى اهلها ، واندها
سقياً لصنعاء لا ارى بلداً ،	اوطنه الموطنون يشبهها
خفضاً ولينا ولا كبهجتها ،	ارغد ارض عيشا وارفعها
كأنها فضة مموهة ،	احسن تمويهها مموهها

الى آخر ما جاء فيها من وصف محاسنها الخلابه ...  
هذا هو تاريخ بلقيس ، وتاريخ اليمن القديم ، قرأتها في ثلاثة اجزاء ،  
وستقرأ عن اليمن اشياء اخرى ، في الروايات التي تصدرها دار الأندلس .  
ولقد كنا ذكرنا لك من قبل ، انه لم يبق من دول العرب — قبل الاسلام —  
غير دولة اليمن ، ولكن نسينا ان هنالك دولة عربية مثلت دوراً سياسياً خطيراً  
تحت سماء بلاد العرب ، هي دولة .

تمت رواية بلقيس ملكة اليمن



صدر من سلسلة

## روايات تاريخ العرب والإسلام

- |                         |                       |
|-------------------------|-----------------------|
| ● الحارث الأكبر الغساني | ● اليتيمة الساحرة ٢/١ |
| ● الثعمان الثالث        | ● فتاة الشام          |
| ● بلقيس ملكة اليمن ٢/١  | ● محمد وأم كلثوم      |
| ● زينب ملكة تدمر ٢/١    | ● فاجعة كربلاء        |
| ● حسناء الحجاز ٢/١      | ● خيانة وعد           |
| ● الحارث ملث الأنباط    | ● لقاء المحبين        |
| ● هند والمنذر           | ● السفاح والمنصور     |
| ● هند أسيرة كليب        | ● الأمير العاشق       |



دار الأندلس

للطباعة والنشر والتوزيع